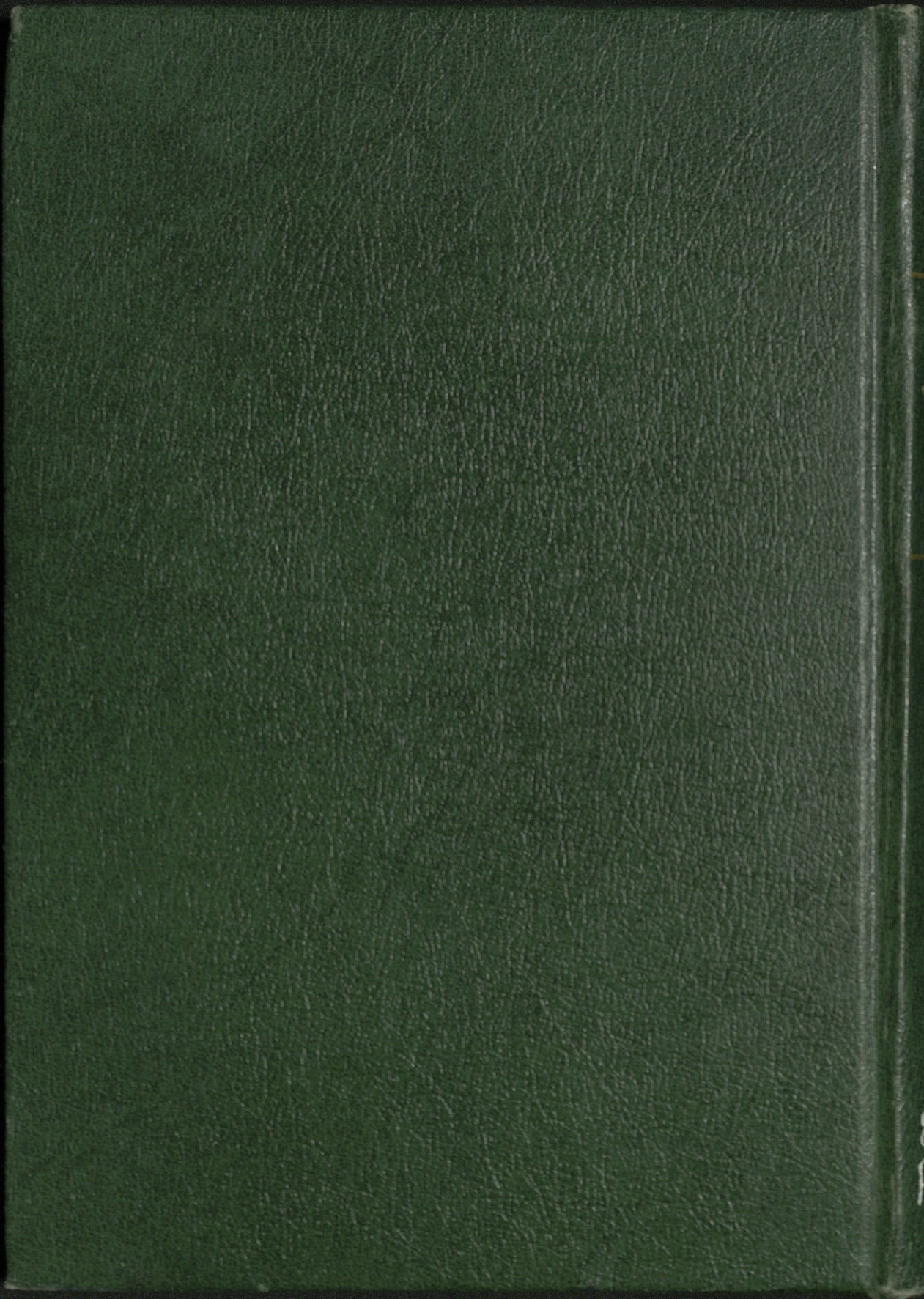
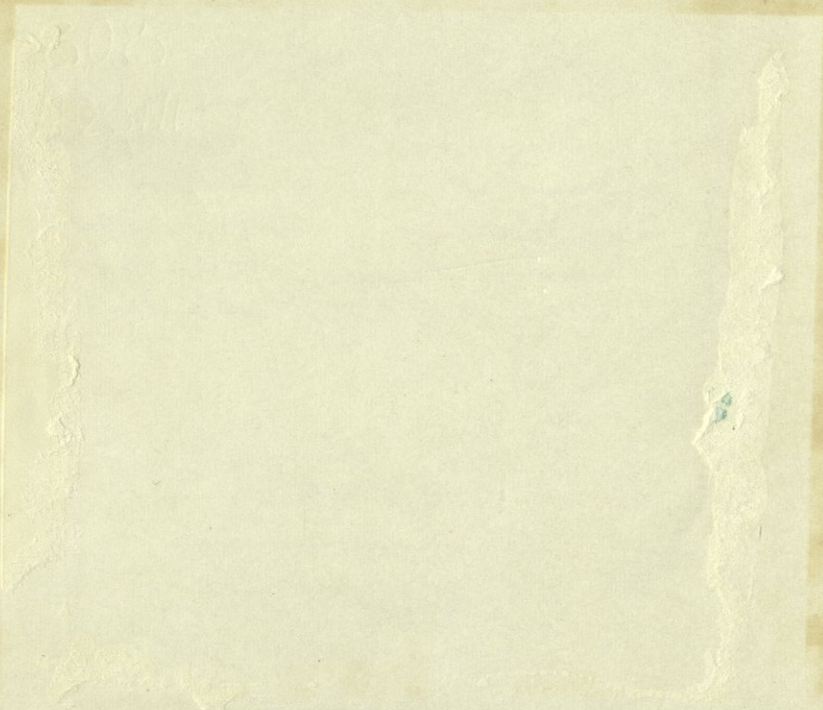
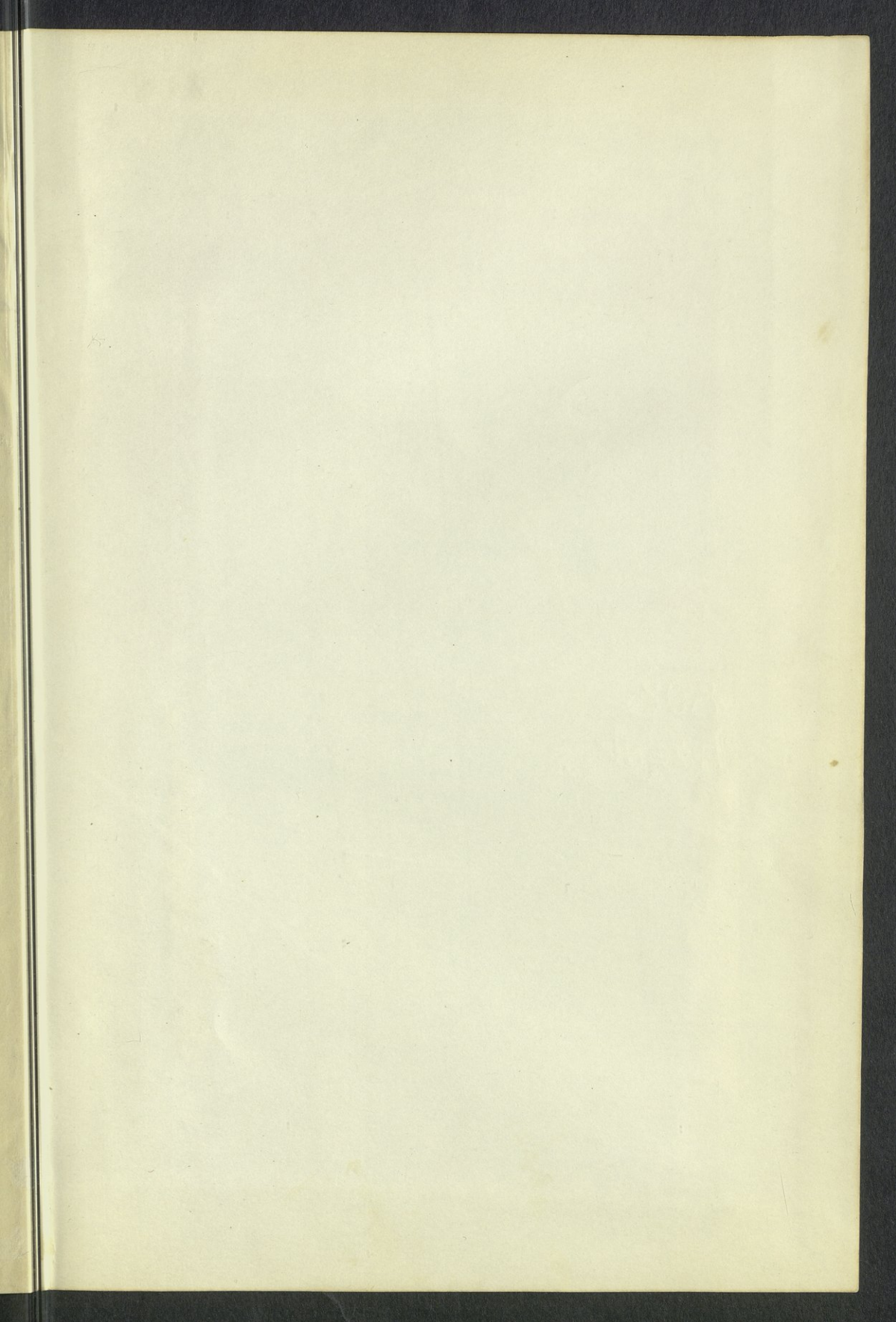




فصل في بيان
الصفات
التي هي
في
الصفات

كتاب جامع الدرر
تأليف
٢٢٩١٧





دراسة تفصيلية شاملة

لبلاغة عبد القادر

التشبيه وتمثيل - التقديم والتأخير

الفوا

وضبطها وعلق حواشيها

عبد المحسن بن عبد القادر

الحائز لسمادة العالمية من درجة
أستاذ في البلاغة والأدب
ومدرس الأدب بالسكينة

عبد المحسن بن عبد القادر

أستاذ البلاغة بطنجة اللغة العربية

حقوق الطبع محفوظة لها

دار الفكر الحارثي للطبع والنشر

بالتعاون مع دار النشر

تأليف

مستطاب

بیتا

لهذا

نما

فیتا

لوه

لوه

فیتا

لهذا

نما

فیتا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد ، فقد كانت كتب الإمام العظيم ، عبد القاهر الجرجاني ، - وما زالت - هي الدوحة الفيانة التي يتفياً ظلالها كل باحث عن البلاغة ، والمرفأ الأمين الذي يمنح إليه كل غائص على درها ، متطلب الوصول إلى جوهرها الثمين .

فهى إلى اليوم مهد الأدب الوثير ، ومعين البلاغة الثرار ، فى رياضها الفيسح تتسابق الأذهان إلى خالص الأساليب ، وفى حدائقها الغن تستلهم المعانى الأبكار ، وتستوحى بحالى الأسرار .

ولهذا نراها ميدانا فسيحا لمباهج الحياة الأدبية ، ومتمنزا غضا لنفائس الأدب ، وآثار الأدباء ، وكم تعرض فى خلالها ألوان البيان المشرقة ، وصور المعانى المتألقة ، وكم تلمس فى ثناياها عوارف المعارف الشعرية ، وأزاهير الغياض الأدبية التى ازدان بها جيد القرن الأدبى فى لغة العرب على مر السنين والحقب .

وتعد فوق هذا وذاك أنموذجا رائعا لفن النقد الأدبى المعتمد على الذوق الخالص ، والطبيعة الفطرية ، البعيدة عن مظاهر التعسف ، وشوائب التكلف ، الخالية من جفاء التعقيد ، وجفوة التعقيد .

وقد لبث الأدباء والعلماء ردحا من الزمن ينهلون من وريدها الصافى أعذب الشراب ، ويمرؤن أخلافا فتدر لهم أصفى حلاب ، وكان من آثار تلمذتهم لها أن أمكنهم تعرف أسرار الجمال الأدبى ، وبرعوا فى فن النقد حتى استطاعوا الوصول إلى نواحي البيان المعجزة ، واكتناه غايه السكمال فيه .

وأعقب ذلك اهتمام الناس بعلوم البلاغة ، ومحاولة التأسي بطرائق عبد
القاهر في الغوص على مكنوناتها ، بعد أن بهرتهم أساليبه ، وكاد سنا بريقها
يذهب منهم بالابصار .

على أن الأيام أبت إلا أن تسكف هذه الشمس الفطرية المشرقة ، وأن
تخبو تلك الجذوة النوقية المشتعلة ، فشاهت منهاج النقد الأدبي ، ورائت
العجمة على مسالكه ، وخضعت المؤلفات في علوم البلاغة - كغيرها -
للتوجيه المنطقي السقيم ، والأسلوب الفلسفي العقيم .

ولهذا نرى البون شاسعا - في الاتجاه الفكري ، وأسلوب العرض الفنى
ووسائل الفهم والإدراك - بين كتب عبد القاهر وكتب المتأخرين عنه ،
أمثال : « المفتاح » ، « وتلخيصه » ، « وإيضاحه » ، وما كتب على هذا أو ذاك
من شروح وحواش وتقارير .

ومع أن هؤلاء المؤلفين اتشبهوا ثيات عبد القاهر العلمية في كثير من
المسائل ، نرى لومة الاستعجام تغلق جديتها ، فتعجز كل المعجز عن إبراز
مفاتيح الأسلوب الفنى ، وتنسيق صورته ، كما أبرز هو وصوّر . ومن المؤكد
أن أكثر هؤلاء المحاكين دخلوا هذا الميدان عزلا من السلاح ، فبدت في
أسلوبهم صنعة المماحكين ، واتخذوا اسم المجادلين ، ففقدت كتابتهم مائيتها ،
والتوت على أيديهم أغنتها ، ووضع فقرهم الشديد في البحث والاطلاع ،
وكان أبرز مظهر لذلك وقوفهم عند الشواهد الأدبية التي وردت في « متون »
السابقين حتى إنها لتبدو متحدة تقريبا في جميع كتبهم .

ولئن ازدهرت دولة العجمة بعد القرن السادس ، وطمس تيارها الجارف
بصائر الأفكار ، وأدال دولة الأدب المطبوع ، وأحظى تلك الأساليب
المعقدة في دراسة العلوم والآداب لقد ظلت كتب عبد القاهر منارة عالية

النزى ، ومشعل الماع السفا ، واطلما صارعت فصرعت جيوش الدجى ،
وكتائب الظلام .

ولهذا انباج فجرها مع فجر النهضة الحديثة ، ولمس زعماء الاصلاح -
وعلى رأسهم الأستاذ الامام الشيوخ محمد عبده طيب الله ثراه - ضرورة القبس
من جذوتها ، لتعود إلى علوم البلاغة حرارتها الأولى ، ويرجع للذوق
الفنى اعتباره الذى قضت عليه عصور الظلمات . وقد تجاوب ذلك مع رغبة
ملحة فى وصل ما انقطع من أسباب بين ذخائر العلم الاولى وطالبه فى العصر
الحديث فكان إجماع تام على ضرورة العودة بهم إلى تنسم هذا الريح
المطر الفائح من « أسرار البلاغة ، ودلائل الاعجاز » ، وهذا يمكن هؤلاء
الطلاب أن يرشفوا من بحافى هذا العلم رحيقه ، ويكرعوا فى مجاله أفوابه
ويتناولوا من جناء ما لذهم وطاب .

على أن الطريق إلى ذلك لم تخل من شوك القتاد إذ ظهرت أزمة فى
وفير العدد الكافى من الاساتذة الذين يستطيعون درس ما فى الكتابين
بروح العصور الادبية الاولى ، وعلى هذا النقط الواسع المدى فى الفهم
والادراك ، والنقد والتحليل ، فاستحال على الأستاذ الامام أن يجرّد معاصريه
من آثار ما درسوا ، ويخلص أفكارهم مما انطبع عليها من أوصار -
وأصار ، فاضطر إلى دراسة الكتابين بنفسه فى حلقاته الجامعة بالازهر ،
وفى أثناء ذلك حاول جاهداً أن يفتح الطريق لمن حواليه من قدامى ومحدثين .
ومع الشبق الزمنى والعلى لعبد القاهر نرى بعض الناس يحاولون تحكيم
نهج المتأخرين فى فهم كتاباته ، وربط الاصول العلمية فى كتبه بما درسوه
فى « التلخيص » وشروحه وحواشيه ، وهو اتجاه خاطئ ، ونكسة قاتلة
فطن لها بعض الافذاذ من العلماء الذين درسوا الطريقتين ، ومازوا بين

المنهجين، ومن هؤلاء دون شك : أستاذنا الكبير والشيخ عبد الهادي العدل، صاحب هذا الكتاب .

وسيرى القارئ الكريم مصداق ذلك في جولاته العلمية الموفقة ، ودراساته الدقيقة للقائمة على حسن الفهم ، وعمق الإدراك ، كما سيلبس - في إعجاب شامل - قدرته الفائقة على التحليل الفنى للمذاهب الأدبية ، وإطلاعه الواسع على كنوز الأدب وذخائره ، وخبرته التامة بألوان الجمال الأدبي ، وأصول النسيج الفنى الرفيع . هذا إلى تواضع جم ، وحياء بالغ ، وإنكار للنفس ، وخلق على عظيم ، تمثل بعض جوانبه كلمته الطيبة فى آخر الكتاب .

وإنه ليسعدنى أن أقدم إلى جمهور العلماء والأدباء هذا اللون الجديد من الدراسات العلمية الأدبية الواسعة المدى ليقطفوا من جناها بعض الثمرات الشبوية التى آتتها « كلية اللغة العربية » ، فى خدمة اللغة والأدب تلك الكلية الفتية التى حملت عبء النهوض باللغة العربية وآدابها ، وهى بعد فى طفولة الزمن وبدء حياتها الطويلة إن شاء الله .

كما أنى جدا نخور أن كان لى شرف الإشراف على طبع هذا الكتاب القيم وتوشية ذبوله ببعض ماتستحق من طرف أدبية وحلى تاريخية أو علمية ، ولئن بدا بعض القصور أو التقصير فى مواضع من هذه التوشيات لقد أعجلنا الزمن . والرغبة الملحة من طالبى الكتاب فى انجازه عن بلوغ حد الكمال ، أو التفرغ للاكمال ، وموعدا بانكشاف هذا الغيم الطبقات التالية إن شاء الله . وإذا كان كثير من رجال العلم والأدب أساتذة وطلابا - وعلى رأسهم الأستاذ المؤلف - قد غمرونا بفيض من الاشادة والثناء ، وأولوا جهودنا مزيدا من المديح والاطراء ، فما ذاك - فيما أعتقد - إلا أثر مباشر لاعجابهم بالكتاب . ونهج صاحبه ، أو نبعة صافية من أخلاقهم السامية التى تأتى إلا الموازنة والتشجيع .

وخير ما أختتم به كلمتي هذه أن أوجه شكرى ، وجميل تقديرى
للأديبين النابهين محمد عليوة حسن ، وزيدان أبى المكارم حسن الطالبين بالسكية ،
فقد بذلا من الجهد ، وحملا من الأعباء ما خفف عن كاهلى كثيرا من المشاق
ولهما أعظم الفضل فى إبراز فهرسى « الأعلام » ، والقوافى ، اللذين ختمنا
بهما الكتاب ، فيجزاهما الله خير الجزاء .

* * *

وإنى لأرجو أن يوفق الله الأستاذ المؤلف إلى إتمام صوغ هذه السلسلة
الذهبية من سبائك عبد القاهر على هذه الصورة الجذابة فى بلاغة الأدب ،
وأدب البلاغة ، كما أرجوه جللت قدرته أن يوفق أبناء السكية وأساتذتها إلى
العمل على تأدية الرسالة التى أنشئت السكية من أجلها فى بعث الفصحى والنهوض
بها إلى ما كانت عليه فى عصورها الذهبية الأولى . إنه أكرم مسئول

عبد السلام أبو النجا

٦ رجب سنة ١٣٦٩

٢٣ أبريل سنة ١٩٥٠

الحائز لشهادة العالمية من درجة
أستاذ فى البلاغة والأدب
ومدرس الأدب بالسكية

كلية اللغة العربية

دراسة نصيلة شاملة

لبلاغة عبد القاهر

في التشبيه والتمثيل - التقديم والتأخير

تأليف

عبد الهادي العدل

أستاذ البلاغة بطلية اللغة العربية

ضبطوا وعلق عليها

عبد السلام أبو النجاة سرحان

المدرس بكلية اللغة العربية

دار الفكر للطباعة والنشر

دمشق - بيروت - القاهرة

میں سے اٹھنا اٹھنا

تہا لیسٹیلین لیسٹیلین

القا البیہ

یخوتہا یخوتہا - لیستہا لیستہا

سفال

نہا لیسٹیلین

یخوتہا یخوتہا

لیستہا لیستہا

نہا لیسٹیلین

یخوتہا یخوتہا

نہا لیسٹیلین

یخوتہا یخوتہا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله

وبعد :-

فإني أقدم لطلاب السنة النهائية بكلية اللغة العربية وللمعجبين بطريقة الإمام عبد القاهر الفذة في عرض قواعد البلاغة ، والمهتمين بتعرف فنه التحليلي في فهم الآثار الأدبية ونقدتها - هذه الدراسات التفصيلية الشاملة لبعض البحوث الهامة التي عرض لها في كتابيه « أسرار البلاغة ، ودلائل الإعجاز » .

والله أسأل أن يوفق لإتمامها وييسر النفع بها وأن يهديني إلى الصواب فيما إليه قصدت إنه سميع مجيب ؟

المؤلف

١٥ - محرم سنة ١٣٦٩

٦ - نوفمبر سنة ١٩٤٩

التشبيه والتمثيل

أما في اللغة : فإن كتبها تسكاد تُجمع على أن ، الشَّبه ،
والشَّبهه ، والشَّبيه ، كالمِثْل ، والمَثَل والمثيل ، وزناً ومعنى ،
وأن ، أشبهه ، وشابهه ، بمعنى ، ماثله ، ، فهما متفقان معنى ،
ولا فرق بينهما .

وأما عند علماء البيان : فقد انفقت كلمتهم على أن « التشبيه ،
أعم من « التمثيل ، عموماً مطلقاً ، وأن « التمثيل » أخص منه
خصوصاً مطلقاً . فكل تمثيل تشبيه ، وليس كل تشبيه تمثيلاً .
وذلك أن « التشبيه » عندهم : « الدلالة على مشاركة أمر لآخر
في معنى بأداة ظاهرة أو مقدره ،

وقد قسموه باعتبار وجه الشبه إلى قسمين : تشبيه غير تمثيلي ،
وتشبيه تمثيلي .

ثم اختلفوا في تحقيق الفرق بين القسمين ، وسنبين المشهور من
هذه الفروق مبتدئين برأى الإمام عبد القاهر إن شاء الله .

رأى الشيخ عبد القاهر

التشبيه عنده ضربان :-

أحدهما : تشبيه غير تمثيلي ، وهو « ما كان وجه الشبه فيه أمراً
يبتدئ بنفسه لا يحتاج إلى تأوُّل ، وصرف عن الظاهر ، لأن
المشبه فيه مشارك للمشبه به في صفته ، وذلك يتحقق في حالين .

الأول : أن يكون الوجه « حسِّيًّا » أى مدركاً بإحدى الحواس الخمس الظاهرة .

الثانى : أن يكون الوجه « عقليًّا حقيقيًّا » أى ثابتاً مقررًا فى ذات الموصوف ، وهو الكيفيات النفسية ، كالأخلاق ، والغرائز والطباع نحو : الكرم والبخل ، والشجاعة والجن ، والذكاء والبلادة والصبر والجزع ، والقوة والضعف ، والمكر والدهاء واللؤم وسمو الأخلاق .

أمثلة الوجه الحسى :

١ — تشبيه الشيء إذا استدار بالكرة فى وجهه ، أى إذا كان شبيهاً بها ، وبالحلقة (١) فى وجهه كذلك ، تقول : الأرض كالكرة والتفوا حوله كالحلقة ، والوجه فى كليهما : الاتحاد فى الشكل والصورة . ويراد بالشكل : الشكل الهندسى .

٢ — تشبيه الخد بالورد فى الحمرة ، والشعر (٢) الأسود بالليل فى السواد ، والوجه بالنهار فى البياض والهباء ، وسقط النار (وهو بتثليث السين : ما يخرج من الزند عند إيرائه) بعين الديك فى الحمرة الخاصة « والوجه - كما ترى - فى كل : لاتحاد فى اللون .

٣ — تشبيه الثريا بعنقود السكرم المنور فى قول أبى قيس بن الأسلت (٣) :

وقد لاح فى الصبح الثريا لمن رأى
عنقود ملاً حيةً (٤) حين نوراً

(١) بسكون اللام وقد تفتح وتسكّر فى حلقة الباب والقوم (٢) بفتح العين وسكونها (٣) اسمه صيغى بن عامر بن جثم من نسل ماء السماء والاسلت لقب أبيه ، مات ولم يسلم على الصحيح ، وقيل إن البيت له أولاً حيحة بن الجلاح الصحابى المشهور ، راجع ص ٣٢٢ مطول ونسبه فى أسرار البلاغة ص ٧٥ لقيس بن الخطيم (٤) غب أبيض طويل .

وجهه الشبه مركب من اللون والشكل ، لأنه عبارة عن : اجتماع
أجرام صغيرة بيضاء مستديرة متقاربة غير متلاصقة ، على شكل مثلث
ذى قدر مخصوص .

٤ - تشبيه النرجس مداهن درّ حشوهن عقيق في قول ابن
المعتر (١) :

كَانَ عَيُونُ النَّرْجِسِ الْغَضَّ حَوْلَنَا

مـداهن درّ حشوهن عقيق (٢)

وجه الشبه مؤلف من اللون والشكل أيضا ، فهو الهيئة الحاصلة
من اجتماع أجرام صغار بيضاء مستديرة متلاصقة على شكل دائرة
تخطيط بدائرة أخرى حمراء . ولا يخفى أن المشبه به هنا خيالي لا وجود له
في الأعيان ، وأن « عيون النرجس » يحتمل أن تكون من إضافة
المشبه به للمشبه إن أريد من « العيون » حقيقةها ومن « النرجس »
الزهر ؛ وأن تكون « العيون » استعارة للزهر تصريحية أصلية
- إذا أريد بها الزهر ، وبالنرجس النبات -

٥ - تشبيه القامة بالرمح ، والقذ اللطيف بالغصن أو بالآلف ،
كقوله .

وَذِي شَطَاطٍ كَصَدْرِ الرَّمْحِ مَعْتَقِلٍ بِمِثْلِهِ غَيْرَ هَيَّابٍ وَلَا وَكِيلٍ (٣)

وقوله .

غَزَالٌ فَوْقَ مَا أَصِيفُ كَأَنَّ قَوَامَهُ (٤) « أَلِفٌ »

(١) عبد الله الخليفة العباسي المقتول سنة ٢٩٦ هـ (٢) المدمن كبليل : قارورة الدهن
ورواية أسرار البلاغة ص ٧٥ حولوا وما هنا أشهر (٣) الشطاط بفتح الشين وكسرها
الطول ، والوكيل المثلواكل (٤) بفتح القاف الطول .

والوجه ، الاتحاد في الهيئة ، فإن كُلاًّ مستو منتصب مديد .

٦ — وتشبيه الذهاب على الاستقامة بالسهم السديد ، والوجه .
السرعة في استقامة .

٧ — وتشبيه من تأخذه الأريحية - أى الارتياح للمكارم -
فيهتز ، بالغصن تحت البارح - والمراد بها هنا الريح الشديدة - كقوله .

وتأخذه عند المكارم - زة -

كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب (١)

والوجه . الاتحاد في هيئة الاهتزاز ، وكأن الشيخ أراد بالهيئة
الأحوال العارضة للشكل .

ملاحظة : ما سبق كله مدرك بجاسة البصر .

ومثال المدرك بجاسة السمع ، قول ذى الرثمة (٢) :

كأن أصوات من يغالهن بنا أواخر الميسس إنقاض الفراريج

الايغال : مصدر أوغل في السير إذا أبعد وأسرع ، والضمير للابل ،
والأواخر : جمع آخره ، الرّحل ، وهى : العود الذى يستند اليه الراكب ،
والميسس . شجر صلب تتخذ منه الرحال والمراد الرحال نفسها مجازاً
مرسلاً من إطلاق الجزء على الكل ، أو إطلاق الشيء على ما يؤول إليه ،
والإنقاض - بكسر الهمزة - مصدر أنقضت الدجاجة . صوتت ،
والفراريج ، جمع فروج . وهو صغير الدجاج .

(١) البارح ريح الصيف الحارة ، والغصن يسكون الصاد وحرك إتباعاً للضرورة .

(٢) غيلان بن عقبة بن مسعود من فحول شعراء البادية والعصر الأموى ومن العشاق

المشهورين في التاريخ الأدبي توفي سنة ١١٧ هـ .

يريد الشاعر أن بعض الرحل يحك بعضه ، فيحصل صوت شبيه بصوت صغار الدجاج من شدة السير واضطراب الرحل ؛ ووجه الشبه الاتحاد في النغمة الخاصة .

وفي البيت ضعف تأليف ، للفصل بين المضاف والمضاف إليه بأجنبي ، وأصله :-

كأن أصوات أواخر الميس لتفاض الفراريج من يغالهن بنا .
وقوله أيضا يصف إبلا .

كأن على أنيابها كلَّ سَحْرَة

صياح البوازي من صريف اللوائك (١)

السحرة - بالضم - السحر الأعلى قبل انصداع الفجر ، ولهم سحر آخر عند انصداعه ، والصريف . صوت النّاب والبكرة والباب ، يقال . صرف يصرف ، كضرب يضرب . صريفا إذا صوت ؛ واللوائك جمع لائك اسم فاعل من لأك الطعام إذا مضغه ، يريد المواضع .

لا يخفى أن كأن للظن هنا ، لأن خبرها مشتق ، والمعنى . أن سامع صوت هذه الإبل يظن أن صوت البوازي جار على أنيابها ، ولما كان منشأ هذا الظن مشابهة صريف أنيابها لصياح البوازي ، جعله الشيخ مثالا لتشبيه ذلك الصريف بصياحها ، « فصياح » . اسم كأن ، و « على أنيابها » . خبرها ، و « من صريف » . متعلق بما تعلق به الخبر ، فالتشبيه في هذا

(١) « على أنيابها » هكذا في جميع كتب البلاغة وكتاب السكامل للمبرد والصحيح « على أنيابها » لأن الضمير يعود على مذكر ورواية المبرد « كل سدفة » وراجع الآيات التي قبل هذا البيت ص ١٩ ج ٧ من رغبة الآمل للشيخ سيد المرصفي .

البَيْتَ معنوى لا لفظى . ووقوع اسم كَأَنَّ إذا كانت للظن مشبها به
فى معنى كثير ، من ذلك قول الشاعر .

كَأَنَّ دنانيرَ آ على قسَماتهم وإن كان قد شَفَّ الوجوه لقاء

يريد تشبيه قسَماتهم بالدنانير ، كما قال الآخر .

سألت عليه شعاب الحى حين دعا أنصاره بوجوه كالذئب (١)

ومنه قول الآخر (٢) .

كَأَنَّ المَدَامَ وصبَّ الغمام ونشرَ الخِزَامى وريح القطر

يُعلُّ به بَرْدُ أنيائها إذا طَرَبَ الطَّارُ المُستَحِر

الخِزَامى . نبت طيب الرائحة ، والقطر . نوع من الطيب ، ويعل .

يمزج ، وبرد أنيائها . ريقها ، والمستحِر . المصوَّت فى وقت السحر .

جعل صاحب الايضاح هذين البيتين مثالا لما تعدد فيه المشبه به دون
المشبه ، ومعناهما . أنك تظن أن برد أنيائها مزج بهذه الأمور لأنه يشبهها .

قال ابن السبكي . إنه تشبيه معنوى لا لفظى ، لأن كَأَنَّ للظن ،
ولا تلتفت إلى ما يتوهم من أ « صياح » مرفوع على أنه خبر « كان » ،
واسمها محذوف موصوف بالجار والمجرور ، أى كأن صوتا على أنيائها
صياح . . . الخ ، أو أن اسمها « صريف » فى آخر البيت ، و « من »
زائدة ، فذلك لا تجيزه القواعد العربية قطعا .

ومثال وجه الشبه المدرك بالذوق . تشبيه بعض الفواكه ببعض ، أو
بالعسل فى الطعم .

(١) الشعاب جمع شعب كعجل : الطريق والشاعر ابن المعتز . (٢) هو امرؤ القيس .

ومثال المدرك باللمس . تشبيهه الجلد الناعم بالحرير ، والجلد الخشن بالمسح - بكسر الميم - وهو ثوب من الصوف الغليظ .

ومثال المدرك بالشم . تشبيهه بعض الأشياء بالريحان أو الكافور .

أمثلة الوجه العقلي الحقيقي .

فلان كحاتم في الكرم ، وكما در (١) في البخل ، وكالأسد في الشجاعة ،
وكالذئب في لؤم الخلق ، قال أبو فراس (٢) .

وقد صار هذا الناس إلا أقالهم ذئاباً على أجسادهن ثياب
وكالتشبيهه بالثعلب في المكر ، وبالثور في القوة ، وبالكب
في الوفاء .

لماذا لم يحتاج هذا الضرب الى تأويل؟

سبب ذلك . أن الاشتراك وقع في الصفة - أي صفة المشبه به -
نفسها ، وحقيقة جنسها . فهي موجودة في المشبه وجودها في المشبه به ،
وظاهر التشبيه وباطنه سواء . فأنت إنما شئت الخد بالورد مثلاً ، لأنك
وجدت في كليهما حمرة ، وشبّهت الرجل بالأسد ، لأنك علمت في كليهما
شجاعة ، فأى تأويل يحتاج إليه ؟ فأنت تحس الحمرة هنا كما تحسها هناك ،
وتعلم الشجاعة في الرجل كما علمتها في الأسد .

هذا هو الضرب الأول غير التمثيلي ، ويسميه الشيخ أحياناً « التشبيه

(١) مادر : لقب رجل من بني هلال بن مالك بن صعصعة يسمى مخارقاً ، لأنه سقى
إبله فبقي في الحوض قليل ماء فسلح فيه حتى لا يستقي منه أحد (٢) هو الخارث بن سعيد
ابن حمدان وابن عمه سيف الدولة ، شاعر فارس من شعراء اليتيمة « راجع ص ٢٧ -
ص ٧١ » ج ١ منها .

الظاهر » و « التشبيه الصريح » وقد يطلق عليه اسم « التشبيه » فقط ، ويقول . إنه هو التشبيه الأصلي الحقيقي كما سيأتى .

(الضرب الثانى) هو « التشبيه التمثيلى » ، وهو . « ما لا يكون وجهه أمرا يبتنا بنفسه ، بل يحتاج تحصيله إلى تأوُّل ، وصرف عن الظاهر ، لأن المشبه لم يشارك المشبه به فى صفته الظاهرة » .

وذلك الضرب يتحقق فيما إذا كان الوجه ليس حسيا ، ولا من الأخلاق والغرائز والطباع العقلية الحقيقية ، ولكنه يكون عقليا غير حقيقى ، أى غير مقرر فى ذات الموصوف . أمثلة ذلك .

١ - حجة كالشمس فى الظهور . المشبه مفرد عقلى ، لأن المراد بالحجة معنى الكلام ، لا نفس الكلام المسموع ، والمشبه به مفرد حسى ، ولما كان وصف المشبه به الظاهر ... وهو « الظهور » - من خواص المحسوسات - لأن معناه الا يكون هناك مانع للبصر من رؤيته - لم يصح اتصاف المشبه به ، فاحتجنا إلى التأوُّل وصرف الكلام عن ظاهره ، وإرادة ما يستلزمه الظهور - وهو عدم المسانعة من الإدراك - لكي يكون شتركا بين الطرفين .

٢ أفاضه كالعسل فى الخلاوة ، وكالنسيم فى الرقة ، وكالماء فى السلاسة : المشبه مفرد ، والمشبه به متعدد ، ولما كان المشبه لا يصح اتصافه بهذه الأوصاف احتجنا إلى التأوُّل ، وإرادة ما تستلزمه هذه الأوصاف من قبول النفس للشيء وحسن وقوعه فيها ، وإفادته إياها « وحا وشاطا ، وميلها إليه ، ورغبتها فى الاستزادة منه ، وذلك لأنه هو الوجه المشترك بين الطرفين .

٣ - « هم كالخليفة المفرغة لا يُدْرَى أين طرفاها ، هذه عبارة قالتها فاطمة بنت الخضر شرب الأنمارية حين سئلت : أى بنينا أفضل (١) ؟ وأوردها كعب بن معدان الأشقري (٢) في رده على الحجاج حين سأله عن بنى المهلب ابن أبى صفرة أيهم كان أنجد ؟

و « المفرغة » : التى أذيب معدنها ، وأفرغ فى قالب فلا يظهر لها طرف والمراد : أنها لا طرف لها حتى يعرف .

ووجه الحاجة الى التأول هنا : أن المشبه ليس متصفا بوصف المشبه به الظاهر - وهو الاستدارة مع استواء الأجزاء - بل المقصود ما يلزم ذلك من التناسب التام ، وعدم إمكان المفاضلة بين جزء وجزء ، وهذا هو الوجه المشترك ، وهو على ما يظهر مفرد ، ويقال : إنه مركب ، ولعل ذلك لأنه يريك صورة أمور تساوت حتى لا يمكن تمييز بعضها عن الآخر وهو كما نرى .

تفاوت هذا الضرب .

نبه الشيخ هنا إلى أن المحتاج إلى التأول يتفاوت .

فمنه ما يقرب مأخذه ، ويسهل الوصول اليه بأيسر سبيل ، كالمثال الأول .

ومنه ما يحتاج لى قدر من التأمل ، كالمثال الثانى .

(١) ويعرفون بالكلمة وهم بنو زياد العبسيون ، أنس الحفاظ ، « ويسمى أيضا أنس الفوارس » ، وعمارة الوهاب ، وربيع الكامل وقيس الجواد على ما روى أبو جعفر النحاس وقال المبرد وغيره : ربيع الحفاظ وأنس الفوارس وعمارة الوهاب راجع ص ١٨٧ ج ٢ العمدة (٢) الازدى ، شاعر خطيب فارس عاون المهلب بن أبى صفرة معاونة جدية فى حرب الخوارج ومات قتيلا بيد أخيه لأمه سنة ١٠٢ ومن شعره :
إلا أكن فى الارض أخطب قائما فانى على ظهور الكميت خطيب

ومنه ما يدق ويغمض حتى يحتاج إلى فضل رويّة ، ولطف فكر ،
وهو ما كان من قبيل المثال الثالث الذى لا تراه إلا فى الآداب والحكم
المأثورة عن الفضلاء ، وذوى العقول الكاملة .

وهذا التفاوت مبنى على ظهور وجه الشبه وخفائه .

وجه حاجة هذا الضرب إلى التأويل .

وجه ذلك ؛ أنه لم يقصد إشراك المشبه للمشبه به فى صفته الظاهرة
نفسها ، بل فى حكمها ومقتضاها ، وأمر لازم لها ، فالاشتراك بين الكلام
والعسل ، مثلا ليس فى « الحلاوة » ، نفسها ، بل فى لازمها - وهو ميل النفس
ولذتها ورغبتها - وحينئذ يكون باطن التشبيه وحقيقته خلاف ظاهره
فيحتاج إلى التأويل ، لبيان حقيقة المراد .

هذا هو التشبيه التمثيلى ، ويجوز أن يسمى « مثالا » ، ولا يجوز
أن يسمى غير التمثيلى « مثالا » .

منى « التأويل » :

فى أمثلة الضرب الثانى . « صرّف عن الظاهر ، ورجوع من أمر إلى
أمر بضرب من التلطف ، وحسن التصرف ، وبيان أن الاشتراك فى أمر
آخر غير الذى يظهر بادى الرأى » وهذا المعنى هو ما سماه الشيخ بـ « التأويل »
وهو لفظ منطبق على هذا المعنى أتم الانطباق ، فان معنى « أولت الشيء » ،
وتأولته . « طلبت ما يؤول إليه » ، فاذا قلت . تأولت كلام فلان ، فمعنى
ذلك . أنك بيّنت أن المراد به خلاف ظاهره ، فان كان مجازا فانك تردّه
إلى معناه المجازى ، لىكن تبين أنه حقيقة مراد المتكلم ، وأن المعنى الوصفى
غير مراد بقريضة لفظية أو عقلية ؛ وإن لم يكن مجازا ولكن يقتضى العقل

صرفه عن ظاهره ، فعنى تأوله . أنك تطلب الموضع - أى المعنى - الذى يرشد اليه العقل ، ويقضى بأنه المراد .

ومثال هذا ، قول الشاعر (١) .

عَلَفْتُهَا تَبْنَأَ وَمَاءً بَارِدًا .

فان « الماء » لا يعلف ، ويقضى العقل أن يقدر فعل يَنْتَصِبُ به « ماءً » نحو . وسقيتها .

وكذلك أمثلة التضمنين البياني ، نحو . هذا الأمر أظهر من أن يخفى ، وفلان أعقل من أن يكذب ، لا يصح إرادة الظاهر الذى هو أظهر من من الخفاء ؛ وأعقل من الكذب ولا بد من تأول فيه ، وتضمن الكلام لفظ « أبعد » ليعلق به الجار والمجرور .

ويمكن أن يكون من هذا القبيل ما نحن فيه ، فان العقل يقضى فى نحو . كلام كالعسل فى الخلاوة . بأن الاشتراك فى لازم الخلاوة ، لافى الخلاوة نفسها ، وأن المذكور إنما هو تخييل ، وليس بمستعمل فى لازمه ، ويمكن أن يكون « مجازا » .

اشتقاق كلمة (أوّلت وناولت ، والتأويل ، وانتأول) :

كلها مشتق من آل الأمر الى كذا يؤول : إذا انتهى اليه ورجع ، والمآل : المرجع ، والمناسبة بين المشتق والمشتق منه واضحة ، فى كل رجوع وانتهاء من أمر الى آخر .

وزعم البعض أنها مشتقة من كلمة (الأوّل) ، ولعل المناسبة : أن

التأول طلب للمعنى الذى هو أول فى قصد المتكلم ، أو فى نظر العقل ، وهو تكلف .

وزيّف الشيخ هذا رأى : بأن علماء الصرف نصّوا على أن (فعّل) لا يشتق من كلمة فأؤه وعينها من نوع واحد ، مثل : الدّان (١) ، وكوكب ، وكلمة (أول) من هذا القبيل ، فإن كلاً من فأؤها وعينها من نوع واحد هو الواو ، بدليل أنه يقال : هو أول منه - أى أسبق - فهو أفعل تفضيل ، والواو الأولى فاء الكلمة ، والثانية عينها ، فلا يصح اشتقاق (التأويل ، والتأول) منها .

هذا ، وقد جاء لفظ (أول) فى القاموس فى مادة : (وأل) وهى ذلك ليست فأؤه وعينه من نوع واحد ، وجاء فى مادة . (وول) وقال . هذا موضعه ، فهو يوافق رأى الشيخ .

ورجح (الصبان) فى حاشية الأتمنى أنه من مادة (وأل) بدليل جمعه على (أوائل) إذ الأصل عدم القلب ، ثم قال . إنه يستعمل على أربعة أوجه .

١ - اسم ، بمعنى مبدئ الشيء ، نحو . ما له أول ولا آخر .

٢ - اسم ، بمعنى السابق ، نحو . لقيته عاماً أولاً ، وهذا تلحقه تاء التأنيث إذا وقع صفة لمؤنث .

٣ - وصف ، بمعنى أسبق ، نحو . هذا أول من هذا . فهو أفعل تفضيل ، يمنع من الصرف ، ولا فعل له من لفظه .

(١) الدّان محرّكة اللّوى ولعب كالدد ، والديد كضرب والديدان بفتح الياء .

٤ - ظرف ، نحو . رأيت الهلال أول الناس ، وهذا هو الذى يبنى اذا قطع عن الاضافة .

التشبيه غير التمثيل هو الأصل الحقيقى ، والتمثيل فرع له ومبنى عليه
لقد اتضح - فى بيان (الضرب الثانى) - أن الوصف الثابت فى الفرع الذى هو المشبه - ليس هو الوصف الثابت فى الأصل - المشبه به - ولكنه لازمه ومقتضاه .

أما (الضرب الأول) فإن الثابت فى الفرع هو الثابت فى الأصل بحقيقته وجنسهِ .

والتفاوت بينهما بالكثرة والقلة ، والضعف والقوة ، ولذلك كان (الضرب الأول) هو التشبيه الحقيقى الأصلى ، و « الضرب الثانى » فرع له ومبنى عليه ، ويؤيد ذلك ثلاثة أوجه .

الأول . وجه عقلى ، وهو أن التشبيه يقتضى اشتراك الطرفين فى أمر ومعلوم أن الاشتراك فى نفس الصفة أسبق فى التصور من الاشتراك فى لازمها ، كما أن تعقل الصفة نفسها أسبق من تعقل مقتضاها ، ف « الحلاوة » تتصور أولا ثم يعلم بعد ذلك أنها تقتضى « اللذة » وحينئذ يكون الاشتراك فى نفس الصفة أصلا ، كاشتراك (الفاكهة والعسل) فى (الحلاوة) ، والاشتراك فى مقتضاها فرعا ، كاشتراك (الكلام ، والعسل) فى مقتضى (الحلاوة) .

الثانى . وجه لغوى ، وهو أنا إذا بحثنا عن تصرف مادة (شبه) وما يشق منها وجدناه يقتضى أن يكون الشئان من الاشتراك فى الوصف بحيث يجوز أن يتوهم أن أحدهما هو الآخر ، مثل كلمة (الشبهة) ، فإنها تفيد اختلاط الحق بالباطل بحيث لا يتميز أحدهما عن الآخر إلا بتأمل ،

و « متشابهها » في قوله تعالى : « وأتوا به متشابهاً » معناه : يظنون أن أحدهما هو الآخر ، و « شُبَّه » في قوله تعالى : « ولكن شُبَّهَ لَهُمْ » معناه : ظنوا أن الذي قتلوه هو عيسى مع أنه غيره ، و « الاشتباه » معناه : اختلاط الأشياء ، وعدم التمييز بينها ، ومنه « تشابه » في قوله تعالى : « إن البقرَ تشابهَ علينا » ، وفي قول الشاعر (١) :

رَقَّ الزُّجَاجُ وراقَتِ الخَمَرُ فتشابهَا فتشاكلَ الأمرُ
فكأَنَّهما خمرٌ ولا قدحٌ ، وكأَنَّما قدحٌ ، ولا خمرٌ
والذي يجوز أن يتوهم فيه أن أحد الأمرين هو الآخر : إنما هو « التشبيه غير التمثيلي » فيكون هو الأصل ، والثاني هو الفرع .

الثالث : دليل عرفي ، وهو أنا نجد العقلاء وأهل العرف يؤكدون أمر المشابهة بين الشيئين بقولهم : لا يمكنك أن تفرق بينهما إلا بأمر خارج عن صورتها ، وإذا رأيت الثاني ظننته الأول ، وذلك لا يمكن على سبيل الحقيقة إلا في التشبيه غير التمثيلي ، لأنه الذي يمكن أن يشترك فيه الشيئان في صفات توجب عدم التمييز بينهما إلا بتأمل .

أما « التمثيل » فإنه لا يقال فيه مثل ذلك إلا على سبيل المقاربة ، أو المجازفة - أي عدم التحري ، وعدم قصد التحقيق - فلا تقول في كلامه كالعسل في الخلاوة ، : لا يفترقان ، إلا على سبيل تنزيل « لذة الكلام » منزلة

(١) رواية اليتيمة ص ٢٣٦ ج ٣ (ورقت الخمر) ، ورواية أبي هلال في ديوان المعاني ص ٣١٠ ج ١ :

رق الزجاج وراقت الخمر وتشابهَا فتقارب الأمرُ
فكأَنَّها خمرٌ ولا قدحٌ وكأَنَّه قدحٌ ولا خمرٌ
ولعلها أدق . وهما لصاحب بن عباد وترجمته في (اليتيمة) ج ٣ ص ١٦٩-٢٥٦
(٢ دراسات)

« حلاوة العسل » ، لا أن ذلك على الحقيقة ، إذ لا حلاوة في الكلام قطعاً ،
وليست « لذة الكلام » من جنس « الحلاوة » .

فالشبه المتأول الذي ينتزعه العقل ليس كالشبه الأصلي المحسوس ، فإنه
إنما يقرب المشبه من المشبه به ، ولسكنه لا يجعله متصفاً بصفته على الحقيقة ،
وإذاً يكون غير التمثيلي أصلاً ، والتمثيلي فرعاً .

النسبة بين الضربين :

لقد اتضح الفرق بين التشبيه والتمثيل عند الشيخ مما تقدم ؛ فإذا أردنا
بالتشبيه المعنى العام وهو : « الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى بأداة »
فهو أعم من التمثيل مطلقاً ، والتمثيل أخص منه مطلقاً ، لأنه قسم منه ،
وعلى ذلك قول الشيخ :

« فاعلم أن التشبيه عام ، والتمثيل أخص منه ، وأن كل تمثيل تشبيه ،
وليس كل تشبيه تمثيلاً » .

وإذا أردنا بالتشبيه ما قابل التمثيل ، فهما متباينان متقابلان ، كل منهما
قسم من التشبيه العام .

والشيخ كثيراً ما يطلق التشبيه ويريد به : ما قابل التمثيل ، كقوله :
« فأنت ، تقول في قول الشاعر :

وقد لاح في الصبح الثريا لمن رأى كعنفود ملاحية حين نَوَّرَا

إنه تشبيه حسن ، ولا تقول : إنه تمثيل » .

التشبيه والتمثيل في شعر ابن المعتز :

يقولون : إن ابن المعتز حسن التشبيهات ؛ بديعها ، ولا يقولون :

إنه حسن الأمثال ، يريدون بـ « التشبيهات » : التشبيهات غير التمثيلية - أى تشبيه المحسوسات بعضها ببعض بوجه لا يحتاج إلى تأويل - ويريدون بـ « الأمثال » التشبيهات التمثيلية التى لا يحصل وجهها إلا بتأويل . وذلك لأن إحسانه فى النوع الأول أكثر ، وهو به أشهر .

أمثلة من تشبيهات ابن المعتز غير التمثيلية . قال :

قدم يا صديقى نصطبح بسواد
قد كاد يبدو الصبح أو هو باذى

وأرى الثريا فى السماء كأنها
قدم تبدت من ثياب حداد

يشبه « الثريا » تلوح فى سواد الليل ، بقدم بيضاء بدت من ثياب سوداء ، والوجه . بدو صورة شىء أبيض يكاد يكون مثلثا من شىء أسود منبسط .

وقد أكثر الشعراء من تشبيه « الثريا » ، فمن ذلك قول ابن المعتز :

وكان الهلال نصف سوارٍ والثريا كفٌ تشير إليه

وقول الواواء (١)

والثريا كأنها كفٌ خَوْدٍ (٢) داخلتها للبين رعدة وجد

(١) هو : أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني من شعراء (البيعة) راجع ص ٢٣٥

— ٢٤٤ ج أول منها .

(٢) الخود - كعبد - الشابة الجميلة أو الناعمة جمعوا خودات وخود كقفل .

وقول ابن رشيقي (١) :

والثريا قبالة البدر تحكى
باسطاً كفّه ليأخذَ جاماً (٢)

وقول بعضهم :

كأن الثريا هودج فوق ناقة
يحثُّ بها حادٍ إلى الغرب مززعج

وقول الآخر :

والثريا كأنها رأس طرفٍ
أدهم زيناً باللجام المحاسي (٣)

وقول الآخر :

ونجم الثريا في السماء كأنه
على حلة زرقاء جيبٌ مُدَنَّر (٤)

وقول ابن المعتز :

وتروم الثريا في الغروب مراماً

كانكباب طمرٍ كاد يلقى اللجاماً (٥)

في البيت استعارة بالكناية ، فقد شبهت الثريا في إسراعها إلى جهة الغرب بمن له تروم ، وأمر مرغوب فيه يسعى إليه حثيثاً ، بجامع الاسراع في كل ، ثم دل على هذا التشبيه باستعارة لازم المشبه به ، وهو « تروم » للمشبه ، وأما تشبيهها بالظمر المذكور فالظاهر أنه أراد تشبيهها برأسه

(١) هو الحسن بن رشيقي الكبير صاحب كتاب العمدة ولد سنة ٣٩٠ وتوفي سنة ٥٤٦٣ هـ .

(٢) قبالة بضم القاف : تجاه والجام : إناء من فضة .

(٣) الطرف كعلم الكريم من الخيل والادهم مافي لونه دهمه أى سواد .

(٤) الجيب : الطوق والمدنر المتألى والكثير الدنانير .

(٥) الظمر : الفرس القوي الوثاب

الهاوى (١) الى الأرض حتى كاد يلقى لجامه ، والوجه : الاتحاد في الشكل ،
والانحدار الى جهة الأرض ، وتشبيهها برأس الطرف معروف ، ومنه
ما سبق .

وقال ابن المعتز :

قد انقضت دولة الصيام وقد بشرَّ سقيم الهلال بالعيد
يَتَلو الثريا كفأغرٍ شره يفتحُ فاه لأكِل عنقود

أراد بـ « دولة الصيام » : سلطانه على الصائمين ، ومنعه إياهم من الطعام
والشراب وسائر اللذات ، فهو يشبهه بحاكم ذى دولة فى التسلط والقهر ،
ويستعير لازم المشبه للدلالة على هذا التشبيه ، كما يشبه الهلال بالسقيم فى
النحول ، ويبدل على هذا التشبيه باضافة لازم المشبه به للمشبه ، ثم يشبهه
وهو يتبع الثريا بفأغر فنه لأكِل عنقود ، ووجه التشبه . صورة دنو شئ
مقوَّس أبيض من شئ مثلث ذى أجرام بيضاء متفرقة .

تنبيه : أرجوزة ابن المعتز فى الصيد مشروحة فى الكتاب (٢) ، وكل
تشبيهاتها غير تمثيلية .

أمثلة من تشبيهات ابن المعتز التمثيلية قال :

إصبرْ على مَضض الحسو دِ فَإِنْ صَبْرَكَ قَاتِلَهْ

فَالنَّارُ تَأْكُلُ نَفْسَهَا إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلَهْ

المشبه . الحسود الذى يهمله المحسود ، ولا يعنى به ، ولا يظهر له من
التألم ما يشفى غليل صدره ، فيشتعل غيمظه فى داخله حتى يورده موارد

(١) صفة للرأس لأنه مذكر (٢) أى أسرار البلاغة ص ٧٦ وهامشها

الهلاك ، والمشيبه به . النار لا تمتد بالوقود ليستمر لها ، فتضطرم في نفسها حتى تنفد ، ووجه المشبه . إسرار الفناء ، لا تقطع ما فيه مدد البقاء ، وكل من الطرفين ووجه مركب ، وكان هــذا « تمثيلا » لأن الوجه فيه ليس حسيا ، ولا عقليا حقيقيا ، وحاجته الى التأول ظاهرة ، لأن المشبه لم يتصف بالوصف المحسوس للمشبه به .

وقال .

كَمْ حَاسِدٍ حَنِقَ عَلَى بِلَا ذَنْبٍ فَلَمْ يَضُرَّنِي الْحَنِقُ
مُسْتَضَاحُكَ نَحْوِي كَمَا ضَحَكَتْ نَارُ الذُّبَابِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ

وقال .

وَنَدَّ مَن سَقَيْتَ الرَّاحَ صِرْفًا
وَأَفْثَقَ اللَّيْلَ مَرْتَفِعُ السُّجُوفِ
صَفْتُ وَصَفْتُ زَجَاجَتَهَا عَلَيْهَا
كَمْ حَنَنْيَ دَقَّ فِي ذَهْنٍ لَطِيفٍ

وجه المشبه هنا . نهاية اللطف والدقة في الحاوي والحوى ، وهذا من تشبيه المعقول بالمحسوس ، وهو قليل .

التمثيل في شعر صالح بن عبد القدوس (١) .

ويقولون . إن صالح بن عبد القدوس كثير الأمثال في شعره ، يريدون بـ « الأمثال » . ما كان وجه المشبه فيه عقليا محتاجا إلى التأول ، من ذلك قوله .

(١) شاعر عباسي متكلم متفلسف قرأ الكتب المترجمة وأعجب بحكمة اليونان

فاتهم بالزندقة وقتله المهدي ثم صلبه على جسر بغداد سنة ١٦٧ هـ . (١)

وإن مَنْ أدَبَتْهُ في الصِّبَا كالعود يُسقى الماءَ في غَرْسِهِ
حتى تراه مورِقاً ناضراً بعدَ الذي أبصرتَ مِنْ يَبْسِهِ

المشبهه : الصبي يتعهد بالترتبية والأدب في صباه ؛ والمشبه به : العود
يغرس صغيراً ، ويتعهد بالسقى ، وكل ما يصلحه ؛ والوجه : أن كلا
يجدى فيه العلاج ؛ ويثمر التعهد ، ويصل به الى الكمال المنشود منه ؛
لوضعه في موضعه ، ومصادفته وقته ؛ وكل من الطرفين والوجه مركب ،
وحاجته الى التأول ظاهرة ؛ لأن الاشتراك في لازم صفة المشبه به
لا في نفسها .

ومن أمثاله :

وكذلك وصل الغانيات فانه

آلٌ يبلقعةً وبرقٌ خُلب (١)

إن القلوبَ إذا تنافَرَ ودَّها

مثل الزُّجاجةِ كسرها لا يشعب (٢)

يلقاك يحلف أنه بك واثق

فاذا توارى عنك فهو العقرب (٣)

ومنها :

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رَمْسِهِ

إذا ارعوى عادَ إلى غِيَّهِ كذى الضننى عادَ إلى نَكْسِهِ

(١) آل : سراب ، بلقعة : أرض قفر . والبرق الحلب المطمع الخلف الذى يخذع

الناس بنزول المطر ثم لا ينزل المطر .

(٢) ومعنى يشعب هنا : يوصل أو يصالح لأن شعب من معانها أيضاً التفریق

والافساد ففي من أسماء الاضداد . (٣) يروى هذا البيت بعيداً عن سابقيه

تنبیه : ینقسم وجه الشبهه عند الشيخ إلى ثلاثة أقسام :

١ - عقلي : وهو ما ليس حسیا ، ولا من الاخلاق والغرائز وسائر
الکيفیات النفسانية .

٢ - حسی .

٣ - ما كان من الاخلاق والغرائز ؛ وهذا وإن كان عقليا فان الشيخ
لم يطلق علیه اسم العقلي لقربه من الحس فی تقررہ وثبوته فی ذات الموصوف
وعلى ذلك يكون رأى الشيخ :

أن كل تشبيه يكون وجه الشبهه فيه حسیا مفرداً ، فهو : تشبيه غير تمثيلي

» » » » » مركبا » » » » »

» » » » » من الغرائز مفرداً » » » » »

» » » » » عقليا » » » » » تمثيلي

» » » » » مركبا » » » » »

رأى السكاكى (١)

جاء السكاكى - بعد الشيخ - فقسم « وجه الشبهه » الى ثلاثة أقسام أيضا
موافقا له :

١ - حسی .

٢ - عقلي حقیقی ، وهو الکيفیات النفسانية .

٣ - عقلي غير حقیقی ، وهو ما عداهما .

(١) هو : أبو يعقوب يوسف بن ابى بكر محمد بن على السكاكى أحد الاعلام
الذين يمتد بهم فى علم البلاغة والتصنيف فيه توفى سنة ٦٢٦ هـ .

وقال : اذا كان وجه الشبه عقليا غير حقيقى ، وكان مرکبا ، فهو تشبيه تمثيلى ، والا فهو غير تمثيلى . فيكون رأيه :

أنه اذا كان وجه الشبه حسيا مفردا ، فهو : تشبيه غير تمثيلى .
» » » » حسيا مركبا ، فهو : تشبيه غير تمثيلى .
» » » » عقليا حقيقيا مفردا فهو : تشبيه غير تمثيلى .
» » » » غير حقيقى مفردا ، فهو : تشبيه غير تمثيلى .
» » » » مركبا ، فهو : تشبيه تمثيلى (١)

رأى الخطيب (٢)

صاحب « الايضاح »

قسَّم « الوجه » قريبا من ذلك ، ولكنه عرّف « التشبيه التمثيلى » بأنه : « ما كان وجهه منتزعا من أمور متعددة ، سواء كان حسيا ، أم عقليا » .
وعرف « غير التمثيلى » بأنه : ما ليس كذلك . فرأيه :

أن كل تشبيه كان وجهه حسيا مفردا ، فهو : تشبيه غير تمثيلى .
» » » » حسيا مركبا ، فهو : تشبيه تمثيلى .
» » » » عقليا حقيقيا مفردا ، فهو : تشبيه غير تمثيلى .
» » » » غير حقيقى مفردا ، فهو : » » » »
» » » » مركبا ، فهو تمثيلى .

(١) راجع بحث التشبيه فى كتاب المفتاح من ص ١٤١ - ١٥١

(٢) هو أبو عبد الله جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزوينى المعروف بخطيب دمشق توفى سنة ٧٣٩ ورأيه هذا فى كتابه « الايضاح »

يعلم من هذا البيان ما اتفقوا عليه ، وما اختلفوا فيه . ونزيد ذلك
بيانا فنقول :

إنهم اتفقوا على أن « وجه الشبه » إذا كان مفردا حسيا ، أو عقليا
حقيقيا ، فهو . غير تمثيلي ، مثل : شعره كالليل ، وزيد كالأسد .

وكذلك اتفقوا على أنه إذا كان « الوجه » مركبا عقليا ، فهو . تشبيه
تمثيلي ، نحو ما سبق من : تشبيه الصبي يؤدّب في صغره بالعود يغرس
صغيرا ويسقى .

واختلفوا فيما إذا كان « الوجه » مفردا عقليا غير حقيقي ، فقال الشيخ :
إنه تمثيلي ، وخالفه الآخرون .

وكذلك إذا كان « الوجه » مركبا حسيا ، فالخطيب يرى أنه تمثيلي ،
وهما يخالفانه .

الباعث على هذا التقسيم :

لعل الذي دعا الشيخ الى هذا التقسيم : أنه وجد بعض أنواع التشبيه
يمتاز بالدقة واللفظ ، والحاجة الى شيء من الترفق ، وحسن التأتى ، وبعضها
ليس بهذه المثابة ، وأن الاول ما كان وجه الشبه فيه عقليا غير حقيقي ،
والثاني ما كان وجهه حسيا أو عقليا حقيقيا . فأراد أن يفرق بين الضربين
ليخص هذا الضرب الممتاز باسم « التمثيل » ، ويبين ضروبه ، ومزاياه ،
وخصائصه ، وأسباب امتيازه ، وتأثيره في النفوس ، ويضرب له من الامثال
ما يظهر فضله ، وبعد شأوه .

ويدل على ما ذهب اليه : أنه قسم الاستعارة نحو هذا التقسيم ، ثم قال

- في القسم الذي وجه أنشبه فيه ليس من المحسوس ، ولا من الغرائز ، وإنما هو صورة عقلية - ما يأتي :

« اعلم أن هذا الضرب هو المنزلة التي تبلغ عندها الاستعارة غاية شرفها ويتسع المجال في تفننها وتصرفها ، وههنا تخلص لطيفة روحانية ، لا يبصرها إلا ذوو الأذهان الصافية ، والعقول النافذة ، والنفوس المستعدة لأن تعي الحكمة ، وتعرف فصل الخطاب » (١).

ولذلك لا يعنى الشيخ هنا بالتشبيه غير التمثيل ، ولا يحفل به .

ولعل الذى حمل السكاكى على مخالفة الشيخ فيما كان وجهه عقليا مفردا : أنه رأى أن الدقة واللفظ ، والحاجة الى حسن التوصل إنما تتحقق في المركب ، أما المفرد فلا ، فأخرجه من دائرة « التمثيل » .

وقد وافق الخطيب السكاكى في ذلك ، ولكنه خالفه ، وخالف الشيخ فيما اذا كان الوجه مركبا حسيا ، فرأى أنه جدير باسم التمثيل لمشاركته العقلى في مزاياه .

واذا صح ما تقدم ، فاني أرجح رأى الخطيب ، فان في المركبات الحسية صوراً عجيبة تحتاج الى حذق وذكاء .

تقسيم التشبيه الى : مفرد ، ومركب ، ومتعدد :

التشبيه المفرد : « ما كان وجهه منتزعا من أمر واحد » مثل : شعره كالليل في السواد ، وكلامه كالغسل في الحلاوة .

والتشبيه المركب : « ما كان وجهه منتزعا من أمرين أو أكثر ، بعد مزج وبناء بعض على بعض » .

والتشبيه المتعدد : « ما جاء معقودا على تشبيه أمرين أو أكثر بأمرين أو أكثر من غير مزج ، ولا بناء بعض على بعض ، بل مع بقاء كلٍّ مستقلا » .
وقد انصرفت عناية الشيخ الى تحقيق الفرق بين التشبيه المركب والتشبيه المتعدد ، لأن أمرهما كان مضطربا الى عصره ، فلم تكن الحدود بينهما واضحة المعالم ، وكان المؤلفون يخلطون ، ويدخلون أحدهما في الآخر ، ويغفلون عما بينهما من فروق ، وما لكل من خصائص ، فبين الشيخ تلك الفروق ، وأوضح هذه الخصائص في فصول ثلاثة : اثنان منها عقب تقسيم التشبيه الى تمثيلي وغير تمثيلي ، والثالث قبيل الفصل الاخير من «المقرر» (١) ، فرأيت أن أجمع متفرقاتها ، وأضم نشرها في هذا الموضع مبتدئا بالفصل الاخير ، لأنه أجمع لأحكامهما .

فيم يتفق النوعان ؟

يتفق النوعان في أن كلا منهما كلام قصد به تشبيه شئين أو أكثر ، بشئين أو أكثر ضربة واحدة .

فيم يختلفان ؟ يختلفان في أمور :

أحدها : أن التشبيه المركب قصد به الى امتزاج الأمرين أو الأمور ، وبناء بعضهما على بعض ، حتى عادت شيئا واحدا ، وهيئة مائتمة ، وصورة خاصة هي المقصودة ، فهو تشبيه واحد - وإن تعددت أجزاؤه - .
أما التشبيه المتعدد ، فقد بقي فيه كل جزء من الأمر أو الأمور مستقلا غير متمزج بالآخر ولا مبنى عليه ، فهو تشبيهات كل منها مستقل عن غيره .

(١) راجع ص ٧٥ - ٩٢ ، ص ١٦٨ - ١٧٦ من « أسرار البلاغة »

ولذلك كان من أمارات التركيب ألا يصح تشبيه أحد الاجزاء بما يقابله على وجه الاستقلال ، إذ يكون ذلك دليلا على أنه إنما جرى به تبعاً لغيره ، وسيأتى بيان ذلك عند القول فى جواز «فض التركيب» .

ثانيها : أن التشبيه المركب له مغزى وغرض خاص لا يحصل إلا بالتركيب كله ، حتى لو أهمل جزء منه قصر عن إفادته ، وإن كان التشبيه الباقي صحيحا فى نفسه .

أما المتعدد ، فله أغراض بعدد تشبيهاته ، كل تشبيه يؤدى غرضا منها ، مجتمعاً مع غيره ، أو منفرداً عنه .

ثالثها : أن التشبيه المتعدد لا يجب فى جملة نسق خاص ، ولا ترتيب معين ، بل يجوز تقديم بعضه ، وتأخير بعضه من غير إخلال بما يراد منه .

أما المركب ، فكثيرا ما تجددك عاجزا عن تغيير العبارة المؤدية له بالتقديم والتأخير .

رابعها : أنك تجد فى التشبيه المتعدد أحد الامرين أو الامور فى الأكثر قد عطف على الآخر عطف المستقل على المستقل .

أما المركب ، فانك تجد أحد الامرين فى الغالب مذكورا على وجه التبع للآخر ، كأن يكون فى صفة ، أو صلتة ، أو حالا منه ، أو معطوفا عليه بالغاء الرابطة ، أو نحو ذلك ؛ فإذا توسست الواو كانت واو المعية ، أو عاطفة متضمنة معنى «مع» ، أو كانت واو الحال ، كل ذلك للدلالة على الامتزاج والارتباط .

مثال ذلك ، قول الشاعر (١) :

والشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبِهِ نَهَارٌ
يَشْبُهُ بَيَاضُ الشَّيْبِ ، وهو يمحو سواد الشباب في سرعة حتى لا يبقى
منه شيئا ، ببياض النهار ، وهو يمحو سواد الليل حتى يزيله جملة ، والوجه :
صورة شيء أبيض يمحو شيئا أسود ، ويحتلُّ مكانه .

و « يصيح بجانبه نهار » استعارة مكنية ، فقد شبه النهار وهو يطرد
الليل طردا سريعا برجل يصيح في نواحي غنمه ، ليزعجها من مكانها ،
ويحوّلها عنه ، ودل على هذا التشبيه باثبات الصياح للنهار . و « ينهض في
الشباب » مكنية أيضا .

فالتشبيه مركب ، جاءت فيه جملة « ينهض » خبرا ، فهي صفة في المعنى ،
و « في الشباب » صلة لـ « ينهض » ، وجاءت جملة « يصيح » صفة
« ليل » .

مثال آخر ، قول الشاعر (٢) يصف وردا :

بَيَاضٌ فِي جَوَانِبِهِ أَحْمَرٌ كَمَا أَحْمَرَّتْ مِنَ الْخَجَلِ الْخُدُودُ
جملة « في جوانبه احمرار » صفة لـ « بياض » فهي تابعة له .

(١) يعني الفرزدق ، وهو أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة من مجاشع بن
دارم وينتهي نسبه الى تميم بن مر التميمي ومكانته الادبية غنية عن التعريف توفي سنة
١١٠ هـ ورواية الديوان ص ٤٦٧ (القسم الثاني) :

والشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي السَّوَادِ كَأَنَّهُ

(٢) هو ابن المعتز .

مثال آخر ، قول الشاعر (١)

كأنما المَرِيخُ والمشتري قُدَّامه في شامخ الرُّفْعَه (٢)

مُنْصَرَفٌ بِاللَّيْلِ مِنْ دَعْوَةٍ قَدْ أُسْرِجَتْ قُدَّامَه شَمْعَه (٣)

الواو واو الحال ، والحال كالصفة في كونها تابعة ، لا تنفرد بالذکر ؛ بل تذکر في ضمن صاحبها ، وتبعاً له

مثال آخر ، قول بشار (٤)

كَأَنَّ مِثْرَارَ النَّقْصِ فَوْقَ رُءُوسِنَا

وَأَسِيفُنَا لَيْلَ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ (٥)

الواو في « وأسیافنا » واو المعية ، أو عاطفة متضمنة معنى « مع » ،

(١) هو القاضي علي بن محمد التنوخي العالم النجم المتوفى سنة ٣٤٢ له ترجمة

في ص ١٣٦ ج ١ معاهد التنصيص ؛ ص ١٦٢ ج ١٤ (معجم الادباء) لياقوت ، ص ٣٠٩

ج ٢ يتيمة

(٢) المريخ ، كسكين : نجم معروف ، وكذلك المشتري ، بوزن اسم الفاعل .

(٣) في « اليتيمة » ص ٣١٠ ج ٢ : « قد أسرجوا » .

(٤) هو أبو معاذ بشار بن برد بن يرجوخ شاعر مفلح ذو لسان حاد وشاعرية دافقة يعد فنيا زعيم الشعراء المولدين وقائدهم الى اختراع المعاني وتوليد الاساليب ؛ وكان هجاء خبيث اللسان رقيق الدين متعصباً على العرب قتل على الزندقة سنة ١٦٧ هـ .

(٥) مِثْرَارُ النَّقْصِ : أي النقع المثار ؛ من إضافة الصفة الى الموصوف ؛ والنقع بالضرب : الغبار جمعه نقاع - بكسر أوله - ونقوع ؛ وتهاوى : مضارع وأصله تهاوى والكواكب : السيوف ، والبيت من قصيدة يمدح بها عمر بن هبيرة .

وجملة « تهاوى » فى المشبهة به ، صفة « الليل » ، تابعة له ، ولو أراد الاستقلال
لقال : « ليل وكواكب » .

فى هذه التشبيهات المركبة - التى سنزيد لها شرحا فيما يأتى - جاء أحد
الامرين تابعا للآخر فى الذكر ، دلالة على الامتزاج .
وقد يأتى فى بعض المركبات ما هو أشد من ذلك دلالة على ارتباط أحد
الجزئين بالآخر ، وذلك بأن يعبر عنهما بعبارة تفيدهما معا ، من غير أن
يكون هناك فصل بينهما ، مثال ذلك ما تجده فى الشطر الثانى من البيت :

بياض فى جوانبه احمرار كما احمرّت من الخجل الحدود

يريد الشاعر : أن يشبه الهيئة الحاصلة من اجتماع لوني البياض والحمرة
فى « الورد » بالهيئة الحاصلة من اجتماعهما فى « الخد » ، وقد جاء فى هذا
التشبيه بزيادة لم يسبق إليها ، فاعتبر التركيب من « البياض والحمرة » ، ولم
يقتصر - كغيره - على « الحمرة » وحدها فى « الخد » .

ليس فى هذا البيت تعرض لذكر البياض فى الحدود منفصلا عن
الاحمرار ، بل فهم من ذكر الخجل مع الحمرة ، وذلك أدل على الارتباط
من ذكره تابعا لها .

هذا هو المعنى الصحيح لعبارة الشيخ ، وليس معناها . أن أشد من
ذلك أن تجيء كلمة « كما » فى المشبهة به - على ما فهمه البعض - فإن المصدر
المؤول من « ما والفعـل » لا أثر له فى الدلالة على الامتزاج البتة
بل قد تجيء كلمة « كما » فى المشبهة به مع أن الأجزاء مفصلة حتى يتوهم جواز
الاقتصار على بعضها - كما يأتى فى قول كثير (١) .

(١) هو كثير - بوزن المصغر مشدد الياء - ابن عبد الرحمن الخزاعى
الشاعر الغزل المشهور وصاحب عزة وكان شيعيا غالبا ثم مدح بنى أمية وتوفى سنة ١٠٥ .

كَمَا أَبْرَقَتْ قَوْماً عَطَاشاً غَمَامَةً : *سَمِئَاتُ قُلْتُمَا*

فَلَمَّا رَأَوْهَا أَقْشَعَتْ وَتَجَلَّتْ (١)

ولو أن الشاعر قال بدل « كما احمرت » : كخذه فيه للنخجل احمرار ، لما اختلف عنه في الدلالة على الارتباط ، بل لو كان الشاعر قال البيت الآتي في وصف هذا الورد :

كَأَنَّهُ خَدٌّ مَعْشُوقٍ يَقْبَلُهُ

فَهَمَ الْحَبِيبِ ، وَقَدْ أَبْقَى بِهِ خَجَلًا

لكانت ، دلالتيه على الارتباط أتم ، لأن كلا من « الحمرة والبياض » قد فهم من غير أن يصرح به ، ولا ذكر لكلمة « كما » .

نقد للنشيمه السابق :

انتقد القاضي أبو الحسن الجرجاني هذا البيت (٢) : بأن عبارته غير محكمة ، لما فيها من مخالفة بين - إلى المشبه ، والمشبه به ، وقال : لو اتفق له أن يقول : احمرار في جوانبه بياض ، لكان قد استوفى الحسن ، لأن خدَّ الخجل هكذا يحدق فيه البياض بالحمرة ، لا الحمرة بالبياض ، وقد اعتذر عنه : بأن الشاعر لعله وجد الأمر كذلك في الورد ، أي أنه أبيض في جوانبه حمرة ، فشبهه بالخد على طريق العكس ، فقَالَ : هذا البياض حوله الحمرة ، كذلك الحمرة حولها البياض .

هذه هي الفروق ، وقد ذكرنا بعض الأمثلة إيضاحاً للفرق الرابع ، ونستطيع حينئذ أن نطبق الأمثلة الآتية ، ونقيس عليها غيرها .

(١) قبله .

لقد أطمعني بالوصل تبسماً وبعد رجائي أعرضت وتواك

وذهب بعضهم إلى أنه مجحول القائل وسيأتي شرحه . (٢) ص ١٥١ ومساطة

أمثلة التعداد :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا

لَدَى وَكُرْهَا الْعُنَابَ وَالْحَشَفَ الْبَالِي (١)

هذا التشبيه ليس مركباً ، بل هو متعدد ، لأنه لم يقصد إلى امتزاج الرطب باليابس ، ولم يحدث عن اجتماعهما صورة خاصة ، ولا يتوقف الغرض على امتزاجهما ؛ ثم إن الثاني ليس حاله مع الأول حال التابع ، لأنه عطف عليه بالواو التي لم تتضمن معنى « مع » . وذلك واضح في المشبه به ، وكذلك في المشبه ، لأن جمعهما في اسم واحد هو « القلوب » لا يوجب أن أحدهما تابع ، فإن الجمع في الأمور المتفقة اسماً ومعنى يجرى مجرى العطف في الأمور المفترقة في ذلك ، على أنه قد صرح في البديل ، وهو المقصود بالعطف ، ثم لو قدمت « اليابسة » على « الرطبة » و « الحشف » على « العناب » لم يتأثر المعنى بذلك ، والمحافظة على الترتيب في البيت إنما هي لإقامة الوزن .

أمثلة أخرى : -

النَّشْرُ مِنْكَ ، والوجوه دَنَا

نِيرًا ، وَأَطْرَافُ الْأَكُفِّ عَنْهُمْ (٢)

(١) البيت لامرئ القيس بن حجر الشاعر المشهور . والوكر : العش ، والحشف بالتحريك : أردأ التمر ، والضعيف لانوى له . أو اليابس الفاسد . والغنم شجر أحمر لين الأغصان . (٦٠٠١ شعراء النصرانية) .

(٢) البيت للرقش الأكبر : عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ابن عكابة وقيل : اسمه عوف ؛ أو ربيعة بن سعد ؛ (راجع ص ٢٠١ معجم الشعراء) وكان هو وابن أخيه المرقش الأصغر عمرو بن حرمة بن سعد ، على عهد موهل بن ربيعة وشهدا حرب بكر وتغلب ؛ والبيت من قصيدة أولها :

هل بالطلول أن تجيب صمم لو كان رسم ناطقاً كلم
وهي القصيدة رقم ٤٥ من المفضليات ؛ ورئ بها الشاعر ابن عمه ثعلبة بن عوف ابن مالك .

بَدَتْ قَمَرًا وَمَاسَتْ خُوطَ بَابٍ
وَفَاحَتْ عَشِيرًا ، وَرَنَتْ غَزَالًا (١)

صَدَغَ الْحَبِيبِ وَحَالِي كَلَاهُمَا كَاللَّيَالِي (٢)
كل ذلك من المتعدد ، وأمره أوضح من بيت امرئ القيس السابق .

سؤال ، قد يقال : أليس لهذا النوع المتعدد مزية يذكر بها ؟
جوابه : أن التشبيه المتعدد إذا ذكر بالفضيلة ، فانما يستحقها من جهة الإيجاز ، وجمع المعاني الكثيرة في اللفظ اليسير ؛ ومن جهة حسن الترتيب واتساق المعاني ، ومن هنا يفضلون بعضه على بعض ، ولا يريدون أن حقائق التشبيهات تتغير بالجمع ، ولا أن الأمور تتداخل وتمتزج ، وتصير صورة واحدة .

أمثلة المركب :

كَأَنَّ مِثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ
المقصود : تشبيه «النقع والسيوف فيه» بـ «الليل المتهاوية كواكبه» ، لا تشبيه «النقع» بـ «الليل» ، من جانب ، و«السيوف» بـ «الكواكب» من جانب ، لأنه يريد أن يريك الهيئة التي ترى عليها النقع المظلم ، والسيوف في أثنائه تبرق ، وتعلو وتنخفض . في حركات كثيرة ، إلى جهات مختلفة ،

(١) البيت لامتنى المتوفى سنة ٣٥٤ هـ والميس : التبخر كالميسان بالتحريك والتميس ويروى : «ومال» والخوط بضم الخاء النصب :
(٢) البيت مجوول القائل ؛ وبعده :
وشره في صفاء وأدمعي كاللآلى

كما يكون الحال حين يحمي الجلاذ ، ففيه امتزاج وتداخل ، وصورة بديعة لا تؤدى إلا بالتركيب كله .

وأما الواو في « وأسيافنا » فهي : إما « واو المعية » ، وإما عاطفة متضمنة معنى « مع » وهي متعلقة في المعنى بـ « مثار » ، وفي حكم الصلة للمصدر الذي تضمنه اسم المفعول . وقال رؤبة (١) يصف أتاناً (٢) وحشية :

فِيهَا خُطُوطٌ مِنْ سَوَادٍ وَبَلَقٌ كَأَنَّهُ فِي الْجِلْدِ تَوَلِيعُ الْبَهَقِ (٣)

ليس القصد فيه أن يريك كل لون على الانفراد ، وإنما يريد أن يريك الصورة الحاصلة من اجتماع اللونين ، وهي هيئة يعنى بها ، ويقصد ذكرها . و « توليع البهق » : انتشاره ، ويتخلل بياضه حينئذ أجزاء من الجلد سمراء .

ومثله قول البحتري (٤) ، يصف فرساً :

(١) هو أبو محمد رؤبة بن المجاج البصري التيمي السعدي . والعجاج ، اسمه عبد الله بن رؤبة ، وهما من مشاهير الرجاز ، ولسل منهما ديوان رجز لاشعر فيه ، توفي رؤبة في خلافة المنصور سنة ١٤٥ هـ ، وله ترجمة في « معجم الادباء » ص ١٤٩ ج ١١ ؛ و « وفيات الاعيان » ص ٣٢٤ ج ٥ طبعة دار المأمون .
(٢) الاتان : الحمارة ، ويقال — على قلة — : أتانة .
(٣) الباق : سواد وبياض ، والتوليع : الاستطالة والامتداد . البهق : بياض رقيق يبدو على ظاهر البشرة من أثر ضعف خاص في الجلد .

(٤) هو : أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري ، ينتهي نسبه الى طيء ، وشعره عربي الطراز ، ولذا عدّه النقاد أشعر ثلاثة انتهت إليهم زعامة الشعر العباسي وهم : أبو تمام والبحتري والمتنبي توفي حوالي سنة ٢٨٤ هـ . راجع رسالتنا في هؤلاء الشعراء الثلاثة — تحت الطبع — ففي أوفى المراجع في شأنهم .

تَرَى أَحْجَالَهُ يَصْعَدُونَ فِيهِ صُعُودَ الْبَرْقِ فِي الْغَيْمِ الْجَهَامِ (١)

لا يريد تشبيهه بياض حجل الفرس الصاعد في قوائمه ، بالبرق ، على الانفراد ، وتشبيهه سائر جسمه بالغيمة الجاهمة الذي لا ماء فيه ، وإنما يريد تشبيه الهيئة الحاصلة من مخالطة أحد اللونين للآخر .

مثال محتمل للتركيب والتعدد ، قول ابن المعتز :

وَحَتَّى حَسِبْتُ اللَّيْلَ وَالصُّبْحَ إِذْ بَدَأَ

حِصَانَيْنِ مُخْتَالَيْنِ : جَوْنًا وَأَشْقَرًا (٢)

ظاهر هذا أنه من قبيل المتعدد ، شبه « الليل » بالحصان الجون الأسود و « الصبح » بالحصان الأشقر الأبيض (٣) ، لكن الأولى أن يكون من قبيل المركب ، فإن لاقتزان الجون بالأشقر في الاختيال صورة خاصة — وإن كانت لا تبلغ مبلغ « ليل تهاوى كواكبها » — فإن اعتبار التركيب في هذا أوضح . وإذا جعلنا التشبيه مركبا ، ففي الوار معنى المعية .

هل يجوز فضُّ المركب ، وجعله متعددا ؟

اعلم أن التشبيه إذا كان طرفاة مركبين كان على ضربين :

(١) الاحجال ؛ جمع حجل — كبئر — وهو البياض . والغيمة : السحاب . والجوام : الذي لا ماء فيه وهو أسرع السحب لطفه ، قال الشاعر :

ومن الخير بطء سيبك عني أسرع السحب في المسير الجوام

(٣) « حسب » هنا بمعنى : ظن ، وتكسر عينها وتفتح ، والكسر أجود ، والمضارع مفتوح في لغة جميع العرب ماعدا بني كنانة فأنهم ، يكسرون المضارع مع كسر الماضي على غير قياس ، والمصدر محسبة بفتح السين وكسرها ، وحسابنا بكسر الحاء . والجون : من أسماء الاضداد ، ومعناه : الأبيض أو الأسود أو الأحمر ، والمراد به هنا : الأسود .

(٢) الذي في كسب اللغة أن الأشقر من الدواب : الأحمر ، ومن الناس : من يعلو بياضه حمرة ، والفعل كفرج وكرم .

(١) الضرب الأول :

لا يمكن فض تركيبه وجعله متعدداً شبه فيه كل أمر بما يقابله ، لوجود مانع ، والمانع أمران :

أحدهما : ألا يصلح تشبيه أحد الأجزاء بما يقابله تشبيهاً مستقلاً ،
مثل قول الشاعر (١) :

كأَنَّما المِريخَ والمِشتريَ قدَّامَهُ في شامخِ الرِّفْعِ
منصرفٌ بالليلِ من دَعْوَةٍ قد أسْرَجَتْ قدَّامَهُ شَمْعَةٌ

فانه يريد : تشبيه الصورة الحاصلة من المريخ وقد تقدمه المشتري ،
بالصورة الحاصلة من المنصرف من دعوة وقد أوقدت أمامه شمعة ، ووجه
الشبه : صورة شيء يتبع شيئاً مضيئاً على مسافة مخصوصة .

فالتشبيه لم يكن للمريخ من حيث هو نفسه ، ولكن من حيث كونه
تابعاً للمشتري ، فلو ذهبنا بنقض التركيب ، ونعتبّر « المريخ » مشبهها
بالمنصرف من دعوة ، لكان خلفاً من القول ، لأنه لا شبه بين الأمرين
من حيث ذاتهما .

أما تشبيه المشتري بالشمعة ، فإنه وإن صح فليس مقصوداً هنا ، بل
المقصود الهيئة الحاصلة من الأمرين .

مثال آخر ، قول ابن المعتز :

كَأَنَّهُ وَكَأَنَّ الكَأْسَ فِيهِ
هَالالٌ أوَّلَ شَهْرٍ غَابَ فِي شَفَقِهِ

(١) تقدم (ص ٣١) أنه : القاضي التنوخي .

يشبهه صورة الكأس وقد غاب جزء منه في فم الغلام ، بصورة الهلال
وقد غاب في الشفق ، ووجه الشبه : الهيئة الحاصلة من مغيب شيء أبيض
مشرق مقوَّس في غشاء أحمر منبسط .

لو ذهبنا نفض التركيب لم نستطع ، لأنه إن صح تشبيه « الكأس »
بالحلال فلن يصح تشبيه « الشفة » بالشفق . لأن ذلك لا يفيد معنى يقصد .

مثال آخر ، قول ابن المعتز :

غداً ، والصُّبْحُ تحتَ اللَّيْلِ بادٍ ، كَطِرْفِ أَشْهَبِ مَلَقَى الْجَلالِ (١)
لو فضضنا تركيبه ، واعتبرنا « الليل » مشبهاً بالجلال كان تشبيهاً قبيحاً .
فانهما وإن جمعهما « السواد » فأى معنى يراد بهذا التشبيه ؟ أبيان مقدار سواد
الليل ؟ أم بيان عمومته وشموله ؟
لا يصح إرادة شيء من ذلك ، وإنما جاء التشبيه تبعاً لاستقلاً ، والغرض :
تشبيه الهيئة الحاصلة من اختلاط البياض بالسواد .

ثاني المانعين : أن يكون فض التركيب مفسداً للمعنى المقصود من الكلام
كما أوضحه الشيخ في قوله تعالى : « مثل الذين حملوا التوراة » الآية ،
وقول الشاعر :

كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامة ... البيتين

(١) الطرف بالكسر : الكريم من الخيل . والشهب ؛ بالتجريك ، بياض
يصدعه سواد كالشبهة بالضم والفعل ككرم وسمع ، واشبه بتشديد الباء فهو أشهب
وشاهب . والجلال ، كالأجلال — جمع جل — بالضم والفتح : ما يوضع فوق الدابة
لتصان به .

وهو كالراقم على الماء (١) ، وسيأتى ذلك مفصلاً إن شاء الله .

الضرب الثانى :

يمكن فض تركيبه ، لكن نزول عنه روعة التشبيه وجماله ، وأكثر ما يكون ذلك فى التشبيهات الحسية : مثل قوله (٢) :

وكانَّ أجرامَ النُّجُومِ لوامِعا دُرُّ نَثْرِنَ على بِساطٍ أزرَق

نستطيع أن نقول : إنه تشبيه متعدد ، شبهت فيه النجوم بالدرر ، والسماء بالبساط الأزرق ، لكن أين ذلك من اعتبار الهيئة التى تملأ النواظر عجباً ، وتستوقف العيون ، وتستعطق القلوب بذكر الله تعالى على ما أبدع من طلوع النجوم مؤتلفة مفترقة فى أديم السماء ، وهى زرقاء زرقبتها الصافية .

وكذلك قول بشار (٣) :

كانَّ مُشارَ النَّسَمِ فوقَ رءوسِنا
واسِيفُنا ليلَ تهاوى كواكبِهِ

يمكن أن نقول : إنه متعدد ، شبه كل جزء بما يقابله ، وإن الواو عاطفة لم تتضمن المعية ، لكن ذلك يؤدى إلى زوال روعة التشبيه وجماله .

تنبيه : قد تتعين الواو للمعية ، ولا يجوز جعلها عاطفة ، وهذا هو الحد

(١) فى هذا المعنى يقول الشاعر :

سأرقم فى الماء القراح اليكم على نأيكم ان كان فى الماء راقم

(٢) البيت لابی طالب الرقى من شعراء « اليتيمة » ، والرواية هناك « على زجاج أزرَق » راجع (ص ٢٤٥ ج ١ طبعة الصاوى) ؛ والبساط ، بكسر الباء : ما يبسط وينشر

(٣) تقدم هذا البيت ص ٣١

الآخر الذى تجيء عليه الواو فى عبارة الشيخ ، مثال ذلك قوله (١) :

إِنى وَتَزِينى بِمَدْحى مَعْشَرٍ كَمَعْلَقٍ دُرّاً عَلَى خَنْزِيرٍ

لا يجوز جعل الواو عاطفة والمراد تشبيه المعطوف والمعطوف عليه ،
فإن الحقيقة : أن الغرض تشبيه المعطوف فقط ، لأن المعنى على تشبيه هذا
الفعل وهو «التزين» بذاك الفعل وهو «التعليق» ؛ وليس المراد ذات الفعلين
بل مع صلتها ، فالمشبه : تزيينه بالمدح معشراً لثاماً ، والمشبه به : تعليق
الدر على الخنزير ؛ ووجه التشبه ، مأخوذ من مجموع المصدر وصلته وهو :
أن فى كلِّ وضع الزينة حيث لا يظهر لها أثر ، لأن الذى وضعت عليه
غير قابل للتحسين .

ولما كان المشبه به فى البيت هو «المعلّق» وجب أن يكون المشبه هو
«المزِين» وذلك يوجب أن تكون الواو بمعنى «مع» ، ليصير المعنى : انى مع
تزيينى أى مصاحباً له ، أى متصفاً به ؛ فلا يكون هنا أمران ، بل أمر واحد
هو الموصوف بصفته ، والصفة هى المقصودة فى الحقيقة ، فما قبل الواو
وما بعدها فى قوة اسم واحد .

ويمنع من جعل الواو عاطفة أمران :

الأول : أنه ليس معنا شيئاً أحدهما خبر عن المعطوف عليه ، والآخر
خبر عن المعطوف ، ليصح اعتبار التعدد هنا كما صح فى بيت بشار .

(١) أى ابن الرومى ، وهو أبو الحسن على بن العباس بن جريج ؛ أو
أبى جرجيس ، وهو فى الرعيلى الأول من شعراء المعاني النادرة والتشبيهات العجيبة ؛
وكان كثير التظير والتشاور ، كما كان هجاء خبيثاً ، دس له القاسم بن عبد الله بن سليمان
ابن وهب السم فى بعض الاطعمة خوفاً من لسانه فكان فى ذلك حنقه ، ولد سنة ٢٢١ هـ
وتوفى سنة ٢٨٣ على الراجح ،

الثاني : أن المشبه أمر واحد هو الموصوف بصفته ، والمقصود الصفة
فإن قيل : بل معنا أمران ، يمكن جعلهما خبرين ، فإن في « معلق » ذات
وصفة ، فاعله أراد تشبيهه نفسه بذات « المعلق » ، وتزيينه بتعليقه ؟
فالجواب : أنه لا معنى لتشبيه المتكلم من حيث هو « زيد » بالمعلق من
حيث هو « عمرو » إنما الغرض تشبيه الفعل بالفعل ، فتأمل .

موازنة : قال المتنبي (١) :

كَمَ وَاقِفَةٍ سَجَرَتِكَ شَوْقًا بَعْدَمَا
غَرَى الرَّقِيبُ بِنَا وَلَجَّ الْعَاذِلُ (٢)
دُونَ التَّعَانِقِ نَاحِلِينَ كَشَكْلَتِي
نَصَبٍ أَدَقَّهُمَا وَضَمَّ الشَّاكِلُ

وقال بكر بن خازجة (٣) :

إِنِّي رَأَيْتُكَ فِي نَوْمِي تَعَانِقِي كَمَا تَعَانِقُ لَامَ الْكَاتِبِ الْإِلْفَا

(١) هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي المتوفى
سنة ٣٥٤ من قصيدة طويلة يمدح بها القاضي أبا الفضل أحمد بن عبد الله الانطاكي ،
راجع ص ٢٤٩ — ٢٦٩ ج ٣ (من التبيان) وانظر ما كتبناه عن البحتری ص ٣٦
(٢) سجرت : ملأت ، ومنه قوله تعالى : (والبحر المسجور) ، ويروى « سجرتك »
أي حسبتك وصرفتك : ويروى : « سجرتك » أي جعلتك مسجوراً بالشوق . وغرى
به — من باب رضى — غراً — كفتى — وغراء — كبناء — : أولع كأغرى به وغرى
مبين للمفعول .

(٣) هو بكر بن النطاح الشاعر المشهور في العصر العباسي : ومن مداح أبي داف
العجلي المتوفى سنة ٢٢٦ والبيت في غلام نصراني كان يهواه بكر هذا ، وقوله :
يا من إذا درس الانجيل ظل له قلب التقى عن القرآن منصرفاً
ويروى الشطر الاول من البيت هكذا : « رأيت شخصك في نومي يعانقني »

فضَّلَ الشيخ بيت بكر ، لأنه أدَّى صورة للمتعا نقين لا تحصل لكل منهما على الانفراد وهى صورة التفاق أحدهما بالآخر ، وانعطافه عليه ، وأصاب لها شبهاً فى جنس بعيد هو كلمة « لا » لأن خطى اللام والألف يفترق رأسهما ثم يتماسان فى الوسط فى خطى النسخ والثلث ، وهى هيئة « العناق » ، ونظير هذا قول البحترى (١) :

ولم أنسَ ليلتَنَا فى العِنا قِ لف الصَّبَا بقَضيبٍ قَضِيَا

فانه أراد بيان هيئة العناق ، فأصاب لها شبهاً فى القضيبين ، تلف الريح أحدهما بالآخر ، فكلاهما : تشبيهه مركب غريب . أما المتنبي فقد أراك الحميمين فى مكان واحد ، وشدّد فى التقريب بينهما مفرطين فى النحول ، إذ شبههما بشكلتي النصب الدقيقتين المضمومتين ، فهو كما قال الآخر (٢) :

ضممته ضمة صرنا بها وحداً فلو رأتنا عيون ما خشيناها

فقد أراد شدة الالتصاق ، من غير تعريض على هيئة العناق .

(١) من قصيدة فى مدح الفتح بن خاقان أولها :

لوت بالسلام بنانا خضيباً ولحظاً يشوق الفؤاد الطروباً

وفى رواية « لياتها » بدل « لياتنا » . والصبأ ، بفتح الصاد : ربح جبيلة

لا سيما عند العشاق ، وفيها يقول الشاعر :

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد ؟ لقد زادنى مسراك وجداً على وجد

(٢) هو : أبو اسحق الفارسي من شعراء العصر البويهى (من سنة ٣٣٤ —

٤٤٧ هـ) . ووحداً ، بالتحرريك بمعنى : منفرداً كأحد ووحيد . بكسر الحاء - ووحيد ومتوحد ، وقد كتبت فى « أسرار البلاغة » ص ١٧٦ : (واحداً) وهو خطأ لا يقل عن تصحيح بعض المعلقين عليه لونه السكدة بجعلها (جسداً) والصحيح ما أثبتته المؤلف هنا .

هذا جملة ما ذكره الشيخ في الفصل الأخير ، ونعود الآن إلى بيان ما في
الفصلين الأولين : وأول ما يلاحظ : أن الشيخ خص التقسيم فيهما بالتشبيه
الذى وجهه عقلى ، مع أنه عام فى العقلى وغيره ، وعذره أنه معنى بالتمثيل
حين كتبهما . ففى الفصل الأول قسم « التمثيل » الى : مفرد ، ومركب ، ثم
مثل للمفرد : بكلام كالعسل فى الخلاوة ، ومثل للمركب العقلى الذى لا يجوز
اعتباره متعددًا بقوله تعالى : « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل
الحمار يحمل أسفاراً » فقد شبه اليهود وقد حملوا التوراة وقرءوها ، وحفظوا
ما فيها ، ولم يعملوا بها ، ولا انتفعوا بآياتها بحال حمار يحمل أسفاراً هى أوعية
العلوم ، ومستودع ثمر العقول ، وهو جاهل بمضمونها ، لاحظ له منها
الا ما يناله من الكد والعناء ؛ ووجه الشبه : شقاء كل باستصحاب ما يتضمن
المنافع العظيمة والفوائد الشريفة من غير أن يحصل على شيء من تلك المنافع
أو يعود عليه بعض تلك الفوائد ، والغرض من ذلك التمثيل : ذم اليهود بتلك
الحال ، وتقييح أمرهم ، والتشنيع عليهم .

ولعلك ترى بعد هذا البيان أنه لا يمكن انتزاع هذا الوجه ، ولا حصول
هذا الغرض الا اذا روعى فى المشبه به أمور ثلاثة :

- ١ - حمل ، فيه مشقة وعناء .
- ٢ - ومحمول مخصوص هو أسفار العلوم .
- ٣ - وحامل ، هو الحمار الذى هو مثل فى الجهل والبلادة .

ثم لا يمكن اعتبار كل واحد من هذه الثلاثة مستقلاً عن الآخر لتكون
تشبيها بعد تشبيه أى متعددًا ، لأن الغرض المتقدم لا يتحقق الا بامتزاجها
فإنه لا يتعلق بالحمل حتى يكون المحمول ، « الأسفار » ولا بهذين حتى يقترن

بهما جهل « الحمار » الحامل ، فما لم يعتبر ذلك لا يتم المقصود .
التشبيه المتعدد ، مثل له الشيخ هنا بقولهم : هو يصفو ويكدر ، ويمر
ويحلو ، ويشج ويأسو ، ويسرج ويلجم ، فانهم يريدون بذلك تشبيهه في
حال رضاه بالماء الصافي ، وبالعسل الحلو ؛ وفي حال غضبه بالماء الكدر ،
وبالصاب المر ؛ وهم وإن أرادوا بذلك جمع الصفتين له ، فليست إحداها
متميزة بالأخرى ، بدليل أننا لو اقتصرنا على « هو يصفو ويحلو » ، ولم نتعرض
للكدر والمرارة ، بقي المعنى في تشبيهه بالماء في الصفاء والعسل في الحلاوة
بحاله ، وأفاد نفس الفائدة التي كان يفيدها مع الصفتين الآخرين ، وذلك
أمانة المتعدد .

تنبيه : ليس هذا المثال (١) من التشبيه الاصطلاحي بل هو من قبيل
الاستعارة ؛ والاستعارة تكون كالتشبيه : مفردة ، ومركبة ، ومتعددة ،
مثال الاولى : رأيت أسدا ، ومثال الثانية : أخذ القوس باريها (٢) ،
ومثال الثالثة قول الشاعر (٣) :

(١) لم يفصل « عبد القاهر » أمثلة التشبيه عن أمثلة الاستعارة بل ساق كثيراً
من الأخيرة في هذا الباب ، لأن أساسها التشبيه ، فهو موجود في كل استعارة ، وليس
لـعبد القاهر مذهبان في الاستعارة أو التمثيل . وسنذكر الاستاذ المؤلف رأيه في هذا
فيما سيأتى .

(٢) سيأتى مثال شعري لهذا المعنى .

(٣) هو لابي الفرج . الواواء المتقدم ذكره ص ١٩ وقد رواه « العمدة »
منسوبا اليه ص ٢٦٣ ج ١ وكذلك الحريري في « مقاماته » ص ٢٣ طبع الحسينية -
وروى غير منسوب ص ٣٤٥ « دلائل الاعجاز » ، ورواه أبو هلال منسوباً لبعض
المحدثين ص ٢٥٦ ج ١ « ديوان المعاني » .

فَأَمْطَرَتْ لَوْلُؤًا مِنْ نَرْجَسٍ وَسَقَتْ
وَرَدَاً وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ (١)

وكل جملة من الجمل التي ذكرها الشيخ في مثاله تحتل أن تكون استعارة
تبعية وأن تكون ممكنية ، وسنجرها على أنها ممكنية تبعاً لظاهر كلامه ، فنقول :
شبه الرجل الوديع الهادي بالماء الصافي ، في نقائه من الشرائب ، وبعده
عما يخرج به عن الاعتدال ، ودل على هذا التشبيه بإثبات لازم المشبه به
— وهو الصفاء — للمشبه .

وشبه الرجل الغضبان الهائج بالماء السكدر ، في خروجه عن الاعتدال
وعدم كمال الانتفاع به ، ودل على هذا التشبيه بإثبات لازم المشبه به — وهو
يكد — للمشبه .

وشبه الرجل اللين الكريم الخلق بالعسل ، في قبول النفس له ، ورغبتها
فيه ، ودل على هذا التشبيه بإثبات لازم المشبه به — وهو يحلو — للمشبه .

وشبه الشديد القاسي بالصاب المر ، في صعوبته وكراهيته ، ودل على
هذا التشبيه بإثبات المرارة — التي هي لازم المشبه به — للمشبه ؛ وفي هذا المعنى
يقول الشاعر :

أمرُّ على الحاني ويغلظ جاني وذو الود أحول لي له وألين (٢)

(١) رواية اليتيمة : « وأسبت » وبقية الكتب : « فأسبت » وما هنا
أشهر ، والمراد باللؤلؤ الدمع ، وبالنرجس : العين ، وبالورد : الخند ، وبالعناب : الإنامل ،
وبالبرد : الأسنان .
(٢) المراد بالحاني : العدو ، لأنه يحنى صدره على البغض والحن ، وأحلولي :
صار حلوا ، كحلي : بوزن ضرب ونصر .

ويقول الآخر (١):

وإني لحلو تعتريني مرارة وإني لترك لما لم أعود (٢)

وشبهه من يؤذى الناس بمن يجرحهم، في الإيلام، ومن يؤاسيهم ويخفف متاعهم بمن يأسو أي يداوى، ودل على كل من التشبيهين بإثبات لازم المشبه به للمشبه، ومن ذلك قول بعضهم:

إني لا أكثر مما سمتي عجباً يده تشج، وأخرى منك تأسوني (٣)

وشبه الرجل بشرع في الأمر بمن يسرج الفرس، فإذا أتمه شبهناه بمن يلجم بعد الإسراج، ودل على كل من التشبيهين بإثبات لازم المشبه به للمشبه.

ولو أدخلنا الفاء بين كل جملة صارت تمثيلاً مركباً — أي استعارات تمثيلية — فنقول: شبه الرجل يتعاقب عليه الهدوء والغضب بالماء يتعاقب عليه الصفو والكدر، في أن كلا يتعاقب عليه الحصن والقبيح، واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، وكذلك يحلو فيمر.

ويشبه الرجل يتبع السيئة الحسنة. بمن يجرح ويأسو جرحه، في اتباع القبيح بالحسن، واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه.

وشبه الرجل يبدأ الشيء فيتمه بمن يسرج الفرس فياجمه، ويجعله معداً

(١) هو حسان بن ثابت الأنصاري، شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمدافع عنه عمر ١٢٠ سنة وتوفي سنة ٥٠ هـ.

(٢) البيت ضمن قصيدة في ديوانه « بشرح البرقوقى » ص ١٣٠.

(٣) سامه كذا: كافه إياه، كسومه.

للاتنفاع به بجا مع أن كلا يتم ما شرع فيه ، ويعدّه للنفع ، قال أبو تمام (١)
يخاطب أحمد بن أبي دؤاد (٢) :

اعلم وأنت المرء غير معكّم^١ وافهم جعلت فداك غير مفهم^٢
أن اصطناع العرف ما لم توله مستكّلا كالثوب ما لم يعلم (٣)
والشكر ما لم يُستثر بصنيعة كالخطّ تقرأه وليس بمعجم^٤
ويفوتني في القول إكثار وقد أسرّجت في كرم الفعال فألجم (٤)

وجه التشبيه في البيت الثاني : كون كلٍّ غير كامل الحسن ، وفي البيت
الثالث : انبهاهم الغرض من كل ، واحتمال فهمه على خلاف المراد به .

وقد سقت هذه الآيات لأنى رأيت من يغير عبارة الكتاب ، فيجعلها :
ويشرح ويلحم (٥) ، وهو من العجب .

سؤال : قيل : كيف مثل الشيخ بهذا ؟ ونحن في التشبيه لاني الاستعارة ؟
جوابه : أن الفرق بين التشبيه والاستعارة لم يكن قد تقرر ورسخ في
النفوس لأن « فن البيان » كان في عهده لا يزال في دور الطفولة والتكون

(١) حبيب بن أوس الطائي من زعماء الشعر العباسي الذين جنحوا به نحو
المعاني ، وحولوا فلسفته فحانه اللفظ ، وعثر به الأسلوب في أكثر شعره ، توفي على
التحقيق سنة ٢٣١ هـ .

(٢) من أعلام التاريخ الإسلامي في القضاء والسياسة والتدبير ، أسرع السواس
في قضاء مصالح الناس ، وبعد ألمع الشخصيات في عهدي المعتصم والواثق العباسيين ،
وكان مؤثرا آمنا للادب والادباء ، توفي مفلوجا سنة ٢٤٠ هـ .

(٣) اصطناع العرف : اتخاذ المعروف عند الناس ، وأعلم الثوب : جعل فيه
عاما ، أي رسما ، ورقيا .

(٤) الفعال : كسحاب . الفعل الحسن .

(٥) راجع ص ٨٢ من « أسرار البلاغة » بتعليق الشيخ رشيد رضا هامش رقم ٢

وكثيراً ما تجد في الكتب المتقدمة تسمية بعض الاستعارة : تشبيهاً ، وتسمية بعض التشبيه : استعارة ، وسنرى الشيخ يمثل للتمثيل بكثير من الاستعارات ويرد على من يخالفه (١) ، وسنبين ذلك إن شاء الله ، ونوضح حقيقة الأمر فيما بعد .

وفي «الفصل الثاني» عرض أيضاً لانقسام التشبيه إلى : مفرد ، ومركب ولكنه يريد أن يبين - فوق ما تقدم - نوعاً خاصاً من التمثيل المركب ، يكاد يكون اعتبار التركيب فيه ضرورياً .

وخلاصة ما أراد : أن وجه الشبه ربما انتزع من وصف المشبه به وحده ، وربما انتزع منه مع ما قيد به ، فمثال الأول : كلام كالعسل في الحلاوة ، فإن اللذة والرغبة منتزعة من الحلاوة - التي هي وصف العسل - وحدها ، ومثال الثاني : أن يكون المشبه به فعلاً ، إلى تعدى إذا شيء خاص كان له حكم خاص بسبب ذلك التعدى لا يكون له بدونه ، مثال ذلك : « القبض » فإن معناه : إمساك الشيء باليد ، فإذا عدى بـ « على » إلى « الماء » حصل له حكم خاص ، وهو عدم الفائدة منه ، وهذا الحكم لا يمكن استفادته بدون التعدى ، فإذا أردنا إفادته بالتمثيل ، فقلنا : فلان فيما يحاول كالباقض على الماء ، فلا بد من انتزاع الشبه من الوصف وما تعدى إليه ، لنصل إلى الغرض ، ولا يمكن انتزاع الوجه من الفعل وحده ، لأن هذا المثل يضرب لمن لا يحصل من سعيه على طائل ، ولا مناسبة البتة بين هذا المعنى وبين الفعل المشبه به وهو « القبض » لأن « القبض » - من حيث هو قبض - لا يفيد خيمة المسعى إلا بواسطة تعديده إلى الماء .

(١) سبق لنا رأى في هذا الموضوع فراجع ص ٥٤ .

ومثل ذلك سواءً . هو كمن يرقم على الماء (١)، هو كمن يضرب في حديد بارد (٢)، هو كمن ينفخ في غير فحم (٣)، أو في رماد .
كل ذلك يقال للرجل يمارس أمراً لا يجدى عليه ، ولا يحصل منه على فائدة ، وقد انتزع الشبه فيه من الفعل وما تعدى إليه ، لأن هذا التعدى هو الذى أفاد أن الفعل غير واقع في موقعه ، وغير جار على الصواب ، ومن أمثلة ذلك في الشعر :

فأصبحت من ليلي الغداة كقباضٍ على الماءِ خاتمه فروج الأصابع (٤)
* * *
وكم قارع سمعا بوعظ يجيده * * *
ولسكنه في الماء يرقم مارقم
* * *
هياتِ تضرب في حديد باردٍ * * *
إن كنت تطمع في نوالٍ «زياد» (٥)
* * *
ونارٍ لو نفخت بها أضاءت * * *
ولسكن أنت تنفخ في رمادٍ

(١) قدمنا مثالا شعريا في هذا المعنى ص ٤٠ .

(٢) من ذلك المعنى أيضاً قول الشاعر :-

وإذا تألفت القلوب على الووى
فالناس تضرب في حديد بارد
وقول الآخر :-

يا خادع البخلاء عن أموالهم
هيات!! تضرب في حديد بارد

(٣) من ضد هذا المعنى قول الشاعر :

قد قاتلوا لو ينفخون في فحم وصبروا لو صبروا على أمم

والفحم بالتحريك وبسكون الحاء ، وكأثير : الجر الطافيء ، والامم بالتحريك : الامر البين ، والقصد الوسط .

(٤) هو للمجنون ، الفروج ، جمع فرج كضرب : وهو ما بينها ، ومن هذا المعنى قول أنى دهبيل الجحى :

فأصبحت مما كان بيني وبينها سوى ذكرها ، كلقباض الماء باليد

راجع ص ١٣٩ ج ٧ أغاني طبعة الدار و ١٦٧ ج ٦ أميرية .

(٥) هكذا روى في كثير من الكتب وصحته : « في نوال سعيد » ، وبعده :

والله لو ملك البحار بأسرها وأتاه «سلم» في زمان مدود

ينفيه منها شربة لظووره لابي وقال : تيمم بصعيد =

ولا يخفى أن : هو يرقم في الماء ، وأنت تضرب في حديد بارد ، وأنت تنفخ في غير فحم ، استعارات تمثيلية مركبة لا تشبيه تمثيلي لإجراء وصف المشبه به على المشبه .

وقد ينتزع الشبه من الفعل والفاعل والمفعول به جميعا ، نحو قولهم حين يسند الأمر إلى أهله : أخذ القوس باريها ، فالشبه ليس منتزعا من الأخذ وحده ، بل منه وما اتصل به من وقوعه من باري القوس على القوس ، لأن ذلك هو الذي أفاد أن الأخذ واقع موقعه ، وعلى الصواب ، وهذا المثل : استعارة تمثيلية أيضا ، شبه حال الأمر وقد أسند إلى من هو أهله له بحال القوس وقد أخذها باريها ، ووجه الشبه : أن كلا أعرف بما أخذ ، وأهدى إلى توفيته حقه ، قال الشاعر يخاطب من أخفق فيما ولى من عمل : يا باري القوس بريا ليس يحسنه لا تظلم القوس ، أعط القوس باريها

وقد ينتزع الشبه من الفعل والحال ، كقولهم للرجل يتزين بما ليس له ، أوزج بنفسه في أمور يعود نفعا على غيره ولا يعود عليه منها شيء : فلان كالحادى وليس له بعير ، جملة : « وليس له بعير » حال من « الحادى » ووجه الشبه : العمل فيما هو لغيره لا له وهو مأخوذ من « الحدو » والحال لان « الحدو » وحده لا يفيد هذا المعنى .

وقد يحتاج في انتزاع وجه الشبه إلى الفعل والمفعول به والجار والمجرور ، كما يقال لمن يحاول أن يجمع بين أمرين لا يمكن اجتماعهما : هو كمن يجمع

== راجع ص ١١٢ ج ٦ من كتاب « الكامل مع رغبة الأمل » ، « وسعيد » هو : ابن سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي ، والى أرمينية والموصل وسجستان وطبرستان والجزيرة ، توفي سنة ١١٧ هـ ، والبيت لأبي الشمقمق مروان بن محمد وهو من موالى بني أمية وترجمته في ص ٣٩٧ « معجم الشعراء للزرباني » .

السيفين في غمد ، ووجه الشبهة : أن كلاَّ يحاول ما لا يكون ، فلا بد من اعتبار كل ما ذكرنا ليحصل الغرض ، قال أبو ذؤيب الهذلي (١) :

تريدن كيما تجمعينني وخالدأ
وهل يجمع السيفان ، ويحك في غمد (٢)

ومثل ذلك ، قولهم لمن يطلب أمراً يعسر عليه نيله ، أو يُتوقع هلاكه فيه : هو كمن يبتغي الصيد في عريسة الأسد ، قال الطرمّاح (٣) :

يا طيء السهل والأجبال موعدكم
كبتغي الصيد في عريسة الأسد
والليث من يلتبس صيداً بعقوته

يُخرج بحوبائه من آخر الجسد (٤)
العقوة : المحلة ، والحوباء : النفس ، والعريسة : شجر ملتف يأوى إليه الأسد ، فالوجه وهو : أن كلاَّ يطلب ما فيه هلاكه ، لا بد فيه من اعتبار الفعل والمفعول به والجار والمجرور ، ليحصل المغزى منه .

(١) هو : خويلد بن خالد بن محرز بن يزيد الخزومي ، ينتهي نسبه إلى نزار ، وهو من شعراء البادية الحضرية ، أسلم وحسن إسلامه ، وتوفي في ميدان الجهاد سنة ٢٦٦ هـ . وراجع تفصيل أخباره في ترجمتنا له « تحت الطبع » .

(٢) الخطاب لأُم عمرو ومعشوقة أبي ذؤيب والتي أحبت عليه خالد بن زهير بن محرز ابن أخته راجع تفاصيل القصة في ص ١٥٧ ج ١ وما بعدها « ديوان الهذليين » ، ص ٢٠٠ ج ٤ « شرح الحماسة » ص ١٥٨ ج ١ وما بعدها « ديوان المعاني » ، ص ٣٧١ « معجم الشعراء » ص ٥٦ - ٦٢ ح ٦ من « الاغانى » ، وأوفى المراجع ترجمتنا له .

(٣) هو : ابن حكيم الشاعر المشهور نشأ في الشام ثم رحل إلى الكوفة ، وهناك اتصل بالخوارج ، واعتنق مذهبهم ، واشتد فيه ، وظل كذلك حتى مات سنة ١٠٠ هـ .

(٤) من معاني العقوة أيضاً : الشجر ، وما حول الدار ، كالنقاة بفتح العين . ويعرج : يصعد .

ومما وجه الشبه فيه منتزع من الفعل والجار والمجرور ، قولهم للرجل :
يعمل الحيلة حتى يميل صاحبه إلى الشيء بعد أن كان يأباه : ما زال يقتل منه
في الذروة والغارب (١) حتى بلغ ما أراد ، أى أنه لم يزل يرفق به ، ويلين له
القول ، حتى أشبه حاله معه حال الرجل يجيء إلى البعير المستصعب فيحكه ،
ويقتل الشعر في ذروته وغاربه حتى يسكن ويستأنس ويطيع صاحبه ، ووجه
الشبه : إعمال الحيلة للرد من الإباء إلى الانقياد ، ومن الاستعصاب إلى
الإصحاب ، وهذا المعنى لا يؤخذ من « القتل » وحده ، بل إذا كان في الشعر
من ذروة البعير وغاربه ، وهذا المثل : استعارة تمثيلية ، لا تشبيهية تمثيلية .

إذا تقرر أن الشبه في هذا الضرب يؤخذ من الفعل وما تعدى إليه ،
ظهر أنه لا بدّ فيه من جملة صريحة ، أو شيء في حكم الجملة : - فالجملة نحو :
هو كمن يضرب في حديد بارد ، وأخذ القوس باريها ، وحكم الجملة كما نقول :
هو كالراقم على الماء .

يقول الشيخ : « إن خصائص هذا النوع من التمثيل أكثر من أن تضبط
وقد وقفناك على الطريقة » أراد بذلك : أن أمثله كثيرة متنوعة ، وأنه أبان
لك طريقها - وهو أن يكون الشبه منتزعا من الفعل وما تعدى إليه - ومن
هذه الأمثلة أن تقول : فلان يلعب بالنار ، أو على الحبل ، ففي هذه التعدية
معنى الخطر ، وفلان يوقد للعنسى ، إذ حصل بها معنى عدم الارتفاع بفعله
وقول الشاعر : (٢)

(١) الذروة : أعلى السنام . والغارب : ما بينه وبين العنق .
(٢) هو : أبو الحسن علي بن محمد التهامي ، نشأ في تهامة ، ورحل إلى الاقطار
المختلفة ، ثم استقر في الشام وامتزج باهل الرأي والسلطان فيها ، حتى أرسلوه متجسسا
على الفاطميين إلى القاهرة ، فعرف أمره ، وقتل بعد القبض عليه سنة ٤١٦ هـ .

ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب في الماء جذوة نار (١)

وإذا رجوت المستحيل فإنما تبنى الرجاء على شفير هار (٢)

ومنها قوله تعالى: « فمن يكفر بالطَّغوتِ ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى » فإن تعدية « استمسك » أفادت معنى « أمن » الهلاك ، وضدها : أمسك بخيط العنكبوت .

ثم يقول : « فهذا أحد الوجوه التي يكون الشبه فيها مأخوذاً من جملة الكلام ، وأظنه من أقوى الأسباب فيه » يريد : أن كون وجه الشبه مأخوذاً من الفعل وما تعدى إليه أحد الوجوه التي تقتضى أن يكون الشبه مركباً ، أى منتزعا من أمور متعدّدة لا من أمر مفرد وهذا في الحقيقة أقوى أسباب التركيب .

وهناك أوجه أخرى لاضابط لها ، منها : أن يكون مأخوذاً من جملتين نحو : أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى (٣) ، أو من جمل ، نحو قوله تعالى : « إنما مثلُ الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء ، الآية ، أو من شيء وأوصافه ، كقول الشاعر (٤) :

(١) من قصيدة مشهورة رثى بها ابنه الصغير ، وأولها :
حكم النية في البرية جارى ما هذه الدنيا بدار قرار
وهي في « مختارات البارودي » في الرثاء ح ٣ ، وفي « المنتخب من أدب العرب » ص ٣٧٤ طبعة سنة ١٣٥٢ هـ .

(٢) الشفير : الحافة والطرف ، وهار البناء : هدمه فهار ، وهو هائر ، وهار .
(٣) سترى بعد صفحات تفصيل آراء العلماء في هذا المثال ، ثم تعقينا عليها ، وستلّس اتجاهها جديداً في فزمه . « ٦١ ، ٥٢ ، ٦٣ هامش »
(٤) هو أبو عبادة البحرى : من قصيدة في مدح أبي الفضل بن نوبخت وسيأتي البيت مع الذى قبله بشرح الاستاذ المؤلف .

كالبدر أفرط في العلو وضوؤه للعصبة السارين جد قريب
إلى غير ذلك مما يندرج تحت ضابط التشبيه المركب .

كان الشيخ قد بين في الفصل السابق أن : « مثل الذين حملوا » الآية
تمثيل مركب لا متعدد ، وبالغ في الاحتجاج لذلك ، وقد عاد هنا إلى زيادة
توكيد لرأيه ، فجعل الآية من قبيل : هو كالباقض على الماء ، أى أن التشبه
منتزع من الحمل وما تعدى إليه من الأسفار ، مع اقتتان الجهل للأسفار به
فقطع الحمل عما تعدى إليه ، كقطع القبض عما تعدى إليه في أنهما لا يفيدان
ما كانا يفيدانه مع التعدية ، فيجب أن يكون مركبا ، وكأنه رأى أن مآل
المعنى : تشبيه حمل اليهود التوراة بحمل الحمار الأسفار ، فلا يقال : إن مثل
اليهود ليس من هذا الضرب ، لأن التشبيه به اسم موصوف بفعل ،
لا لفعل متعدد .

اعتراض : قد يتوهم متوهم أن الشيخ يمنع وقوع « الحمل » مشبها به ،
فيعترض بأن لا مانع من تشبيه « الحفظ » بـ « الحمل » ، فإن كلا من الحافظ
للشيء والحامل له متمكن منه قادر عليه ولذلك يقال : حملة القرآن وحملة
الحديث ، وجاء في الأثر : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله » و « رب
حامل فقه إلى من هو أفقه منه » فقد استعير الحمل في كل ذلك للحفظ ، وهو
دليل على صحة التشبيه ، فلم لا يشبه حفظ اليهود بالحمل ؟

والجواب : أن الشيخ لم يمنع صحة وقوع الحمل مشبها به مطلقا ، بل أراد
أن الغرض من مثل اليهود لا يحصل بالتشبيه بالحمل وحده ، بل به مع الأمرين
الآخرين ؛ ولو أنك رأيت رجلا يحمل حقيبة كتبت راثعا غاديا ، وراكته
لا يعقل مما فيها شيئا ، فقلت : مثله كمثل الحمار يحمل أسفارا ، لم يكن غرضك

مجرد « الحمل » وإن كان موجوداً على الحقيقة ، بل الغرض الذم بالتعب في استعمال الأمر النافع من غير انتفاع به .

هل يشترط الشيخ في التمثيل أن يكون مركباً ؟

قد يظن أن الشيخ يشترط في التمثيل أن يكون مركباً . مع كونه عقلياً ، أخذنا من قوله هنا : « وعلى الجملة فينبغي أن تعلم أن المثل الحقيقي ، والتشبيه الذي هو أولى بأن يسمى « تمثيلاً » ما تجده لا يحصل لك إلا من جملة من الكلام أو أكثر » .

وحقيقة الأمر : أنه في « أسرار البلاغة » جرى على أن التمثيل يكون مفرداً أو مركباً - كما قررنا فيما مضى - وقد جعل منه : حجة كالشمس ، وكلام كالعسل ، ولم يعتبر فيه أكثر من كونه عقلياً ، وقسمه إلى مفرد ومركب ، وأكثر فيما يأتي من التمثيل له بالمفرد ، فالظاهر أنه أراد بعبارة هذه : أن أروع التمثيل وأعظمه وأدقّه ، ما كان مركباً ، ولم يرد حصر التمثيل في المركب ويدل على ذلك قوله : « الأولى أن يسمى : تمثيلاً » .

أما في « دلائل الإعجاز » فشكل أمثله التي ذكرها للتمثيل من قبيل المركب العقلي ، وتشعر بفجواها : أن التمثيل ما كان وجهه مأخوفاً من مجموع الكلام ؛ ولعل هذا هو ما حمل السكاكي على اشتراط كونه مركباً عقلياً

ثم يقول الشيخ : « إن التشبيه كلما كان أوغل في كونه عقلياً ، كانت حاجته إلى الحمل أكثر » أراد بذلك : أن التشبيه كلما كان أكثر جملاً كان أوغل في كونه عقلياً ، أي كانت حاجته إلى العمل العقلي أكثر . فجاءت

العبارة مقلوبة (٢) ، وذلك لان كثرة الجمل في التشبيه وقتلها ليست تابعة للعقلية والحسية ، ولكنها تابعة للمعاني التي يستدعي الغرض تأليف التشبيه منها . فقد يستدعي الغرض تأليفه من جملة ، وقد يستدعي تأليفه من أكثر ، ويظهر ذلك جليا إذا وازنا بين الآيتين الآتيتين : -

قال تعالى في سورة يونس : « إنما مثلُ الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نباتُ الأرض » - أي اشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا - « ممَّا يأكل النَّاسُ والأنعامُ حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت » جعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها ، وتزينت بغيرها من ألوان الزينة ، « وظنَّ أهلُها أنهم قادرون عليها » متمكنون منها ، محصولون لشمرتها ، رافعون لغلتها « أتأما أمرُنا ليلاً أو نهاراً » وهو ضرب زرعها ببعض الآفات ، بعد استيقانهم أنه قد سلم « فجعلناها » أي جعلنا زرعها « حصيداً » أي شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه واستنصائه « كأن لم يغن بالأمس » كأن لم يغن زرعها ، أي لم ينبت ، أه من الكشف (٢) .

شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها ، وانقراض نعيمها بعد اغترار الناس بها ، واعتمادهم عليها ، بحال نبات ذهبته نضرت فجأة ، وصار حطاماً بعد ما التف وتمكثت ، وزين الأرض بخضرتها ، وعم نفعه الإنسان والحيوان وطمع الناس فيه ، وظنوا أنه قد سلم من الجوائح ؛ ووجه الشبه : الهيئة

(١) لعل المقدم والتالي هنا من النوع اللازم المساواة : كما كان هذا إنساناً كان ناطقاً ، وكما كان ناطقاً كان إنساناً ، وعلى هذا فكثرة الجمل لازم لكون الشبه عقلياً وبالعكس ، وحينئذ فلا ضرورة لجعل العبارة مقلوبة .

(٢) من ١٨٧ ج ٢

الحاصلة من سرعة التقضى ، وزوال النعيم بعد الإقبال وعموم النفع ، واغترار الناس به ، واعتمادهم عليه .

وقال تعالى فى سورة الكهف : « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاحتلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح » .

شبه حال الدنيا فى نصرتها وبهجتها وما يعقبها من الفناء ، بحال النبات يكون أخضر وارفا ، فيصير هشيما تطيره الرياح .

فأساس التشبيهين ومغزاهما واحد ، وهو التحذير من الاغترار بالدنيا ونعيمها ، وتأکید سرعة زوالها ، ولکن لوحظ فى التشبيه الأول أمور اقتضت كثرة جملة ، ولم تلاحظ فى الثانى :

منها : إفادة عموم النفع ، وجمال الأرض وبهجتها .
ومنها اغترار الناس بها ، واعتمادهم عليها ، وظنهم أنهم متمكنون منها ، وأنها قد سالت فى الجوائح .

فزيادة الجمل جاءت من إرادة هذه المعانى ، لا من التوغل فى «العقلية» .

تذنيه : لما بين الشيخ أن التمثيل المركب يكون مؤلفا من جملتين أو جمل خشى أن يتوهم أن كل تشبيه اشتمل على جمل كان مركبا ، فأراد أن يدفع هذا الوهم بتذكيرنا بالفرق بين المركب والمتعدد ، فبين أنه لا ينبغى أن يعد من المركب إلا الجمل التى تشابكت وتداخلت حتى صارت كالشئ الواحد تؤدى غرضا واحدا .

أما الجمل التى ليست كذلك ، والتى بقيت كل واحدة منها حافظة لصورتها والتى لها أغراض بعدها ، كل منها تؤدى غرضا خاصا مستقلا ، فليست من

التركيب في شيء ، ولذا لا يجب ترتيبها على وجه خاص ، ولا يمنع حذف بعضها إفادة الآخر ما كان يفيد قبل الحذف ، نحو قولك : هو كالبحر جودا ، والبدر بهاء ، والسيوف مضاء ، والأسد بأسا ، وغير ذلك من أمثلة المتعدد التي سبقنا ، وقد أجمل الشيخ في هذا الموضع الفروق التي سبق ذكرها بين الضربين عناية منه بالأمر -- كما قدمنا -- .

تحذير : لكي يكون حكمك صحيحا ، يجب أن تدقق النظر في غرض الشاعر أو الناثر ، حتى لا تقع في الغلط ، فتظن الشبه المنتزع من أمور منتزعا من أمرين فقط انظر إلى قول كثير :

لقد أطمعتني بالوصل تبسُّماً وبعد رجائي أعرضت وتوات
كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامة فلما رأوها أقشعت وتجلت

فقد يتوهم غير المتأمل أن المراد تشبيه المرأة وقد تبسمت له ، فطمع في وصلها الذي هو في حاجة إليه ، بالسحابة تبرق لقوم عطاش ، فيطمعون في مطرها الذي هم في أشد الحاجة إليه ، ووجه الشبه منتزع من ذلك فقط وهو : ظهور أمر مطمع لمن هو شديد الحاجة إليه ، وهذا وإن كان صحيحا في نفسه . فيه إهمال لما يفيد الشطر الثاني من البيتين ، والذي لا يتم غرض الشاعر إلا بملاحظته ، فإن غرضه أن يفيد أن أمارات ظفره بما هو شديد الحاجة إليه من الوصل قد لاحت ثم اختفت ، فخاب أمله ، وكذب ظنه ، وعظمت حسرته ، وأن يشبه حاله هذه بحال قوم عطاش رأوا غمامة تبرق فأطمعتهم في مطرها ، ثم أيأسهم ، وأعظمت حسرتهم بانقشاعها ، وهذا المعنى لا يؤخذ إلا من البيتين بتمامهما ، ووجه الشبه : ظهور أمارات الظفر بالمقصود للمحتاج إليه ، ثم اختفاؤها ، وإبقاؤه في حسرة وترح ، بعد السرور والفرح .

هذا التشبيه تمثيل مركب ، وقد يتأق الغلط في التشبيه غير التمثيلي ، فقد يتوهم أن وجه الشبه في قول بشار :

كَأَنَّ مِثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُءُوسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ
منتزع من « الليل والكواكب » من غير التفات إلى ما تفيد كلمة « تهاوى » وهو خطأ بين ، سيوضح عند موازنة هذا البيت بغيره ان شاء الله .

شبهة ، قد يقول قائل : انك استدلت على تركب التشبيه من جميع البيت بأن ترك بعضه يخل بغرض الشاعر ، وهذا يوجب أن تكون بعض التشبيهات المتعددة مركبة ، لأن الاقتصار على بعضها يخل بغرض المتكلم من الكلام مثال ذلك : هو يصفو ويكدر ، فان المتكلم بذلك غرضه وصف الرجل بأنه يجمع الصفتين ، فالأقتصار على احدهما يخل بهذا الغرض . وحينئذ فلا بد من اعتبارهما معا فيكون مركبا .

جوابها : أن هناك فرقا فيه قليل من الغموض ينيله التأمل ، فان الغرض في البيت إفادة أن الابتداء المطمع اتصل بانتهاء مؤيس ، وكون الشيء ابتداء لآخر هو له انتهاء ، أمر زائد على مجرد الجمع بين الأمرين يوجب ارتباط أحدهما بالآخر ، وبناءه عليه ، أما : هو يصفو ويكدر ، فليس فيه غير الجمع بين الصفتين بواو العطف ، ولا يوجد فيه ما يقتضى ربط احدهما بالآخرى ولذلك لو قيل : هو يصفو ، ولم يقل « يكدر » بقى تشبيهه بالماء في الصفاء بحاله . وعدم إفادة الجمع ليس قصورا في إفادة التشبيه ، بل فيما أفادته واو العطف أما في البيت فعدم اعتبار الشطر الثاني يوجب قصورا في نفس التشبيه ، ويخل بالغرض منه

ولو قلنا : هو يصفو فيكدر : أو ثم يكدر ، كان ذلك نظيرا للبيت ، ووجب

اعتبار التركيب من الصفتين ، لأن « الفاء وثم » للترتيب ، وهو أمر زائد على مجرد الجمع ، يقتضى ارتباط المعطوف بالمعطوف عليه ، وأن التشبيه منتزع منهما معا على التشابك والتداخل .

تنبيه : قدمنا أن هذا المثل استعارة بالكناية عند اعتبار التعدد وتمثيلية مركبة عند اعتبار الارتباط ، فلا تغفل .

ملاحظة : قول الشيخ : « ونظير هذا أن تقول : هو كالصفو بعد السكر ، في حصول معنى يجب معه ربط أحد الوصفين بالآخر » . عبارة غير مجررة ، وذلك أنه ليس في هذا التشبيه تركيب ولا تعدد ، بل تشبيه مفرد ، ونظيره أن تقول : جامن كتابك ، فكان كالصحة بعد المرض ، والماء البارد بعد الظمأ ، وقرأته فوجدته كالروض بعد المطر ، ولعل صحة العبارة : هو يصفو بعد السكر ، فإن كلمة « بعد » مثل « الفاء أو ثم » .

ومن أمثلة التمثيل المركب ما كتبه يزيد بن الوليد (١) إلى مروان بن محمد (٢) وقد بلغه أنه متوقف في البيعة : « بلغني أنك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت ، والسلام (٣) » ، فهذه استعارة

(١) هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان المعروف بالناقص ، ولى الخلافة بعد أن قتل الخليفة الفاجر الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة ١٢٦ هـ مات في أثناءها بعد خمسة أشهر .

(٢) هو مروان بن محمد بن مروان آخر الخلفاء الأمويين المقتول سنة ١٣٢ هـ وكان عاملا ليزيد على إرمينية ، ونص الكتاب في ص ٢٤٢ ج أول (البيان والتبيين)

(٣) اختلف العلماء في تخريج هذه العبارة اختلافا كبيرا :

(١) فذهب جمهورهم إلى أن الأصل : « تقدم رجلا وتؤخرها تارة أخرى فتذف لفظ تارة في العبارتين وضمير المفعول في الثانية ، والذي دفعهم إلى هذا حرصهم

تمثيلية مركبة قطعاً لأن وجه الشبه فيها : التردد وترجح الرأى بين الطاعة والمعصية ، ولا يمكن انتزاع ذلك إلا من الجملتين معا .

== على أن يكون متعلق التقديم والتأخير شيئاً واحداً ، وقد اعترض على هذا التوجيه : بأن معنى التقديم والتأخير . جعل الشيء قدام الشيء وخافه فلا يجوز التخرج السابق ولكنهم أجابوا عنه ؛ بأن إعادة الرجل الى مكانها الاصلى يعد تأخيراً يجوز لأنه يعد خافاً بالنسبة لمكان تقدمها .

(ب) ورأى بعض شراح « المفتاح » أن المراد بالرجل : الخطوة ، لان المتردد الذى يقدم رجلاً لا يؤخر أخرى ، بل تلك الرجل الاولى ، اذ أنه خطا خطوة الى الامام وأخرى الى الخلف ، وسميت الخطوة رجلاً لأنها أثر لها ، وقد اعترض على هذا بان القدم : قدم الشخص فيجب أن يكون الخلف خلفه ، وبأن حدوث الخطوة تابع لحركة الرجل فالتقديم والتأخير يسلطان على الرجل لا على الخطوة .

(ج) وقال السيد الشريف : إن « أخرى » صفة « لرجلاً » محذوفة ، والمراد بها الرجل الاولى نفسها ، وسميت أخرى لأنها عند التقديم غيرها وقت التأخير فالمغايرة اعتبارية .

(د) وللسكاكى تعبير فى هذا الموطن نصه : « فتشبهوا بصورة تردد انسان قام ليذهب فى أمر ، فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلاً ، وتارة لا يريد فيؤخر أخرى » وقد أول بعض شراحه الرجل بالخطوة كما سبق فى « ب » - راجع المطول ص ٣٧٩ ، شروح التالخين ص ١٤٤ ج ٤ ، المفتاح ص ١٥٩ ، التجريد ص ١٨٤ ج ٢ .

وهذه التخريجات - كما ترى - قائمة على التسكلف والتعسف ، بعيدة كل البعد عن مورد المثل والاحداث التى اكتسفتها ، مجافية كل المجافاة لما يفيد هذا الاسلوب الادبى الجميل . وهو رسم صورة هذا الوالى المتحير الذى تجاذبته عوالم متناقضة فوقف مسلوب الارادة ، عاجزاً عن الخطو هنا أو هناك ، وقد شبهه الخليفة برجل تنازعته قوتان مختلفتان ، حاولت كل منهما جذبته نحوها فاحداهما اجتذبت احدى رجليه الى الامام ، والثانية اجتذبت الاخرى فحركتها قليلاً الى الخلف ، فوقف الرجل منفرج الرجلين لا يستطيع التقدم الى الامام ولا السير الى الخلف ولا العودة الى المكان الاصلى فهو مسلوب الحركة غير قادر أن يأتى بعمل ، وهذه هي الصورة الحققة للتحير الذى تتجاذبه القوى وغاية ما يقال فيمن قدم احدى رجليه ثم أخرها : إنه بداله رأى ثم عدل عنه ، الا إذا أصبح ذلك هجيراً ودينه ، وهذا بعيد فهمه من الاسلوب ، ومما يقطع بان ما ذكرته ==

ملاحظة : جاء الشيخ للتمثيل المركب بنوعين من الأمثلة :

أحدهما : ما صرح فيه بما يدل على أنه تمثيل وتشبيه ، مثل : هو كمن يرقم على الماء ، وكمن ينفخ في غير فم ، وكمن يبتغي الصيد في عريسة الأسد ، فإن كل ذلك مصرح فيه بأداة التشبيه والمشبّه به ، وهذا لا خلاف في كونه تشبيها وتمثيلا .

ثانيهما : ما لم يصرح فيه بما يدل على أنه تمثيل ، بأن حذف منه أداة التشبيه والمشبّه به ، وأجرى وصف المشبّه به على المشبّه كأنه صاحبه ، مثل : أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى . فإن أصله أراك في ترددك في البيعة كمن يتردد في الخروج ، فيقدم رجلا تارة ويؤخرها تارة أخرى ، فاختصر الكلام وحذفت أداة التشبيه والموصول وجرت الصفة على المشبّه كأنه صاحبه ، والتشبيه يفهم من القرائن .

ولا خلاف بين البيانيين - بعد الشيخ - في أن هذا الضرب مجاز ، ويسمى « تمثيلا على حد الاستعارة ، أو استعارة تمثيلية » وليس تشبيها اصطلاحيا ، ولكن الشيخ لم يقل بذلك هنا ، وسوى بين الضربين .

== هو المراد قوله بعد ذلك : « فاعتمد على أيهما شئت » أي اجعل أي الرجلين المتباعدين عمادا تنقف عليه وتعتمد ، ولا معنى مطلقا للتسكاف في هذا أيضا ، وأهل السكاكي رحمه الله كان يهدف إلى هذا الذي ذكرت ، وليته قال : « فيؤخر رجلا أخرى » وقد عرضت رأيي هذا على الاستاذ المؤلف فاقروه .

وبعد فلا يهولك أن هذا الرأي - الذي لم يسبقني أحد إليه - يخالف لما ذهب إليه هؤلاء الافذاذ الفطاحل فإن الحق ليس فوقه فوق ، وهو أحق أن يتبع .

رأى أبو أحمد العسكري (١) :

نقل الشيخ عنه أن هذا النحو من الكلام يسمى : المماثلة ، يريد بـ « هذا النحو » النوع الثاني المتقدم الذي جاء على طريق الاستعارة ، ومنه قولك : هو يضرب في حديد بارد ، هو ينفخ في غير فحم ، أخذ القوس باريها ، ما زال يقتل منه في الذروة والغارب حتى بلغ ما أراد ، وبالجملية كل ما لم يصرح فيه بما يدل على التمثيل ، أما التمثيل عنده فهو ما صرح فيه بالأداة .

اعتراض : اعترض الشيخ عليه بوجهين : -

أحدهما : أن هذه التسمية توهم أن هذا النوع شيء غير التمثيل ، مع أنه ليس مغاير آله ، ألا ترى أن المعنى متحد في قولك : أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، وأراك كمن يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، وإذا تحدد المعنى ، وجب أن تتحد التسمية .

ثانيهما : أنه إذا كان : « زيد أسد » يسمى « تشبيها » ، مع عدم التصريح بأداة التشبيه ، وجب أن يسمى نحو : أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى : « تمثيلا » - وإن لم يصرح بما يدل على أنه تمثيل - وهكذا : أنت ترقيم على الماء ، وتضرب في حديد بارد ، وتنفخ في غير فحم ، مما لم تذكر فيه أداة التشبيه ، لأن المعنى على إرادة التشبيه .

فظاهر كلام الشيخ : أن كلا مما ذكرت فيه أداة التشبيه ، وما لم تذكر

(١) هو الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري أحد أعلام اللغة والادب ، وأستاذ أبي هلال العسكري ، وترجمتهما في بغية الوعاة للسيوطي ص ٢٢١ ، وفي معجم الأدباء ج ٨ ، الأول من ص ٢٣٣ إلى ص ٢٥٨ والثاني من ٢٥٨ إلى آخر الجزء ، توفي أبو أحمد سنة ٣٨٣ هـ ، وأبو هلال سنة ٣٩٥ هـ .

يسمى : تمثيلا ، وتشبيها ، لأن كل تمثيل عنده تشبيه ، وهو ما جرى عليه في هذا الكتاب ، لكنه في « دلائل الإعجاز » فرّق بين النوعين ، فاذكرت فيه أداة التشبيه فهو تمثيل على سبيل الحقيقة ، وما لم تذكر فيه فهو مجاز وتمثيل على حد الاستعارة ، وإذا كان مجازا فلا يكون تشبيها ، لأن التشبيه حقيقة ، وهذا هو المعوّل عليه وهو الذى جرى عليه علماء البيان فيما بعد ، فقد وافقوا العسكري في الفرق بين النوعين ، وخالفوه في تسمية النوع الثانى ، فهو يسميه : بماثلة ، وهم يسمونه : تمثيلا على حد الاستعارة . أو استعارة تمثيلية .

سؤال : هل يجوز في كل تشبيه وُصف فيه المشبه به أن يحذف المشبه به وتجرى أوصافه على المشبه على غرار : هو يرقم على الماء ؟

أجاب الشيخ : بأن ذلك غير مطرد ، فهناك مواضع لا يصح فيها ذلك ، ولا يستقيم الكلام إلا بذكر المشبه به ، وإجراء أوصافه عليه ، وأتى لذلك بمثالين :

أحدهما : قوله صلى الله عليه وسلم : « النَّاسُ كإِبِلٍ مائة ، لا تجد فيها راحلة ، (١) ، فإن الكلام لا يستقيم إلا بذكر المشبه به وهو الابل ، ولو حذفته وقلت : الناس لا تجد فيهم راحلة ، كان ظاهر التعسف .

والمثال الثانى : قوله تعالى : « إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ » الآية ، لو حذف « الماء » الذى هو المشبه به فى الظاهر : ونقلت الكلام إلى « الحياة » التى هى المشبه ، صار كلاما غير معقول ، لأن الأوصاف المذكورة لا يصح إجراؤها على « الحياة » حقيقة .

(١) معنى الحديث أن أفاضل الناس من الندرى بمكان ، فوم كالراحلة لا تكاد توجد فى مائة من الابل ، وراجع البيان والتبيين ص ١٧ ج ٢
هـ - دراسات

ملاحظة : يفهم من كلامه أن المانع عدم صحة إجراء وصف المشبه به على المشبه حقيقة ، وهذا عندي ليس بمانع ، فكثيرا ما يحذف المشبه به ويجزى وصفه على المشبه ، مع أنه لا يصح أن يتصف به على الحقيقة ، ويكون عدم صحة ذلك هو القرينة على أن الكلام غير جار على أصله وحقيقته ، فنحو : زيد يفترس أقرانه ، أصله : زيد كأسد يفترس أقرانه ، حذف المشبه به ، وأجرى وصفه على المشبه . وكان عدم صحة اتصاف المشبه بالوصف قرينة على أن الكلام غير حقيقى ، والمانع - كما يؤخذ من كلام الشيخ فى موضع آخر - : أن الكلام يصير بعد الحذف المذكور استعارة بعد أن كان تشبيها وحقيقة ، وليس كل تشبيه يصح أن يعدل عنه إلى الاستعارة ، وإنما يجوز ذلك إذا كان الشبه بين الطرفين مشهورا معروفا بين الأدباء ، لى يسهل على المخاطب الوقوف على غرض المتكلم فى يسر وسهولة ، أما إذا لم يكن الشبه مشهورا متعارفا ، ولا قريب المأخذ كما فى المثالين السابقين ، فإنه لا يصح العدول معه عن التشبيه إلى الاستعارة ، لأن ذلك يكون إلغازا وتعمية وتعقيدا معنويا يخل بفصاحة الكلام .

وكلا لا يجوز حذف « الإبل » فى الحديث ، وإجراء وصفه على الناس ، لا يجوز استعارة « الإبل » للناس ، بأن تقول : رأيت إبلا لا تجد فيها راحلة ، تريد : ناسا لا خير فيهم ، لنفس المانع الذى ذكرناه ، وهو أن الشبه بين الطرفين لم يتعارف ويشتهر بين البلغاء ، والله أعلم .

تنبيه : جرينا على أن ماسماه المتأخرون بالمفرد المقيد داخل فى المركب فقد صرحوا بصعوبة التمييز بينهما ، وأن المعول فيه على صفاء القرينة وسلامة الذوق .

ثم فرقوا بينهما بأمرين :

أحدهما : أنه إذا كان الطرف مؤلفاً من أشياء كل منها جزء كان مركباً ،
وإن كان شيئاً واحداً والباقي شرط له كان مقيداً .

وهذا مردود بأن التمييز بين الشرط والجزء هنا عسير جداً .

ثانيهما : أنه إذا كان العمدة فيه شيئاً واحداً والباقي تبع كان مقيداً ،
ولاً فهو مركب .

وهذا أيضاً مردود يعسر تطبيقه على الأمثلة التي يقع الاشتباه فيها .

وقد جرى الشيخ على عدم الفرق بينهما ، وذكر أمثلة ما يسمونه المقيد
في المركب ، وهو خير من يقتدى به .

مواقع التمثيل

رأينا الشيخ عبد القاهر فيما مضى يسوى بين نحو : « أنت كمن يقدم
رجلاً ويؤخر أخرى » و « أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى » ، ويرد على
من سمي الثاني « بمأثلة » ولكنه الآن يضطره سلطان الحقيقة إلى التفرقة
بينهما ، فيشير إلى أن « التمثيل » يقع على وجهين :

أحدهما : أن يحىء في أعقاب المعاني .

والثاني : أن يبرز المعنى باختصار في معرضه ، وينقل عن صورته
الأصلية إلى صورته .

فالضرب الأول : الذي يحىء في أعقاب المعاني : هو ما جاء على صورة

من صور التشبيه اللفظي أو الضمني بعد كلام بئين به أحوال المشبه ، مفرداً
كان أو مركباً ، فمثال المفرد أن تقول واعظاً : الدنيا لا تدوم ولا تبقى ،
جديدها يلى ، وملسكها يفنى ، هى ظل زائل ، وعارية مستردة ، ووديعة

تسترجع ؛ ومثال المركب : قول البحترى : « ما فاتك من الدنيا لا يعود » (١)

دَانِ عَلَى أَيْدِي الْعَفَاةِ وَشَاسَعٌ عَنْ كُلِّ نَدٍّ فِي الْعِلَا وَضَرِيبُ (١)
كَالْبَدْرِ أَفْرَطَ فِي الْعُلُوِّ وَضَوْؤُهُ لِلْعَصْبَةِ السَّارِينَ جِدُّهُ قَرِيبٌ
إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْثَلَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا الشَّيْخُ فِي صَدْرِ هَذَا الْفَصْلِ ، وَسَتَأْتِي .
وَالضَّرْبُ الثَّانِي : الَّذِي أُبْرَزَ الْمَعْنَى بِاخْتِصَارٍ فِي مَعْرَضِهِ ، وَنَقَلَ عَنْ
صُورَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ إِلَى صُورَتِهِ - هُوَ : مَا جَاءَ مِنَ التَّمَثِيلِ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِعَارَةِ ،
بَأَنْ يُؤْتَى بِلَفْظٍ الْمَشْبَهَةِ بِهِ ، كُلَّهُ أَوْ بَعْضُهُ . الَّذِي هُوَ الْعَمْدَةُ فِي التَّمَثِيلِ ، مُرَادَا
بِهِ الْمَشْبَهَةِ ، فَيَكْتَسِي الْمَشْبَهَةُ مَعْرُضَ الْمَشْبَهَةِ بِهِ ، أَيْ ثَوْبَهُ ، وَيَتَصَوَّرُ بِصُورَتِهِ ،
وَذَلِكَ يَشْمَلُ أُمُورًا :

الأول : الِاسْتِعَارَةُ الْمَفْرَدَةُ الَّتِي وَجَّهَ الشَّيْخُ فِيهَا عَقْلِي غَيْرَ حَقِيقِي ، كَالنُّورِ
لِلْقُرْآنِ ، وَالحَيَاةُ لِلْعِلْمِ ، فَقَدْ صَرَحَ الشَّيْخُ بِجَوَازِ تَسْمِيَّتِهَا « تَمَثِيلًا » ، لَكِنْ
لَمَّا كَانَ اسْمُهَا الْإِصْطِلَاحِي هُوَ « الِاسْتِعَارَةُ » لَمْ يَدْخُلْهَا فِي التَّمَثِيلِ ، وَلَمْ يَمَثِلْ
بِهِيَ .

الثاني : التَّمَثِيلُ الْمُرَكَّبُ الَّذِي جَاءَ عَلَى حِدِّ الِاسْتِعَارَةِ ، مِثْلُ : أَرَأَيْكَ
تَقْدَمُ رَجُلًا وَتُؤَخِّرُ أُخْرَى ، أَخَذَ الْقَوْسَ بَارِيهَا ، هُوَ يَضْرِبُ فِي حَدِيدٍ
بَارِدٍ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا وَصَفَ فِيهِ الْمَشْبَهَةُ بِوَصْفِ الْمَشْبَهَةِ بِهِ بَعْدَ حَذْفِهِ هُوَ
وَالْأَدَاةُ .

قال الشَّيْخُ فِي (دَلَائِلُ الْإِعْجَازِ) : (وَأَمَّا التَّمَثِيلُ الَّذِي يَكُونُ بِجَزَاءٍ
لِجَمِيعِكَ بِهِ عَلَى حِدِّ الِاسْتِعَارَةِ ، فَمِثَالُهُ : أَرَأَيْكَ تَقْدَمُ رَجُلًا وَتُؤَخِّرُ أُخْرَى ،
فَالْأَصْلُ : أَرَأَيْكَ كَمَنْ يَتَرَدَّدُ فِي الْخُرُوجِ فَيَقْدَمُ رَجُلًا وَيُؤَخِّرُ أُخْرَى . ثُمَّ
اخْتَصَرَ الْكَلَامَ . وَجَعَلَ كَأَنَّهُ يَقْدَمُ الرَّجُلُ وَيُؤَخِّرُهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَقَالَ

(١) سَيُشْرَحُ هُمَا الْإِسْتِاذُ الْمُؤَلِّفُ قَرِيبًا .

في موضع آخر : « وحكم التمثيل حكم الاستعارة ، فأنت إذا قلت : أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى - فأوجبت له الصورة التي يقطع معها بالتحجير والتردد - كان أبلغ لاحالة من أن تجرى على الظاهر فتقول : أنت كمن يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، » .

فانظر إلى قوله : « ثم اختصر الكلام ، وقوله : « فأوجبت له الصورة التي يقطع معها ، بالتحجير ، تعلم أنه لم يرد بهذا الضرب التشبيه ، لأنه لا اختصار فيه ، ولا إيجاب صورة .

الثالث : التمثيل المفرد الذي دل عليه بإثبات وصف المشبهة به للمشبه وهو في الاصطلاح عند البليانيين بعد الشيخ من الاستعارة بالكناية مثل : هو يصفو ويكدر : على ماهر ومثل ما يأتي من الأمثلة كقول الشاعر (١) :

إذا همّ ألقى بين عينيه عزمه ونكّب عن ذكر العواقب جانباً
فقد شبه « العزم » بشيء محسوس يلقى أمام العينين بجامع العنابة التامة بكل ، ثم دل على هذا التشبيه بإثبات لازم المشبه به وهو « الألقاء بين العينين » للمشبه ، وقد جاء الشيخ بأمثلة من هذا النوع ، ستشرح في مواضعها إن شاء الله .

ملاحظة : عذر الشيخ في مجيئه بأمثلة من الاستعارة ، مع حكمه بأن كل تمثيل تشبيهي ، أنه قصر الاستعارة على المفردة ، وأنه في « أسرار البلاغة » لم يفرق بين ضربي التمثيل ، وجرى على أن كل تمثيل تشبيهي ، وإنما فرق بينهما

(١) هو سعد بن ناشب المازني ، الشاعر الأموي ، والبيت من قصيدة تجمد بعضها في الجلسه من ٦٩ ج أول ورغبة الأمل ص ٤ ج ٣ ، الشعر الشعراء ص ١٦٣ ، ومن حديثها أن سعداً قتل رجلاً بصرياً وكان قاضياً بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري في عهد هشام بن عبد الملك — فطلبه فلم يقدروا على فتح داره فأمر القاضي بهدمها كما أشار في قصيدته تلك .

في « دلائل الإعجاز » ، ويعذر أيضاً لأن أصول الفن واصطلاحاته لم تكن قد رسخت في النفوس ، لأنه كان في دور التكوّن والطفولة .

ملاحظة أخرى : بقي من التمثيل نحو : كلام كالغسل ، وحجة كالشمس ،

وقوله :

وَإِنْ مَنْ أَدْبَتَهُ فِي الصَّبَا كَالْعُودِ يُسْقَى الْمَاءَ فِي غَرْسِهِ

من كل تمثيل تبين فيه أحوال المشبه صراحة ، فبأى الوجهين يلحق ؟ كان رأي أن يلحق بالوجه الأول الذي وقع عقب المعنى ، لأن حال المشبه - وإن لم تفصل صراحة - مفهومة ضمناً كأنه قيل : كلام جميل مقبول كالغسل ، وحجة واضحة لا مانع دونها كالشمس ، وهكذا .

وإن لم يسلم هذا ، فهو خارج عن الوجهين ، ويكون الاختصار عليهما ، لأن التمثيل فيهما أوقع وأعظم أثراً في النفس .

ويرى بعض الزملاء : أنه داخل في الوجه الثاني الذي أبرز المعنى باختصار في معرضه .

ويرجح رأي أمران :

الأول : أن مثل « كلام كالغسل » لا يصدق عليه القسم الثاني ، لأن الاختصار من خواص الاستعارة ، ولأن المعنى لم يبرز في معرض غيره ، ولم يتصور في صورة أخرى ، إذ كل من الطرفين بارز في معرضه وصورته الأصلية .

الثاني : أن الخطيب في « الإيضاح » اقتصر على التنويه بالتمثيل إذا وقع في أعقاب المعاني ، وذلك لأنه بصدد الكلام على التشبيه ، فأتى بالعبارة الخاصة به ، وحذف العبارة الخاصة بالاستعارة ، لأن الفرق بينهما ثابت عنده ، والاصطلاحات قد وضحت وتقررت وهو الصواب إن شاء الله .

تأثير التمثيل

لم يزل العلماء والأدباء ينوّهون بالتشبيه ، والتمثيل منه ، ويذكرون فضله في تمكين المعنى في النفس ، وتقريبه إلى الأفهام .

جاء في «الصناعين (١)» لأبي هلال العسكري (٢) : «التشبيه يزيد المعنى وضوحاً ، ويكسبه تأكيداً ، ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه ، ولم يستغن أحد منهم عنه ، وقد جاء عن القدماء وأهل الجاهلية ما يستدل به على شرفه وموقعه من البلاغة » .

وقال الزمخشري في «الكشاف (٣)» عند قوله تعالى : «مثالهم كشمل الذي استوقد» : «ولضرب الأمثال ، واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالحق في إبراز خبيئات المعاني ، ورفع الاستار عن الحقائق ، حتى يريك المتخيّل في صورة المحقق ، والمتوهم في معرض المتيقّن ، والغائب كأنه مشاهد ، وفيه تبيّنت للخصم الأدل ، وقنع لسورة الجاحم الأبى ، ولأمر ما أكثر الله في كتابه المبين أمثاله ، وفما ذلك في كلام الرسل والأنبياء والحكماء ، قال تعالى : «وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ» .

وقد بلغ عبد القاهر في ذلك المبالغ ، فالتمثيل عنده يكسو المعاني أبهة ويكسبها منقبة ، ويرفع من أقدارها ، ويشب من نازها ، ويستثير لها من أفاصى الأفئدة صباية وكفا ، وحبّة وشغفا .

(١) من ١٨٣ ، ١٨٤ طبعة الخانجي سنة ١٣٢٠ هـ ، وما هنا ناقص بعض الكلمات عما هناك .

(٢) تقدم التعريف به من ٦٤ .

(٣) من ٣٧ ج أول .

فإن كان المعنى الممثل مدحا كان أبهى وأنخم ، وأنبل وأعظم ، وأسير
على الأسسُن وأذكر ، وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر ، أنظر إلى قول
البحرئى يمدح يعقوب بن إسحاق بن نوبخت :

دَانٍ عَلَى أَيْدَى الْعُفَاةِ وَشَاسِعٌ عَنْ كُلِّ نِدٍّ فِي الْعُلا وَضَرِيبِ
كَالْبَدْرِ أَفْرَطُ فِي الْعُلُوِّ وَضَوْؤُهُ لِلْعَصْبَةِ السَّارِينَ جَدُّ قَرِيبِ

وفكر في حاله وحال المعنى وأنت في البيت الأول لم تنته إلى البيت
الثاني ، وما فيه من تمثيل بالمحسوس الذي تمليه على الإنسان عيناها ، ثم قسمهما
على الحال وقد وقفت عليه ، فستعلم بعد ما بين الحالين ، وأن المعنى بعد
التمثيل قد تمكن لديك ، وصار أنبل في نفسك ، وأجلب لأنسك .

شرح البيتين :

« العُفَاة » جمع عاف ، وهو السائل ، وطالب الرزق ، « الشاسع » .
الشديد البعد ، « النَّد » ، المثل ، « الضريب » . المثل أيضاً ، « أفرط » ، جاوز
الحد ، « جد قريب » . وصف المزدوج ، أى قريب جد قريب ، أى بلغ
الغاية في القرب .

شبه الممدوح وقد قرب نفعه ، وعلت منزلته ، بالقمر قد دنا ضوؤه ،
وعلا مكانه ، ووجه الشبه . حال شيء داني النفع ، بعيد المرتقى ، شديد القرب
من ناحية ، شديد البعد من ناحية .

و « شاسع » . إستعارة تصريحية تبعية ، شبه البعد المعنوى بالبعد الحسى ،
وهو معنى الشسوع ، ثم استعار الشسوع للبعد المعنوى ، ثم اشتق منه شاسع
بمعنى : بعيد المسكنة .

وإن كان المعنى الممثل ذمّا كان مسه أوجع ، وميسمه ألذع ، ووقعه

أشد ، ويشهد لذلك أن تتعهد الفرق بين أن تقول : فلان يكذب نفسه في قراءة
السكرت ولا يعي منها شيئاً ، وتسكت . وبين أن تتبع ذلك بقولك : كالحمار
يحمل أسفاراً ، أو بقول مروان بن أبي حفصة (١) في ذم رواة الشعر الذين
لا يفرقون بين جيده وردئه مع كثرة حفظهم :

زَوَامِلُ لِلأَشْعَارِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ بِجَيِّدِهَا إِلَّا كَعِلْمِ الْآبَاعِرِ (٢)
لعمرك ما يدرى البعير إذا غدا بأوساقه أرواح . مافي الغرائر ؟

« الزوامل » : جمع زاملة ، وهي ما يحمل عايتها من الابل وغيرها ،
و « الآباعر » : جمع بعير ، و « الأوساق » : الأحمال ، و « الغرائر » : جمع
غرارة - بالكسر - . الجوالق ، والتشبيه بالزوامل التي تحمل الأوساق ولا
تدرى ما فيها كالتشبيه بالحمار يحمل أسفاراً ، وقد سبق بيانه ، لكن هناك
فرق لا يخفى ، وهو . أن المحمول على الحمار : الأسفار التي هي أوعية العلوم ،
والمحمول على الزوامل : الأوساق والغرائر ، لذلك كان الوجه في الأول :
التعب في الشيء النافع بلا انتفاع به ، وفي الثاني : التعب في استصحاب الشيء
مع جهله .

وكذلك أن تتعهد الفرق بين أن تقول : أرى قوما لهم بهاء ومنظر ،
وليس هناك مخبر ، بل في الاخلاق رقة ، وفي السكرم ضعف وقلة ، وتسكت .
وبين أن تتبع هذا الكلام . « أما البيت فحسن ، وأما الساكن فردى » ،

(١) هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة الشاعر العباسي المشهور ، نشأ في
أواخر العصر الأموي ولكنه ظهر أيام العباسيين ومدح المهدي والرشيد وسواهما ، ويعد من الفحول
في المديح ، توفي سنة ١٨١ هـ .

(٢) يوجد البيتان في ص ٩٩ أسرار البلاغة وص ١٩٦ دلائل الإعجاز ، ص ٢٧ ج ٣
من الكامل للبرد ، ص ٣٠٣ ج ٢ من العقد الفريد طبع الريان ، وقد شرحهما المبرد
والمرصفي شرحاً وافياً .

أوقول ابن لنسكك (١)

لا تعجبَنَّك اللَّسْحَى وَلَا الصُّوَرُ تِسْعَةُ أَعْشَارٍ مَنْ تَرَى بَقْرُ (٢)
تراهم كالسحاب منتشرآ وليس فيه لطالب مطر

في شجر السَّروِ مِنْهُمْ مِثْلُ لَهُ رِوَاءُ وَمَا لَهُ ثَمَرُ (٣)

أوقول ابن الرومي يعاتب أبا القاسم التوزي الشطرنجي ، وكان قد
قصده في حاجة فوعده ولم يف بوعده ، من قصيدة طويلة :

بَذَلَ الْوَعْدَ لِلْإِخْلَامِ سَمَحًا وَأَبَى بَعْدَ ذَلِكَ بَذَلَ الْعَطَامِ

فَعَدَا كَالْخِلَافِ يُوْرِقُ لِلْعَيْشِ وَيَأْبَى الْإِثْمَارَ كُلَّ الْإِيَامِ

أوقول الآخر (٤) .

وما المرء إلا الأصغران . لسانه ومعقوله ، والجسم خالقٌ مصور (٥)

(١) هو أبو الحسن محمد بن محمد بن لنسكك ، قال الثعالبي : « فرد البصرة وصدر
ظرفاتها في زمانه . . . وأكثر شعره مالح وظرف » ، وطالما شك الزمان وأهله ، وهجا
أكثر شعراء عصره خصوصا المتنبي ، وأكثر إجادته في البيتين والثلاثة ، أما في القصيد
فقلما يفلح ، وترجمته في اليتيمة ص ٣٢٠ — ٣٣١ ج ٢ .

(٢) رواية اليتيمة ص ٣٢٣ ج ٢ « لا تتخذ عنك » .

(٣) قال الثعالبي : إنه مأخوذ من بيت ابن الرومي الاتي « فعدا كالخلاف الخ » .

(٤) هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهمم أحد الخطباء المصاقع ، الذين يقرب
بهم المثل في البلاغة ، وهو من رهط شبيب بن شيبه الخطيب المشهور ، وفهم ما يقول بشارت -
وإن قولاً يروق الخالدين معاً لمسكت مخرس عن كل تحجير

وسأهما الخالدين تغلبا ويقول صفوان الانصاري في شأنهما : —

أقام شبيب وابن صفوان قبله

بقول خطيب لا يجانبه القصد

توفي خالد سنة ١٣٣ هـ ، سنة ٧٥٥ م أيام السفاح ، راجع ص ٣٦ ، ص ٤٢ ج ١

من البيان والتبيين .

(٥) الأصغران : القلب واللسان ، والمعقول : العقل ومحله عند الحكماء الرأس وفي

القرآن القلب « أم لهم قلوب يعقلون بها » وفي هذا المعنى يقول الشاعر :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

فإن طرّة راقتك فانظر فرّجاً أمر مذاق العود والعود أخضر (١)

شبه هؤلاء القوم الذين حسن منظرهم ، وساء مخبرهم ، أولاً . بالبیت الحسن الرديء ساكنه ، وثانياً . بالسحاب الذي لا مطر فيه ، وبشجر السرو وهو شجر تمتد الساق مستقيمه ، منظره حسن ، ولا ثمر له ، وثالثاً . شبه من يعد ولا يفي بالخلاف - وهو شجر مورق غير مشمر أيضاً - ورابعاً . شبه الفتى ذا الطرّة الجميلة الرائعة ، المنطوى على الأخلاق السيئة بالعود يكون أخضر ناضراً ، ومذاقه مرّ ؛ ووجه الشبه في كل ذلك . الجمع بين المنظر الحسن السار والمخبر السيء المؤلم .

وإذا شئت فأنشد قول ابن لنكك (٢)

إذا أخو الحسن أضجى فعله سمجاً
رأيت صورته من أقبح الصور
وافهم معناه ، ثم أتبعه بقوله متمثلاً .

وهبك كالشمس في حسن ألم ترنا

نفسر منها إذا كملت إلى الضرر ؟

فإنك ستبتين في جميع الأحوال التي ذكرنا . أن المعنى بعد التمثيل قد ازداد شرفاً ، وصار أشد لذعاً ، وأكث إيلاماً ، ثم وازن بين قول المتنبي .

ومن يك ذا قم مرّ مريض يجد مرّاً به العذب الزلالا (٣)

(١) الطرّة : الناصية وعلم الذوب وطرف كل شيء ، وفي دلائل الإعجاز ص ٤٢٧ . وإن طرّة وما هنا أنسب وهو رواية أسرار البلاغة ص ٩٩ .

(٢) البيتاق في اليقظة ص ٣٣٠ ج ٢ .

(٣) رواية الديوان بشرح العكبري «الماء الزلالا» راجع ص ٢٢٨ ج ٣ من «التيبان»

يشبه أولئك الذين يعيبون شعره ، لفساد ذوقهم ، واختلال ملكة التمييز بين الجيد والردى فيهم ، فهم يظنون الجيد رديثا ، والحسن قبيحا ، - لعيبهم هم لا لعيب الشعر - بحال مريض اختلت حاسة ذوقه ، فصار يحس العذب الزلال مرًا - وما به من مرارة - ووجه الشبه : أن كلا يرى الشيء على خلاف حقيقته ، لفساد إدراكه .

وبين ما لو سلك بالمعنى الظاهر من العبارة بأن قيل : الجاهل الفاسد الطبع يرى الصواب خطأ والحسن قبيحا ، هل تجد له هذه الروعة ؟ وهل كان يبلغ من وقم الجاهل ووقده (١) ، والكشف عن نقصه ، ما بلغه « التمثيل » في البيت ، وينتهى إلى حيث انتهى ؟ ؟

ملاحظة . ظاهر كلام الشيخ أن هذا البيت استعارة تمثيلية من القسم الذى أبرز فيه المعنى باختصار فى معرض التمثيل ، وأنه بعد التشبيه السابق ، استعيرت الألفاظ الدالة على المشبه به للمشبه ، والدليل على ذلك ، أنه يقول « لو سلك بالمعنى الظاهر من العبارة » أى . لو أدى المعنى بعبارة تدل عليه بظاهرها حقيقة ، لا بعبارة تدل عليه على خلاف ظاهرها .

وقد يقال . إنه ليس استعارة ، بل هو تشبيه وقع فيه التمثيل عقب المعنى لأن المشبه مذکور فى البيت السابق لهذا البيت وهو .

أَرَى الْمُتَشَاعِرِينَ غَرَوْا بِذِمِّيَّ وَمَنْ ذَا يَحْمَدُ الدَّاءَ الْعَضَالَا (٢)

وجوابه أحد أمرين :

١ - أن هذا البيت أصبح مثلا سائرا لكل من يعيب الحسن لعيب فيه ، فلذلك لم ينظر الشيخ إلى سابقه .

(١) وقه - كوعده - قهره وأذله ، أوردته أقبح الرد وحزنه أشد الحزن ، والوقد : شدة الضرب ، وقده : صرعه وسكنه وغلبه وتركه عليلًا ، كأوقده .
(٢) الضال الذى لا دواء له ، وغرى به ، مبنية للفاعل والمفعول - أولع .

٢ - أن البيت السابق قد اشتمل على تمثيل حال المتشاعرين معه بحال المريض يصيبه الداء العضال، ووجه الشبه: إصابة كل بما يبعث ألمه وشكواه ولا يرضى عنه بحال، ثم جاء بالبيت الثاني كأنه تمثيل مستقل، غير منظور فيه إلى ما سبق، و« غروا » - بفتح أوله وضمه - معناه . أولعوا .

وإن كان المعنى الممثل وعظا، كان أشنى للصدر، وأدعى إلى الفكر، وأبلغ في التنبيه والزجر، وهذا هو الفن الذي هو أشرف وأكرم في عبارة الشيخ، وازن بين قولك: إن الذي يعظ ولا يتعظ يضر نفسه من حيث ينفع غيره، وبين أن تضم إلى ذلك قوله . عليه الصلاة والسلام: « مثل الذي يعاسم الخير ولا يعمل به مثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه » . ووازن بين قولك لمن تعظه: لا تعمل شراً وأنت ترجو من ورائه خيراً إنما تجزى بما عملت، وبين أن تقول في أثره: « إنك لا تجنى من الشوك العنب، وإنما تحصد ما تزرع » (١)، وهذه استعارة تمثيلية، شئت حال هذا الرجل بحال من يزرع شوكا ويرجو أن يجنى منه عنباً، بجامع أن كلا يطلب ما لا يكون، ثم استعيرت ألقاظ المشبه به للمشبه .

ومن ذلك قوله .

إذا وترت امرأ فاحذر عداوته من يزرع الشوك لا يحصد به عنباً
وقابل بين أن تقول: لا تكلم الجاهل بما لا يعرفه، وبين أن تقول:

(١) نسب لأكثم بن صيفي الهميمي الخطيب والحكيم العربي المشهور، عاش ١٩٠ سنة وأوصى قومه بالأسلام ولم يسلم ومات بعد البعثة بقليل، وقد قرأت في « إنجيل متى » الأصحاح السابع ص ١٢ هذه العبارة: « احتزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من الداخل ذئاب خاطفة » من ثمارهم تعرفونهم، هل يجتثون من الشوك عنباً؟ ففعل أكثم أخذها من كلام السيد المسيح عليه السلام .

لا تنثر الدرّ أمام الخنازير (١) ، أو تنشد قول الشافعي (٢) رضى الله عنه .

أَنْثَرُ دَرًّا بَيْنَ سَارِحَةِ الْعَنَمِ وَأَنْشِدُ مَنْظُومًا لِأَعْيَةِ النَّعَمِ (٣)

وهذان الأخيران استعارتان تمثيليتان ، شبهت فيهما حال من يكلم الجاهل بما لا يفهمه من الحكم البليغة ، بمن ينثر الدرّ أمام الخنازير ، أو بين النعم السارحة ، في أن كلا وضع الشيء في غير موضعه ، وأعطاه لغير أهله ، ثم امتعير لفظ المشبه به للمشبه .

وكذلك بين أن تقول : الدنيا لا تدوم ولا تبقى ، وبين أن تقول . هي ظل زائل ، وعارية مستردة ، أو تقول . من في الدنيا ضيف ، وما في يده عارية ، والضيف مرتحل ، والعارية مؤاده ، أو تنشد قول لبيد (٤) .

وما المَالُ والأَهْلُونَ إِلَّا وَدَائِعُ وَلَا بَدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ
أو قول الأفواه : الأودى (٥) .

إِنَّمَا نِعْمَةٌ قَوْمٍ مُتَعَةٍ وَحَيَاةُ الْمَرْءِ ثَوْبٌ مُسْتَعَارٌ

(١) لعلموا مأخوذة أيضاً مما في الانجيل « الصفحة السابقة » من قول المسيح أيضاً : « لا تطرحوا درركم قدام الخنازير » وراجع أيضاً رسالتنا الباب الاول - الفصل الثالث (٢) هو الامام محمد بن إدريس الشافعي القرشي يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف ، توفي سنة ٢٠٤ هـ .

(٣) في رواية « وأنثر منظوما » وما هنا أدق .
(٤) هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامري ، وكان شاعراً شريفاً قائداً محسناً وجواداً كريماً عمر ١٢٠ أو ١٣٠ سنة ، وقد أسلم ونسك وغنى بتلاوة القرآن عن الشعر حتى لم يروله في الاسلام إلا بيت واحد هو قوله :
ما غاب الحر الكريم كنفه
والمرء يصلحه المجلس الصالح
توفي سنة ٤١ هـ .

(٥) هو صلاء بن عمرو بن مالك ، والافواه لقبه وكنيته أبو ربيعة ، كان سيداً في قومه وشاعراً فخلاً وفارساً ذا رأى وحزم توفي سنة ٥٧٠ م أى قبل ولادة الرسول بسنة .

كل هذه تشبيهات تمثيلية ، وجه الشبه فيها سرعة الزوال ، ووشك الارتحال ، وكل ما تقدم : ، من تشبيه (١) ما تقع الغفلة فيه بما لا غفلة عنه ، و « المتعة » - هنا - . الزاد القليل ، والبلغة التي يتبلغ بها إلى غيرها .

ستجد بعد هذه الموازنات أن المعنى الممثل أبلغ أثراً ، وأعظم وقعاً . ومن أمثلة الاحتجاج ، قول أبي ذؤيب يحتج على استحالة اجتماعه وابن أخته على عشق امرأة واحدة (٢) .

تريدينَ كَيْمًا تَجْمَعِينِي وَخَالِدًا

وهل يجمع السَّيفان ويحك ، في غمد

ومن أمثلة الافتخار قول المتنبي .

كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا عِيًّا فَيُعْجِزُكُمْ وَيَكْرَهُ اللَّهُ مَا تَأْتُونَ وَالسَّكْرَمَ

مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالنَّقْصَانَ عَنْ شَيْمِي

أَنَا الثَّرِيَّا ، وَذَانِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمَ

يشبه حاله مع العيب والنقصان ، بحال « الثريا » مع الشيب والهرم ، فكما يستحيل قيام هذين بالثريا ، كذلك يستحيل قيام العيب والنقصان به ، فالتشبيه مركب لا متعدد ، إذ لا معنى لتشبيهه العيب والنقصان بالشيب والهرم استقلالاً ، وإذا صح أن يشبه نفسه بالثريا في العلو ، فليس ذلك مقصود البيت .

ومن الحكمة . قول أبي تمام في مدح أحمد بن أبي دؤاد ، وكان قد وشى به إليه فظهر كذب الواشي .

(١) من تشبيه : خبر « كل ما تقدم » .

(٢) تقدم البيت وقصته من ٥٢

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طَوَيْتُ، أَتَاحَ لَهَا لِسَانِ حَسُودٍ

لَوْ لَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرْتُ مَا كَانَ يَعْرِفُ طَيْبَ عَرَفِ الْعُودِ

قال الجرجاني (١) في «الوساطة»، (٢). «صدق - والله - وأحسن . كم فضيلة لولم تستثرها المحاسدة ، لم تبرح في الصدر كامنة ، ومنقبة لولم تزعجها المنافسة . لبقيت على حالها ساكنة ، لكنها برزت حين تناولتها ألسن الحسد تجلوها وهي تظن أنها تمحوها ، وتشهرها وهي تحاول أن تسترها . حتى عثر بها من يعرف حقها ، فعادت بعد الخمول ناهية ، وبعد الذبول ناضرة .»

يشبهه أبو تمام فضائله التي جلتها الوشاية وشهرتها - مع ما في الوشاية من ضرر وسوء - برائحة «العود» يظهر طيبها بالنار - مع ما في النار من قسوة وأذى - ووجه الشبه : ظهور فضيلة كلٍّ بأمر شديد الضرر .

ومن الشكوى قول ابن الرومي :

طَلَبْتُ إِلَيْكُمْ بِالْعِتَابِ مَوْدَّةً وَعَظُفًا فَأَعْتَبْتُمْ يَا حُدَى الْبَوَائِقِ

فَسَكَنْتُ كَمَسْتَسْقٍ سَمَاءَ خَيْلَةٍ حَيَا فَأَصَابَتْهُ يَا حُدَى الصَّوَاعِقِ

(١) هو القاضي الجليل أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني أحد الكملة في أدبهم وعلمهم وخلقهم ، توفي بالرى قبيل نهاية سنة ٣٩٢ بستة أيام ، ومن شعره الذي يجب أن يضعه كل مشتغل بالعلم نصب عينيه قوله :

وَلَمْ أَقْضِ حَقَّ الْعِلْمِ إِنْ كَانَ كَلِمًا بَدَا طَمَعٌ صِيرْتَهُ لِي سَلَمًا
وَلَمْ أَتَذَلَّ فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ مُوَجِّعِي لَا تُخْدَمُ مَنْ لَا قَيْتَ لَكِنْ لَا تُخْدَمُ
أَشْقَى بِهِ غَرَسًا وَأَجْنِبُهُ ذَلَّةَ إِذْنِ قَابِضِياعِ الْجَوْلِ قَدْ كَانَ أَحْزَمًا
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانِهِمْ وَلَوْ عَظُمُوهُ فِي النُّفُوسِ تَعْظِمًا
وَلَكِنْ أَذَلُّوهُ جَوَارًا وَدَنَسُوا مَحْيَاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّى تَجْهَمًا

وترجمته في ص ١٤ ج ١٤ «معجم الأدباء» ، ص ١٧٣ طبقات المفسرين .

(٢) ص ١١ الطبعة القديمة ، ص ١ طبعة سنة ١٩٤٩

ومن الوصف : قول البحترى يصف أخلاق ممدوحه بأنها قد ازدادت حسناً ، وعظمت قدراً بمجاورتها لأخلاق قوم لئام ، خالين من المجد :

وَقَدْ زَادَهَا إِفْرَاطُ حَسَنِ جَوَارِهَا

خَلَاتِقَ أَصْفَارٍ مِنْ الْمَجْدِ خَيْبٍ (١)

وَحَسَنٌ دَرَارِيَّ الْكَوَاكِبِ أَنْ تَرَى

طَوَالِعَ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ غَيْبٍ (٢)

لامراء في أن التمثيل للمعاني المتقدمة قد زاد من أقدارها ، وكسبها فضلاً ونباهة شأن .

أسباب تأثير التمثيل

بعد أن ضرب الشيخ الأمثلة ، وأتى بالشواهد الناطقة بما للتمثيل من أثر في النفوس ، شرع يبين سرّ هذا التأثير ومآتاه ، وقد جاء بثلاثة أسباب :

أولها : نقله النفس من العقلى إلى الحسى ، ومن النظرى إلى الضرورى .

ثانيها : جمعه بين الأمور المتنافرة المختلفة .

ثالثها : حاجته إلى الفكر .

وكل واحد من هذه يؤثر في النفس ، ويقع منها أحسن موقع ، فإذا اجتمعت كلها ، أو اثنان منها - وكثيراً ما يحصل ذلك - كانت أعظم أثراً ،

(١) أصفار : جمع صفر - يسكون العين مثلث الفاء ، وبضمومها ويفتح الفاء وكسر

العين - وهو الخالي ، وخيب : جمع خائب أى محروم أو خاسر .

(٢) الكوكب الدرى : المتلألئ المشرق ، نسبة إلى الدرة وهى اللؤلؤة العظيمة ،

والداجى : المظلم ، دجا - كأدجى وتدجى وادجوى - أظلم والغييب : الغائمة - كالغييبان - والليل :

وأجل وقعا ، وقد عرض لشرح كل واحد من هذه الأسباب بالتفصيل ،
ونبادر فنقول :

إن تأثير السبب الأول آت من ناحية تقوية المعنى وتوكيده . وأما تأثير
الثاني فمن ناحية الطرافة والغرابة ، وأما الثالث فمن ناحية اللذة العقلية ،
والمتاع الروحي .

السبب الأول من أسباب تأثير التمثيل :

أظهر الأسباب أن في كثير من التمثيل انتقالا بالنفس من المعقول
إلى المحسوس ، وبما يدرك بالفكر والنظر ، إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع ،
وذلك يوجب لها أنسا بالمعنى ، وثقة به واطمئنانا إليه ، وسر ذلك أمران :
أحدهما : أن العلم الثاني - وهو الحسى والضرورى - أقوى من العقلى
والنظرى ، وأشد استحكما ، ولذلك يقولون : « ليس الخبر كالعيان ،
ولا الظن كاليقين » . فإذا جئت بالمثل عقب المعنى ، أو أبرزت المعنى في معرضه
أنست إليه النفس ، ووثقت به ، وقبلته مطمئنة ، إذ رددتها إلى ما هي به
أعلم ، وثقتها به أحكم .

ثانيهما : أن العلم الحسى والضرورى أسبق حصولا للنفس من العقلى
والنظرى ، لأن العلين الأولين وسيلتها إلى العلين الآخرين ، وطريق
حصولهما لها ، فهي آلف لهما ، وهما أقدم لها صحبة ، وآكد عندها
حرمة ، كما قال أبو تمام :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى

ما الحُبُّ إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألفه الفتى

وحنيه - أبدأ لأول منزل

فإذا نقلت النفس في الشيء تمثله - أي تضرب له مثلاً - من المعقول إلى المحسوس ، أو من النظري إلى الضروري ، كنت كمن يتوسل إليها للغريب بالحميم ، وللجديد الصحبة بالحبيب القديم ، وذلك أدعى إلى قبولها ، وأجلب لرضاها . وقد ضرب الشيخ مثلاً للتمثيل ، فقال : « مثلك مع الشاعر أو الناثر إذا أوقع المعنى في نفسك غير ممثل ثم مثله ، كمثلك مع من يصف لك شيئاً من وراء حجاب ، ثم يكشف عنه الحجاب ، ويقول : ها هو ذا فأبصره تجده على ما وصفت ، فإنك تزداد في الحالين ثقة بالمعنى ، واطمئناناً إليه » .

سؤال : قد يقول قائل : إنما يكون كشف الحجاب عن الشيء بعد علمه سماعاً ، سبياً في زيادة الثقة ، إذا كان ذلك الكشف يزيل شكاً كان لا يزال عالقا بالنفس ، أما إذا لم يكن هناك شك فسيبان عندها : كُشف الحجاب أم لم يكشف ، فهل كل تمثيل ثمرته إزالة الشك ؟ .

جوابه : أن المعاني التي يأتي التمثيل عقبها ضربان :

أحدهما : بديع غريب يمكن أن يشك فيه ، ويدعى امتناعه ، كقول المتنبي في قصيدة يرثي بها أم سيف الدولة (١) :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال
أراد أن يقول : إن سيف الدولة فاق الأنام بأوصافه الفاضلة ، حتى صار كأنه جنس آخر فوقهم ، وهذا أمر غريب ، يفتقر من يدعيه إلى أن يثبت وجوده في الجملة ، ليتسنى له ادعاء وجوده في الممدوح ، فلما قال : « فإن المسك بعض دم الغزال » فقد احتج لدعواه ، وأبان أن لها أصلاً في الوجود ، فإن المسك أصله دم ، ولكنه خرج بأوصافه الشريفة عن جنس الدم ، وصار جنساً آخر ، إذ لا يوجد في الدم شيء من أوصافه ، ولا فيه شيء من أوصاف الدم البتة .

(١) راجع « التبيان » ص ٨ - ٢٠ ج ٣ . وستأتي ترجمة سيف الدولة .

الثاني: غير بديع ، ولا غريب ، ولا نادر ، كقول مجنون ليلي (١):
فأصبحت من ليلي الغداة كقباض على الماء خائنه فروج الأصابع (٢)
يريد أن يقول: إنه خاب في ظنه أنه سيتمتع بها ، ويسعد بوصفها ،
وهذا المعنى ليس منكرآ في الوجود ولا عجيبا ، حتى يحتاج إلى إقامة دليل
على إمكانه وصحته .

إذا علم هذا ، فالضرب الأول . فائدة التمثيل فيه ، وسبب الأنس به :
أنه أفاد صحة المعنى وإمكانه ، ونفى الريب والشك عنه ، وبرأ صاحبه من
تهمة الكذب ، وانطباق كشف الحجاب عاياه واضح .

أما الضرب الثاني ، فإن التمثيل ، وإن لم يفد فيه إزالة الشك ، فإنه يفيد
فائدة أخرى ، تجرى مجرى إزالة الشك في اجتلاب الأنس ، وذلك أن هذا
المعنى — وإن كان لا يعتوره ريب — يحتاج إلى بيان مقداره ، والكشف
عن مبالغه في القوّة والضعف ، والزيادة والنقص ، فإن الأمور العقلية قد
تختلف مقاديرها ، فإذا مثلت بالمحسوس ، عرفت مرتبتها وحقيقتها ، فمجنون
ليلى حين قال : « كقباض على الماء » أراك أنه بلغ في بوار سعيه إلى أقصى

(١) هو قيس بن معاذ ، ويقال ابن الملوح ، من بني جعدة ، من عامر بن صعصعة
وقيل : هو من بني عقيل بن كعب بن سعد ، وقيل اسمه مهدي بن الملوح ، والخلاف
في شأنه — بل في وجوده — كبير ، والصحيح أنه كان موجودا ، قال ابن قتيبة : « وهو
من أشعر الناس ، على أنهم قد نخلوه شعرا كثيرا رقيقا يشبه شعره » وهو من شعراء
العصر الأموي ، وترجمته في الأغاني ، وفي الشعر والشعراء ص ١٣٥ ، المؤلف ص ١٨٨
معجم الشعراء ص ٤٧٦ وغيرها . وديوانه مطبوع ، توفي سنة ٨٠ هـ ، سنة ٧٠٠ م .

(٢) تقدم هذا البيت من ٥٠ ومن نوع بيتنا هذا قوله ص ١٨٩ مؤلف — أيضا :
فأصبحت من ليلي الغداة كقباض مع الصبح في أعقاب نجم مغرب
وليلي : هي بنت سعد بن مهدي بن ربيعة بن الحريش بن كعب بن ربيعة الجعدي « ص ٤٣ هـ
أديان العرب » .

المبالغ ، وانتهى إلى أبعد الغايات ، فتأثير التمثيل : هو هذا البيان الذى كانت النفس مشوقة إليه .

تعقيب : عقّب الشيخ على هذا الجواب بأنه : مبنى على التسامح ، فقد وافقنا السائل على أن الأنس الحاصل بالمشاهدة ، وكشف الحجاب عن الشيء بعد علمه سماعاً ، لا سبب له إلا دفع الشك ، ثم التمسنا ممياً آخر يجرى مجراه إذا لم يكن شك ، وهو بيان المقدار .

التحقيق : أما التحقيق فهو أن المشاهدة لها أثر خاص فى النفس ، وإن لم يكن هناك شك ولا ارتياب ، ولا شوق إلى بيان مقدار ، لذلك لما طلب إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - من الله أن يريه : كيف يحيى الموتى ، « قال : أولم تؤمن ؟ » قال : بلى ، ولكن ليطمئن قلبي (١) ، فلم يكن هناك شك منه ، ولكنه طلب ذلك لأن للمشاهدة وقعاً فى النفس ، وأثر لا ينكره ، وهذا دليل على أن فائدة التمثيل بالأمور المشاهدة لا تنحصر فى هذين الأمرين : دفع الشك ، وبيان المقدار ، إذ لو انحصرت فيهما ، لما كان لكثير من التمثيل بها معنى ، فمما أكثر التمثيل الذى لا يفيد دفع شك ولا بيان مقدار !! أنظر إلى قول أبى تمام :

وطولُ مقامِ المرءِ فى الحَيِّ مخلوقٍ لِدَيَّاجَتَيْهِ ، فاغترَبَ تَجَدُّدَ
فإني رأيت الشمسَ زِيدَتْ حَبَّةً إلى النَّاسِ ، أنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدٍ
يقول : إن الرجل الفاضل إذا استمرت إقامته بين أهله وعشيرته مثله
وربما كرهوه وحقروه ، فأما إذا أقام حيناً واغترَبَ حيناً ، فإنهم يزدادون

(١) من شعر بن حزم الظاهري المتوفى سنة ٤٥٦ هـ فى معنى الآية : -

لئن أصبحت مرنحلاً بجسمى فروحى عندكم أبداً مقيم
ولكن للبيان لطيف معنى له سأل الملائكة الكليم

به تعلقاً ، وله محبة وإعظاماً ، إذ يعرفون حاجتهم إليه ومكانته بينهم ، مدة بعده عنهم ، ويشبّه حاله حينئذ بحال الشمس تطلع نهاراً ، وتغيب ليلاً ، فيعرف الناس فضلها وفائدتها ، ويزدادون لها محبة وقدرأً ، ووجه الشبهة : أن كلاً عُرِفَ فضله ومكانه ، لظهوره وقتاً ، وغيبته آخر ، وفي هذا المعنى يقول بعض الشعراء (١) :

تَغَيَّبَتْ كَيْلًا تَحْتَوِينِي دِيَارَ كَمْ

ولو لم تَغَيَّبْ شَمْسُ السَّمَاءِ لَمَلَّتْ (٢)

ديباجتا الوجه : صفحته ، كأنما سميتا بذلك لأنهما مظهر حسن المرء ، فاستعير لهما اسم الديباج ، و « مُخْلَق » ترشيح ، وإن كانت الديباجة اسماً لصفحة الوجه حقيقة ، ففي « مُخْلَق » و « تَجَدَّد » استعارتان بالسكنانية . شبهت صفحتا الوجه في الأولى ، والمخاطب في الثانية بالشوب يبل ويتجدد والوجه : لازم البلى والتجدد ، وهو الإهمال والإعزاز ، ودلّ على هذا التشبيه بإثبات الإخلاق والتجدد .

فالغنى الممثل ليس موضعاً للشك ، ولا هو في حاجة إلى بيان مقدار ، ولا مرأ في حسن التمثيل وروعته ، وما ذلك إلا لأن المشاهدة والرؤية لها أثر في النفس متجدد ، وإن كان المعنى مما لا شك فيه ، والمراد رؤية المعنى ممثلاً في المرئى . ألا ترى أنك إذا قلت لصاحبك بعد أن بينت له أنه خائب في مسعاه : أنت كالمقابض على الماء ، أفاد التمثيل بالمحسوس — بعد قطع النظر عن بيان مقدار خيبته — شيئاً آخر ، هو ما توجه به رؤية الشيء على

(١) نسبه في كتاب « الموازنة بين أبي تمام والبحتري » ص ٣٢ لبعض شعراء بني أسد

(٢) تحتويني : تسكرهني ، وفي روايه : تحتويني ، وفي هذا المعنى أيضاً يقول الشافعي :

والشمس لو وقت في الفلك دائماً لم لها الناس من عجز من عرب

ما وصف عليه ، بعد وصفه ، من الحالة المتجددة في النفس ، وزيادة تمكن
المعنى من القلب .

ومصداق ذلك : أنك لو كنت على شاطئ نهر وأنت تقول لصاحبك :
أنت كالقبايض على الماء (١) ، فأدخلت يدك في النهر ، وقلت له : أنظر ، هل
حصل في كفي شيء ؟ كان لاقتران الفعل بالقول ضرب من التأثير زائد على
القول وحده ، وذلك لما تفعله المشاهدة من التحريك للنفس ، وتمكين
المعنى في القلب .

وجملة القول : أن تمثيل المعقول بالمحسوس يفيد غرضاً عاماً ، هو
إحداث أثر في النفس يوجب لها أنسناً بالمعنى ، ويمكن له فيها ، وقد ينضم
إلى ذلك غرض آخر : هو إزالة الشك ، وتصحيح الدعوى ، وقد يقصد
معه بيان المقدار ، وقد تقدمت الأمثلة مشروحة .

ومن الأدلة على أن التمثيل بالمشاهد المحسوس يزيد النفس أنسناً بالمعنى
— وإن لم يكن بحاجة إلى إزالة شك ، ولا بيان مقدار — : أنك ترى له
فضلاً ومزية على غيره ، وإن كان غيره أكثر منه مبالغة في المعنى .

وازن بين قولك : يوم كأطول ما يكون أو لا آخر له قول

حندج المرسي (٢) :

(١) من هذا المعنى — غير ما تقدم ص ٥٠ وهامشها —

إذا أنا عاتبت الملوك فأتما أخط بأقلامي

(٢) هو حندج بن حندج المري من شعراء الحماسة

ثمانية أبيات في الحماسة ص ٣٢٥ — ٣٢٧ ج ٤ ، والامام

في ليل « صول » ، (١) تناهى العرض والطول

كأنما ليـله بالحشر موصول (٢)

وبين قول شبرمة بن الطائييل (٣) :

ويوم كظلِّ الرمح (٤) قصّر طوله

دم الزقِّ عنّا واصطفاق المـزاهر (٥)

فإنك ستجد لقوله « كظلِّ الرمح » من الروعة والتأثير . ما لا تجده لما

سبقه — وإن كان أشد منه مبالغة في وصف الطول — لأن « ظل الرمح »

على كل حال متناه ، وما ذاك إلا من تمثيل المفعول بالمحسوس (٦) .

(١) صول : مدينة في بلاد الخزر في نواحي باب الأبواب المعروف بالدر بند

« معجم البلدان لياقوت » وليس منها أبو بكر الصولي وابن عمه إبراهيم ، بل نسبتهما إلى رجل اسمه « صول » ، راجع القاموس .

(٢) الرواية الصحيحة « كأنما ليـله بالليل الخ » كما في الحماسة والامالي .

(٣) من شعراء الحماسة ، وقد ضبط في شرحنا ٢٣٦ ج ٣ بصيغة المصغر ،

وفي تعليق الشيخ رشيد « ص ١٠٧ أسرار البلاغة » كمنبر ، وما في القاموس يرجحه ، وقد نسب في الشعر والشعراء طبعة « المعارف » ص ٢٤٢ ج ١ لبعض الضبيين ، وفي الطبعة الاولى ص ٥٤ ليزيد بن الطثرية .

(٤) رواية الحماسة « ويوم شديد الحر » .

(٥) ظل الرمح : مثل في الطول عند العرب ، ودم الزق : الخمر ، والمزهر

— كمنبر — : العود واصطفاقوا : تحرك أوتارها ، قال التبريزي في شرح الحماسة :

« ويروي » : « واصطكك » وهي رواية ديوان المعاني ص ٣١١ ، ٣٥٢ ج ١ .

(٦) في الامالي ص ٩٩ — ص ١٠١ ج ١ ، وديوان المعاني ص ٣٤٥ — ص ٣٥١ ج ١

ج ١ ، زهر الاداب ص ١٢ ، ١٣ ج ٢ مثل كثيرة في طول الليالي والايام فراجعوا إن شئت ، ومن مبالغات أبي تمام قوله :

يوم كطول الدهر في عرض مثله

موازنة أخرى : تدل على نفس الغرض السابق :

تقول : يوم كأقصر ما يكون ، وكأنه ساعة ، وكلمح البصر ، ويوم
كلاً ولا (١) تزيد وصف اليوم بسرعة الانقضاء ، وأنت لم تشعر بسير
وقته ، قال جرير (٢) : —

يكون نزولُ القوم فيها **كلاً** ولا

غشاشاً (٣) ولا يُدنون رجلاً إلى رجل (٤)

وقال أبو نواس (٥) : —

(١) من هذا التشبيه أيضاً قول علي رضي الله عنه : « فاقبلوا شيئاً كلاً ولا »
وقول ابن العميد : « وأنا ممنو بأيام تحاكي ظل الريح طولاً ، وليال كأهبهم القطاة
قصراً ، ونوم كلاً ولا قلة » وقول أبي برهان المغربي : —
وأُسرع في العين من لحظة وأقصر في السمع من لا ولا
وقول البديع الهمداني :
وأروع أهدام لي الليل والفلا وحس تمس الأرض لكن كادولا
وقول الراعي النخري : —

فلبها الراعي قليلاً كلاً ولا بلوذان أو ما حلت بالكرار (١)
ومن التشبيه بلا أو بذا قول السكيت الاسدي : —
كلاً ، وكذا ، تغميضهم ثم هجتم لدى حين أن كانوا إلى النوم أقفرا
راجع شرح الصريشي لمقامات الحريري ص ٢٣٤ ج ٢ ، ، اللسان ص ٤٥ ج ٦ ، ومعاهد
التنصيص ص ١٧٦ ج ١ .
(٢) هو جرير بن عطية الخطفي البزيعي التميمي ، وهو أشهر من أن يذكر ،
توفي سنة ١١٠ هـ .
(٣) يقال : لقيته غشاشاً - بكسر المعجمة وفتحها - أي على عجلة ، أو عند
غروب الشمس ، أو ليلاً ، وبالكسر فقط أول الظلمة وآخرها ، وشرب - كثير - غشاش :
قليل أو عجل ، وفي الشريشي : بالملعة ، ولعاًما تحريف .
(٤) في بعض الروايات « رجلاً إلى رجل » بالحاء ، والمعنى صحيح (٣)
(٥) هو الشاعر العباسي الماجن الخليل ، الحسن بن هانيء صاحب المذاهب الخمرية
المعروفة توفي سنة ١٩٨ هـ .

يا عاقد القلب مَنّي هَلَّا تذكرت حَلًّا؟

تركت مَنّي قليلا من القليل أقلًا

يكادُ لا يتجزأ أقل في اللفظ من «لا»

وهذا التشبيه - على ما يقول الشيخ - «تمثيل»، وفيه مبالغة في وصف اليوم بالقصر، ولكنه لا يؤنسك إيناس قولهم: يوم كإبهاام القطاة، أو كسالفه الذباب - أي صفحة عنقه - لأن المشبه به فيه مرئي بالعين، فهو أقوى أثرًا من المدرك بالسمع، وفيه أيضا غرابة وطرافة، وإتيان بمشبهه به لا يخطر على البال.

وقد جاء التمثيل بإبهاام القطاة، وسالفه الذباب فيما حكاه «الزجاج» (١) في أماليه عن ثعلب (٢) قال: كنا عند ابن الأعرابي، فأشد قول جرير:

ويوم كإبهاام القطاة محبب (٣) إلى صباه (٤)، غالب لي باطله
رزقنا به الصيد الغرير (٥) ولم نكن نبله محرومة وحبائله

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن السري، من مشهري نخاة البصرة، وكان من قبل يخرط الزجاج توفي سنة ٣١٠ على الراجح، وإليه ينسب أبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي المتوفى سنة ٣٣٧، للازمته له، وترجمته في معجم الادباء ص ١٣٠ - ص ١٥١ ج ١، بنية الوعاة ص ١٧٩، ووفيات الاعيان ص ١٠٢ - ١٠٦ ج ١ «دار المأمون».

(٢) أبو العباس أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني ولاء، أشهر مشاهير الادباء من النخاة، والثقة الأول في الشعر القديم توفي سنة ٢٩١ هـ، وترجمته في معجم الادباء ص ١٠٢ - ص ١٤٦ ج ٥، ونزهة الالباء ص ٢٩٣، وطبقات المفسرين ص ٤١ وبنية الوعاة ص ١٧٢ وغيرها.

(٣) هكذا في ديوان المعاني ص ٣٥٢ ج ١، الموشح ص ١٢٥، زهر الاداب ص ١٣ ج ٢ ورواية العمدة ص ٢٣٥ ج ٢: «وليل كإبهاام الجباري».

(٤) هكذا في زهر الاداب، وفي بقية المراجع «إلى هواه»:

(٥) هذه رواية الموشح، وفي زهر الاداب وديوان المعاني «العزيز» وفي العمدة

والشرطي «الغزير».

فيا لك يوماً خيره دُون (١) شره تغيبَ واشيه ، وأقصرَ عازله !
فَعَجَبْنَا مِنْ تَشْبِيهِهِ قَصْرَ الْيَوْمِ بِإِبْهَامِ الْقِطَاةِ (٢) ، فَقَالَ : أَحْسَنَ مِنْهُ
قَوْلُ الْآخِرِ (٣) :

وَيَوْمٍ عِنْدَ بَابِ أَبِي نَعِيمٍ قَصِيرٍ مِثْلَ سَالِفَةِ الذَّبَابِ
قَالَ الزَّجَاجُ : « وَهَذَا نِهَآيَةُ الْإِفْرَاطِ ، وَالْخُرُوجُ عَنْ حُدُودِ التَّشْبِيهِ
الْمُصِيبِ ». فَانْظُرْ حَكْمَ الزَّجَاجِ ، وَحَكْمَ الشَّيْخِ ؛ فَالشَّيْخُ نَظَرَ إِلَى طَرَاةِ التَّشْبِيهِ
فَاسْتَحْسَنَهُ ، وَالزَّجَاجُ نَظَرَ إِلَى غُلُوهِ فَلَمْ يَسْتَصُوْبِهِ .

وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ قَوْلُ ابْنِ الْمَعْتِزِ فِي مَطْلَعِ قَصِيدَةٍ :

بَدَلْتُ مِنْ يَوْمٍ كَظَلٍّ حِصَاةٍ لَيْلًا كَظَلِّ الرُّمَحِ غَيْرِ مَوَاتٍ
مَوَازِنَةٌ ثَالِثَةٌ : نَقُولُ : فَلَانِ إِذَا هُمْ بِالشَّيْءِ لَمْ يَزَلْ عَنْ ذِكْرِهِ ، وَلَمْ يَشْغَلْهُ
عَنْهُ شَيْءٌ ، وَقَصَرَ هَمُّهُ عَلَى إِمْضَاءِ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ ، وَتَحْتَاطُ لِهَذَا الْمَعْنَى بِأَبْلَغِ
مَا يُمْكِنُ ، وَلَكِنَّكَ لَا تَجِدُ لَهُ فِي نَفْسِكَ هَزَةَ وَلَا أُرْيَحِيَّةَ ، فَإِذَا قُلْتَ كَمَا قَالَ
سَعْدُ بْنُ نَاشِبٍ :

(١) الصَّحِيحُ أَنَّ هَذِهِ السَّكَاةَ مِنْ وَضْعِ خَلْفِ الْآخِرِ ، وَالْأَصْلُ فِي جَمِيعِ الْمَرَاجِعِ
« قَبْلَ شَرِّهِ » وَقَدْ زَعَمَ خَلْفُ أَنَّ الْمَعْنَى فَاسِدٌ مَعَهَا ، وَلَكِنْ فَوْقَهُ سَقِيمٌ ، إِقْرَأِ الرَّدَّ عَلَيْهِ فِي الْعَمْدَةِ
« بَابُ أَغَالِيْطِ الرِّوَاةِ ج ٢ » وَفِي رِسَالَتِي ص ٧٣ ، ص ٧٤ « الْبَابُ الثَّانِي » .
(٢) مِنْ هَذَا الضَّرْبِ قَوْلُ أَبِي هَلَالٍ الْعَسْكَرِيِّ « ص ٣٥١ ج ١ دِيْوَانُ الْمَعَانِي » :
فِي لَيْسَالٍ كَابَاهِيْمِ الْقِطَاةِ لَسْتُ تَدْرِي كَيْفَ تَأْتِي وَتَعْمُرُ ؟ !
(٣) هُوَ عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ إِسْحَاقَ الْمُوَصِّلِيِّ كَمَا فِي دِيْوَانِ الْمَعَانِي ص ٣٥٢ ج ١ ،
وَنَصُّ الْبَيْتِ هُنَاكَ .

ظَلَمْنَا فِي جَوَارِ أَبِي الْجَنَابِ يَوْمٍ مِثْلَ سَالِفَةِ الذَّبَابِ
وَالسَّالِفَةُ : مُقَدِّمُ الْعَنْقِ ، وَرَوَايَةُ أَسْرَارِ الْبَلَاغَةِ ص ١٠٨ : —
ظَلَمْنَا عِنْدَ بَابِ أَبِي نَعِيمٍ يَوْمٍ مِثْلَ سَالِفَةِ الذَّبَابِ

إِذَا هُمْ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عِزْمَةً وَنَسَكَّبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبًا
وَلَمْ يَسْتَشِرْ فِي رَأْيِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السِّيفِ صَاحِبًا
امْتَلَأَتْ نَفْسُكَ سُرُورًا ، وَأَدْرَكَتْكَ هَزَّةٌ طَرَبَ لَا تَمْلِكُ دَفْعَهَا عَنْكَ ؛
وَلَا تَظُنْ أَنَّ سَبَبَ ذَلِكَ . الِاسْتِعَارَةُ الْمَكْنِيَّةُ - حَيْثُ شَبَّهَ « الْعِزْمَ » بِأَمْرِ يَتِمُّ
بِهِ ، وَيُوضَعُ لَذَلِكَ أَمَامَ الْعَيْنَيْنِ بِجَامِعِ الْعِنَايَةِ بِكُلِّ ، ثُمَّ دَلَّ عَلَى التَّشْبِيهِ بِإِثْبَاتِ
لِزَامِ الْمَشَبَّهِ بِهِ - وَهُوَ الْإِلْقَاءُ بَيْنَ الْعَيْنَيْنِ - لِلشَّيْءِ ، وَمَا يَلِزَمُ الِاسْتِعَارَةَ
مَنْ تَأْكِيدَ إِثْبَاتِ الصِّفَةِ ، وَمَنْ الْإِيحَازِ - ؛ فَإِنَّ هَذَا ، وَإِنْ أَوْجَبَ مَرِيَّةً
وَفَضْلًا ، فَلَيْسَ هُوَ الْأَصْلُ ، بَلْ : أَنَّ مَثَلُ الْمَعْقُولِ بِالْحَسُوسِ ، فَأَرَاكَ
الْعِزْمَ وَاقِفًا بَيْنَ الْعَيْنَيْنِ .

السبب الثاني من أسباب تأثير التمثيل :

أَنَّهُ كَثِيرٌ أَمَا يَجْمَعُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ مُتَنَافِرَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ .
وَسِرُّ تَأْثِيرِ ذَلِكَ : أَنَّ تَصْيِيدَ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ مِنْ غَيْرِ جَنْسِهِ ، وَاجْتِلَابَهُ مِنْ
غَيْرِ مَظْنَنَتِهِ ، وَالتَّقَاطُطُ مِنَ الْمَكَانِ الْقَصِيِّ - حَتَّى تَرَى بِهِ الْأَمْرَيْنِ مِثْلَيْنِ مُتَبَايِنَيْنِ ،
وَمُؤْتَلَفَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ - بَابِ آخَرٍ مِنَ الظَّرْفِ وَاللُّطْفِ ، وَمَذْهَبٍ مِنْ مَذَاهِبِ
الِإِبْدَاعِ وَالِافْتِنَانِ ، وَفِيهِ مِنَ الطَّرَافَةِ وَالْغَرَابَةِ مَا لَا يَخْفَى مَوْضِعُهُ مِنَ الْعَقْلِ ،
وَمَا يَدْعُو لَا حَالَةَ الِاسْتِحْسَانِ ، وَيُشِيرُ كَامِنِ الْارْتِيَاحِ ، وَيَتَأَلَّفُ نَافِرِ
الْمُسْرَةِ ..

تحقيق ذلك : فِي التَّشْبِيهِ الصَّرِيحِ غَيْرِ التَّمثِيلِ :

كَانَ السَّبَبُ الْأَوَّلُ مِنْ أَسْبَابِ التَّأْثِيرِ خَاصًا بِالتَّمثِيلِ ، لِأَنَّ الْمَشَبَّهَ عَقْلِيٌّ ،
فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْوَجْهَ فِيهِ حَسِيًّا ، أَمَّا هَذَا السَّبَبُ فَإِنَّهُ يَتَأَقَّى فِي التَّشْبِيهِ
غَيْرِ التَّمثِيلِ . فَإِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرَانِ الْمُخْتَلِفَانِ مُحْسُوسَيْنِ ، وَوَجْهَ الشَّيْءِ

بينهما حسياً ، ولذلك ترى الشيخ يبدأ هنا بالتشبيه الحسى ، فيقول : وأقرب شاهد لك أن تنظر إلى تشبيه المشاهدات بعضها ببعض ، فإنك تراه لا يروق ، ولا يهز السامع ، ولا يقع منه موقعا إلا إذا كان معقودا بين أمرين مختلفين جنسا ، وإنه كلما كان التباعد والتباين أشد ، كان أبعث على الإعجاب ، فتشبيه « الذئب » بالكلب في الحجم والشكل ، وتشبيه « فاكهة » بأخرى في اللون والطعم لا يعتد به ، ولا يحدث في النفس أثرا ، لقرب ما بين الطرفين . أما تشبيه « العين » بالزرجس — وإن كان عاميا مشهورا — وتشبيه « الثريا » بعنقود السكر المنثور ، أو اللجام المفضض ، أو الوشاح المفصل — وهو من التشبيهات الخاصة التي لا يمتدى لمثلها إلا الأفراد — فما استحسنه البلغاء ، وما ذاك إلا لما بين المشبه والمشبه به من تباعد في الجنس لا يخفى ، فإن الأول يريك الصورة الواحدة — شكل « العين » — في خلقه الانسان وخلال الروض ، والثاني يريك الصورة — شكل « الثريا » — في السماء ، وفي الأرض .

وإذا تقصيت ما عدوه من التشبيهات الغربية وجدت ذلك بيّنا ، أنظر الى قول علي بن إسحاق الزاهي (١) — وينسب لغيره (٢) — في وصف بنفسج : ولا زور دية زهو (٣) بزرقتها بين الرياض على حمر اليواقيت كأنها فوق قاماتٍ ضعفن بها أوائل الناس في أطراف كبريت

(١) أبو القاسم ، مدح سيف الدولة والوزير المهدي وأهل البيت ، واشتهر بوصف والذي نسبهما إليه هو ابن خلكان ، وتوفي الزاهي سنة ٣٥٢ هـ ، وله ترجمة في اليتيمة ص ١٩٨ ج ١ .
(٢) نسباً في معاهد التصحيح ص ١٥٣ ج ١ لابن الرومي ، وفي المطول ص ٣٣٤ .
أنهما لأبي العتاهية .

(٣) المشهور في هذا الفعل بناؤه المفعول والوصف منه مزهو ، وهناك لغة حكاه ابن دريد مهي : زها يزهو زهوا — كضرب — ، وزهوا — كعمود — ، وعليها البيت .

ووازن بينه وبين قول ابن المعتز :
 كأن عيون النرجس الغض حولنا مدهن در حشوهن عقيق
 اللازوردية ، بكسر الزاي : صفة لمحذوف ، أي : ربّ أزهار بنفسج
 لازوردية نسبة إلى اللازورد ، وهو حجر أزرق . تزهو : تتيه ، وحر
 اليواقيت : إيمان أن يرادها حقيقة الياقوت الأحمر ، وإيمان أن يرادها الأزهار
 الحمر ، على طريق الاستعارة الأصلية . والقامات : سوق النبات ، وعيدانه ،
 شبه نور البنفسج الأزرق على تلك القامات الضعيفة ، بأوائل اشتعال النار
 في أطراف الكبريت ؛ ووجه الشبه : صورة اللون المخصوص في الشكل
 المخصوص متصلاً بالساق الدقيقة المخالفة للونه .
 ومنشأ طرافة هذا التشبيه : ما بين الطرفين من تباعد شديد ، فالبنفسج
 نبات غض يرفّ ، والمشبه به لهب نار في جسم يابس صلب .

وأما ابن المعتز : فإنه شبه أزهار النرجس الغض بمدهن در حشوها
 عقيق ، وهو تشبيه غريب أيضاً من ناحية أن المشبه به خيالي لا وجود له ،
 ولا مزيد في بعد الشيء على أن يكون معدوماً لا يتصور إلا في الخيال ،
 ولو أنه شبه بعض النباتات لم تكن له هذه الغرابة ، ولم ينل من الحسن
 هذا الحظ .

كلا التشبيهين بديع غريب ، مثير للعجب ، إذ يستوي في إثارة عجبك
 وجودك الشيء في مكان ليس من أمكنته ، كما وجدت صورة البنفسج في
 اللهب ، ووجودك شيئاً لم يوجد ولم يعرف من أصله ، كما وجدت صورة
 « النرجس في مدهن در حشوها عقيق » .

ليكنك إذا تأملت وجدت تشبيه « البنفسج » أروع وأعجب ، لشدة

بعدما بين الطرفين ، وحاجة الشاعر في الجمع بينها إلى كثير من التأمل ، ودقة الملاحظة ؛ وسيرد لذلك نظائر ، كقصيدة عدي بن الرقاع مع جرير ، وغيرها .

تحقيق هذا السبب في « التمثيل » : للتمثيل القيدح المعلى ، والباع الذى لا يطاول في الجمع بين المختلفات ، فهو صناعته التى هو الإمام فيها ، والهادى إليها ، وإذا أردت ذكر طرائفه ، وعد محاسنه ، والبدع التى يخرعها فى ذلك ، ازدحمت عليك حتى لا تدري أيها تذكر ؟ وعن أيها تعبر ؟ وهل هناك شك فى أنه يعمل عمل السحر فى تأليف المتباينات ، والجمع بين المشتم والمعرق ، والمشرق والمغرب ؟ .

وهاك أنواعا من طرائف التمثيل فى هذا الجمع :

١ -- أنه يريك للبعانى المشتملة بالأوهام شبيها فى الأشخاص الماثلة ، والأشباح القائمة ، ومعنى هذا : أن يكون المشبه أمراً معقولاً ، والمشبه به محسوساً ، ولذلك أمثلة كثيرة ، نحو : العزيمة الصادقة كالسيف القاطع ، أخلاق كزهر الرياض ، « فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى » ، شبه اعتناق الإيمان بالاستمسك بالحبل الوثيق المتين ، فى أمن الهلاك ، وتيقن النجاة ، وقول البوصيرى (١) :

والنفس كالطيفل إن تمهله شَبَّ على

حب الرضاع ، وإن تفظمه ينقطع

وقولهم : العدل أساس الملك ، والنحو ميزان الكلام .

(١) هو أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله بن حيان بن صنهاج ابن ملاك ، ويقال فيه : البوصيرى ، والأبوصيرى والدلاصى ، ولد سنة ٦٠٨ هـ ، وتوفى سنة ٦٩٥ هـ ، وترجمته فى أول ديوانه المخطوط بدار السكتب وفى فوات الوفيات .

٢ — أنه ينطق الآخرس، ويريك البيان من الأعجم، ومعنى ذلك: أن يثبت الحديث والنطق لغير الناطق، تشبيها له بالناطق، ومن ذلك قوله (١):
أشارت بطرف العين خيفة أهلها

إشارة محزون ولم تتكلم

فأيقنت أن الطرف قد قال: مرحباً
وأهلاً وسهلاً بالحبيب المتيم (٢)

وقولهم: كلمتي عيناه، وأخبرتني أسارير وجهه، شبهت العين وأسارير الوجه بالمتكلم في الدلالة على المقصود، ودل على هذا التشبيه بإثبات لازم المشبه به - وهو القول، والسكلام، والإخبار - للمشبه على طريق الاستعارة بالكناية، والإثبات: استعارة تخيلية، وقول نصيب (٣):

فعاوجوا فأنثوا بالذي أنت أهله ولوسكتوا أنثت عليك الحقائق (٤)

(١) أي عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة. حذيفة بن المنيرة بن عبد الله بن عمر الجزوى المسكني بأبي الخطاب، وقد اشتهر بالفزل وجاد شعره حتى انتزع لقرش الاعتراف بالشاعرية والتبريز في الشعر، ولد سنة ٢٣ هـ ليلة قتل عمر بن الخطاب وتوفي سنة ٩٣ هـ.

(٢) على الرغم من شهرة هذين البيتين وكونهما من شواهد كتاب الشذور لابن هشام المتوفى سنة ٧٦١ هـ خفي أمر قائلهما، وعز على العلماء التعرف إليه، حتى لقد قال الشيخ محيي الدين في تعليقه على الكتاب السابق «ص ٢١ طبعة أولى، ص ٢٤ طبعة ثانية»: «هذان بيتان يدوران على كل لسان وقدا رأيت من لا يحفظهما» وزاد في الثانية، «ولم أقف على نسبتها لقائل معين»، وهما نذا أدل أهل العلم على قائلهما وموطنهما وهو ص ٤٧٣ من ديوان عمر بشرح محمد أفندي الغناني، وما توفيقى إلا بالله.

(٣) هو نصيب بن رباح من لحول الشعراء الاسلاميين القدمين عند الملوك والأمراء الأمويين، كان عبداً لرجل من كنانة من أهل «ودان» ثم انتهى أمره إلى عبد العزيز بن مروان فاشتراه وأعتقه إعجاباً بشعره، ولما احتضر أوصى به سليمان بن عبد الملك فقر به وأدناه، توفي سنة ١٠٨ هـ.

(٤) رواية معجم الأديباء «ص ٢٣١ ج ١٩» «وأنثوا»، «وعاج عوجا - كضرب - ومعاجا: أقام، لازم ومتعد، ومن معانيه: وقف ورجع وعطف رأس البعير، وكلوا صالحة هنا.

شبه الحقائق الممتلئة بمواهب الممدوح بالرجل المثني ، بجامع الدلالة على كرم الممدوح ، وإثبات الثناء للحقائق : دليل التشبيه ، فهنا استعارتان : مكنية ، وتخييلية ، ومنه البيت المشهور :

وإنْ نطقْتُ بِشُكْرٍ بِرُكٍّ مَفْصَحاً

فلسان حالي بالشكائية أنطق (١)

٣ - أنه يريك الحياة في الجهاد ، ومعنى ذلك : أن تثبت للجماد حياة تشبها له بالحي ، قال تعالى : « فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا » شبهت الأرض المجردة بالميت في عدم النفع ، والأرض الخصبة بالحي في النفع ، وإثبات الحياة والموت للدلالة على هذا التشبيه الذي هو استعارة بالكناية ، والإثبات : استعارة تخيلية ، قال الشاعر (٢) :

وتحي له المال الصَّوَارِمُ والقنا ويقتل ما يحي التَّبَسُّمُ والجد (٣)

شبه المال يجمع بعد تفرقه ، وينمى بعد قلته بميت أحي ، وشبهه يفرق بعد جمع بالحي يقتل ، وأثبت له الإحياء والقتل للدلالة على ذلك ، على طريق الاستعارة بالكناية ، والإثبات المذكور : تخيلية .

ولا يخفى أنه يمكن جعل الاستعارة تصريرية تبعية فيما تقدم ، بأن تشبه

(١) قال صاحب معاهد التنصيص - ص ١٩٥ ج ١ - : لم أعرف قائله ، وقبله كما في حاشية السوقي « ص ١٥٥ ج ٤ شروح » نقلا عن الأطول قوله :

لا تحسبن بشاشتي لك عن رضا فوحي جودك إنني أتملق

(٢) هو المتنبي ، راجع التبيان ص ٢٨٢ ج ١ ، والرواية هناك : « ما يحيى »

(٣) الصوارم : السيوف ، والجد : كالجدوى ، العطاء ، يقال : جدا عليه يجدو ، وأجدى أيضا وجداء جدوا واجتداه : سأله حاجة ، والبيت مأخوذ من قول أبي تمام :

إذا ما أغاروا فاحتوا مال معشر أغارت عليه واحتوته الصنائع

دلالة الأمور المذكورة بالقول والكلام والثناء، وإخصاب الأرض،
وجمع المال بالإحياء، وتفريقه بالقتل، ثم يستعار المصادر المشبهة به للمشبهة،
ويشتق منه الفعل.

٤ - أنه يريك التمام الأضداد؛ وذلك يحصل بأمرين:

أحدهما: أن يشبه الشيء بأمرين متضادين - لوجود شبه بينه وبين كل
منهما - تشبيهاً بليغاً؛ وذلك ما أشار إليه بقوله (١): «فيا تيك بالحياة والموت
مجتمعين كما يقال: هو حياة لأوليائه، موت لأعدائه؛ فيشبه بالحياة لكونه
سبب المنافع التي لهم لاغنى عنها، وبالموت في إذهاب المنافع، وإحمال الذكرك؛
ويا تيك بالماء والنار مجموعين، كقول أبي الحسن بن مقلبة (٢):

لست ذا ذلة إذا عضنى الدهر رُ ولا شاخاً إذا واتاني

أنا نارٌ في مررتي نظر (٣) الحاسد سد مأجور مع الإخوان

شبهه بالنار في الإيلام، وبالماء في اللطف.

ويجعل الشيء حلواً مرّاً، وصاباً عسلاً، كما قال الشاعر:

أمرٌ على الحاني ويغلظ جانبي وذو الودّ أحلول له وألين (٤)

وكما تقول: هو عسل إذا يأسرته، وصاب إذا عاسرته.

الأمر الثاني: أن يكون الشيء متصفاً بصفة على الحقيقة فتثبت له

(١) ص ١١١ أسرار البلاغة.

(٢) هكذا كنى في «اليتيمة» ص ١٠٠ ج ٣ وبقية الكتب تكنيه أباعلى، وهو
إمام الخطاطين الوزير محمد بن علي بن الحسن بن مقلبة، إحدى عجائب الزمان في الخط،
وزر المقتدر العباسي ثم للرازي بعده، وكان سييء الخط في حياته السياسية فعزل مرات
ثم قطعت يمينه ثم لسانه فمات في سنة ٣٢٨ هـ.

(٣) رواية اليتيمة «نفس الحاسد» وهي أدق.

(٤) تقدم مع شرحه ص ٤١.

ضدها بالتمثيل ، وهو ما أشار إليه بقوله : « ويجعل الشيء حسناً قبيحاً
كقول المتنبي (١) :

حسنٌ في عيون أعدائه أقبح من ضيفه رأته السَّوام (٢)
حسن : خبر مبتدأ محذوف . وأقبح : خبر ثان . وفي عيون أعدائه :
متعلق بأقبح . ومن ضيفه : كذلك . وجملة رأته السَّوام : حال من ضيفه ؛
والمعنى : أن الممدوح حسن في نفس الأمر ، ولكن أعداءه لا يطيقون
رؤيته لكرهتهم له ، بل هم أشد له كراهة من كراهة إبله لضيفه إذا رأته ؛
والتَّمثيل في البيت في قوله : « أقبح » ، فإن الممدوح ليس قبيحاً ، ولكنه شبه
بالشيء القبيح في كراهيته ، وعدم إطاقته رؤيته ، ودلَّ على هذا التشبيه بإثبات
لازم المشبه به - وهو القبح - على سبيل الممكنية ، والإثبات : تخيلية .

وقد أبدع المتنبي في الاحتيال لمواجهة الممدوح بوصفه بالوصف
المكروه - وهو القبح - فقد بدأ بجعله حسناً على الإطلاق ، لكي يعرى
نفسه من توهم أنه قصد الذم ، ثم عقب صفة القبح بصفة من المدح ، هي
كراهة سوامه لضيفه الدالة على جوده وكرمه ، فوَقَّعت اللفظة المكروهة
بين أمرين محبوبين ، فزال أثر كراهتها ، هذا قول عبد القاهر ، ولكنك ترى
بعد هذا كله أن النفس لا تزال مشمُزة من هذا الوصف ، وما حمله عليه
إلا رغبته في المطابقة بين الحسن والقبح .

ويجعل الشيء أبيض أسود ، كقول أبي تمام في الشيب :
له منظرٌ في العين أبيضٌ ناصعٌ ولكنه في القلب أسودٌ أسفعٌ

(١) راجع التبيان ص ٩٦ ج ٤ .

(٢) السَّوام ، كسحاب ، المان الراعي ، كالسائم والسائمة وفي القاموس : السَّوام ،
بتشديد السين ، ولا شك أنه خطأ من المصحح .

الأسفع - هنا: الأسود ، أى أسود شديد السواد ، قال فى القاموس :
الأسفع من الشياب : الأسود ، وهذا المعنى متعين هنا ، والشيب موصوف
بالبياض حقيقة ، ووصفه بالسواد تمثيل على سبيل الاستعارة بالكناية ،
شبهه بالشئ الأسود فى السكراهية ، وإثبات السواد دليل ذلك ، وهو
استعارة تخيلية .

ويجعل الشئ كالمقلوب إلى حقيقة ضده ، كقول أبى تمام فى الشيب أيضاً :

شعلةٌ فى المفارقِ استودعتنى فى صميمِ الفؤادِ شكلاً صميماً
غرةٌ ، بهمةٍ ألا إنَّما كنتُ مت أغراً أيامَ كنتُ بهيماً
دقة فى الحياةِ تدعى جلالاً مثلها سمى اللديغ سليماً

شبهه الشيب بالشعلة فى البياض والانتشار ، واستعار له اسمها استعارة
تصريحية أصلية ، ويريد فى البيت الثانى أن يقول : إن الناس يسمون الشيب :
غرة ، تزييناً له ، وتسلياً لمن نزل به ، والغرة فى الأصل بياض فى جهة
الفرس يخالف لونه ، وهى ممدوحة ، حتى صارت عنواناً للشهرة والنباهة ،
لكن الشيب عند الشاعر : غرة بهمة ، والبهمة : ضد الغرة ، لأنها عدم
البياض ، ومنها : البهيم : للأسود الذى لا شية فيه ، فكأنه قال : هو غرة
غير غرة ، فوصفها بنقيضها على التشبيه ، ووجه التشبه بينها وبين عدوها :
عدم إفادة الشهرة والنباهة ، ولذلك قال : « إنما كنت أغر » أى مشهوراً
نابهاً ، « أيام كنت بهيماً ، أى لا بياض برأسى ، وقد شبه نفسه هنا
بالأغر وبالبهيم .

وقد وضح الفرق بين التمثيل هنا ، والتمثيل فى البيت السابق ، فإنه جعل
الشيب هناك أبيض أسود فى حالين ، وهنا جعله بياضاً ليس ببياض .

ويجعل الشيء قريباً بعيداً ، كقول البحرى : « لا تفرحوا بغيره »
 دَانَ عَلَى أَيْدِي الْعَفَاةِ وَشَاسِعَ عَنْ كُلِّ نَذٍّ فِي الْعَلَا وَضَرِيبِ (١)
 أَمَا « ذَنُوه » حَقِيقَةٌ ، وَأَمَا « بَعْدَهُ » فَعَلَى التَّمْثِيلِ كَمَا مَرَّ .

وحاضراً غائباً ، كقوله :

أَيَا غَائِبًا حَاضِرًا فِي الْفُؤَادِ سَلَامٌ عَلَى الْغَائِبِ الْحَاضِرِ
 أَمَا « غَيْبَتُهُ » حَقِيقَةٌ ، لِأَنَّهُ مُسَافِرٌ ، وَأَمَا « حُضُورُهُ » فَعَلَى التَّمْثِيلِ
 بِالْحَاضِرِ ، فِي أَنَّهُ مَائِلٌ فِي الذِّهْنِ غَيْرَ مُنْسَى .

ومشرّقاً مغرباً ، كقوله :

لَهُ إِلَيْكُمْ نَفْسٌ مُشْرِقَةٌ إِنْ غَابَ عَنْكُمْ مَغْرِبًا بِدَنِهِ

« فَتَغْرِيهِ » حَقِيقَةٌ ، لِأَنَّهُ سَازَرُ إِلَى جِهَةِ الْغَرْبِ ، وَ« تَشْرِيقُهُ » عَلَى
 التَّمْثِيلِ بِالْمُشْرِقِ إِلَيْهِمْ ، لِأَنَّهُ نَفْسُهُ تَوَاقَهُ إِلَيْهِمْ ، وَهُوَ هُوَ مَعَهُمْ ، وَقَلْبُهُ
 مُتَبِّحٌ إِلَيْهِمْ .

وسائرًا مقيمًا ، كما قال القاضي أبو الحسن الجرجاني في وصف قصيدة :

وَجَوَابَةُ الْآفَقِ مَوْقُوفَةٌ تَسِيرُ وَلَمْ تَبْرَحِ الْحُضْرَةَ

أَمَا أَنَّهَا « مَوْقُوفَةٌ » مَحْبُوسَةٌ « فَلَا أُنْ رَقْعَةً الَّتِي كَتَبْتَ فِيهَا لَمْ تَنْتَقِلْ مِنْ
 مَكَانِهَا ، وَأَمَا أَنَّهَا « جَوَابَةُ سَائِرَةٍ » فَعَلَى التَّمْثِيلِ بِالسَّائِرِ ، لِأَنَّ الرِّوَاةَ حَفْظُوهَا
 وَنَقَلُوهَا وَتَدَاوَلُوهَا ، فَتَمَاقَلَتْهَا الْأَلْسُنُ ، وَانْتَشَرَتْ فِي الْآفَاقِ ، (١)

وَلَا يَخْفَى مَا فِي « مُشْرِقَةٍ وَجَوَابَةٍ » مِنَ الِاسْتِعَارَةِ بِالْكُنْيَاةِ .

وفي أمثلة هذا الأمر الثاني : إبهام التضاد ، وهو « الجمع بين معنيين غير

(١) تقدم مع شرحه ص ٦٨ ، ٧٢ .

متضادين بلفظين يتضاد معنيهما الحقيقيان « وهو ملحق بالطباق » ؛ ولنطبق ذلك على أول الأمثلة ، فقد جعل المتنبي مدوحة حسنا مكروها من أعدائه ، ولا تضاد بين الحسن والكرهية ، لكن عبر عنها بلفظ هو القبح - ، يضاد معناه الحقيقي معنى الحسن ، وقس على هذا .

وهاك مثالا لما يصنعه « التمثيل » من الجمع بين المتنافرات ، قولهم للرجل يصيب الحجة ، ويحسن العبارة عن معناه : أصاب الحز ، وطبق المفصل ، ووضع الهناء مواضع النُقْب (١) ، وهذه استعارات تمثيلية ، شبه هذا الرجل بالقصّاب الذي يضرب السكين فيصيب بها « الحز » ، أى المفصل الذي يسهل فيه الحز فيفصل الأعضاء بغير عناء ، وشبه مرة ثانية بالرجل يعالج الأبل الجربى فيضع القطران في مواضع قرح الجرب ، فيصيب مكن الداء ، ويكون ذلك أسرع للشفاء ، ووجه الشبه في التشبيهين : أن كلا وضع الأمر في موضعه ، وأصاب الغرض الذي يرمى إليه في يسر ودون عناء . ثم استعيرت ألفاظ المشبه به للمشبه .

طَبَّقَ : أصاب . الهناء ، بكسر أوله : القطران . النقب ، - كسر د - جمع نَقْبَةٍ ، وهى : قرحة الجرب .

وهذا من تمثيل الأمر المعقول بالمحسوس ، فانظر هل ترى مزيدا

(١) من ذلك قول دريد بن الصمة ، يصف الخنساء بعد أن عالت إبلها بالهناء :

حيوا تماخر واربعوا صبي وقفوا فان وقوفكم حسي
ما إن رأيت ، ولا سمعت به كالיום ، طال أيتق جرب
متبذلا تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النقب

راجع القصيدة في البيان والتبيين ص ١٠١ ج ١ وهامشها ، وقد كان دريد من الشجعان المشهورين والشعراء المجيدين وتوفى يوم حنين كافرا ، أما الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمي الشاعرة المشهورة فقد أسلمت وجاهدت حق الجهاد وتوفيت سنة ٤٤ هـ

في الشاغل والتناكر على ما بين طلاء القطران ، وحسن القول والبيان .

٥ - أنه يريك العدم وجوداً ، والوجود عدماً ، والميت حياً ، والحى ميتاً وذلك : جعلهم الرجل إذا بقي له ذكر جميل ، وثناء حسن كأنه لم يميت ، وجعل ذكره حياة له ، قال المتنبي : *شعاعاً يوشعاً تنبش دقيقة في العتمة*

ذكر الفتى عمره الشَّانِ وحاجته ما فاته وفضول العيش أشغال

وحكمهم على الخامل الساقط القدر ، الدنيء بالموت ، ونحن نورد أمثلة ، تقول : فلان حى وإن غيبه القبر ، موجود وإن كان معدوماً ، غنى وإن لم يقن ذهباً ولا فضة ، عالم وإن لم يضع عمره في تحصيل العلوم .

تشبَّهه . « الحى ، والموجود ، في بقاء ذكره ، وخلود اثره ، ودوام نفعه ، و « الغنى ، في عفته ، وتجمله ، ومروءته ، و « العالم » في اتصافه بما هو جدير بالعلماء .

وتقول : فلان ميت وإن كان يمشى على رجلين ، ومعدوم وإن كنت تراه بالعين ، وجاهل وإن حفظ علوم الأولين ، وفقير وإن ملا المال خزائنه . تشبَّهه لنحول ذكره ، وسقوط قدره ، وعدم نفعه بالميت والمعدوم وفي فعله فعل الجاهل ، وعدم عمله بعلمه : بالجاهل ، وفي حرصه على جمع المال ، وعدم استمتاعه به ، وأنه يظهر بمظهر غير لائق : « الفقير » الذى لا مال له .

وفي كل ذلك دَلٌّ على التشبيه بإثبات لازم المشبه به المشبه على طريق الاستعارة بالكسنية ، والاثبات المذكور تخيلية .

٦ - وهذه لطيفة أخرى للتمثيل أدعى الى العجب ، وهى : جعله الموت حياة مستأنفة ، نحو قولهم : كان موته حياة له ، إنه عاش حين مات ،

يريدون وصف رجل مات مودة شريفة في موطن مشهور إشاراً على نفسه أو دفاعاً عن وطنه أو عرضة ، فيشبهه موته هذا بالحياة في إحياء ذكره ، وشهرة أمره . وظاهر أن « كان موته حياة » تشبيهه بليغ ، و « عاش » استعارة تبعية ، شبهت الشهرة بالعيش في إفادة الذكر ، ثم استعير العيش للشهرة ، ثم اشتق منه عاش بمعنى اشتهر ، وبقي ذكره .

هذا « كعب بن مامة (١) » الذي يضرب به المثل في الإيثار والكرم لم يُعرف عنه إلا أنه كان في سفر مع رفيق له نمرى فقتل الماء معهما ، فاتفقا على أن يشرب كل منهما مقداراً معيناً في اليوم ليكشفيهما إلى أن يصلا إلى

(١) هو كعب بن مامة الإيادي ، أحد أجواد العرب المشهورين ، قيل إنه كان مسافراً مع رفيق له من النمر ابن قاسط اسمه شمر بن مالك ، فقتل ماءهما فالتزم رفيقه بالماء على نفسه على ما شرح الأستاذ المؤلف ، وقيل إن الرفيق كان من بني سعد وروى غير المبرد : أنه كان في رفقة فقتل عليهم الماء ، ولما مات كعب رثاه أبوه مامة بن عمرو بقوله :

أوفى على الماء كعب ثم قيل له رد كعب إنك وراذ فما وردا

ما كان من سوقة أسقى على ظمأ خرا بماء إذا ناجودها بردا

من ابن مامة كعب تم دعى به زو المنية إلا حرة وقدى

ومن شعر جرير يخاطب عمرا بن عبد العزيز :

فما كعب بن مامة وابن سعدى بأجود منك يا عمر الجوادا

وفي حادثته يقول أبو تمام :

يجود بالنفس إذ ضن البخل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وفيه وفي حاتم الطائي يقول :

كعب وحاتم اللذان تقعا خطط العلا من طارف وتليد

وقد أخطأ المبرد في نسبة الأبيات الأولى إلى أبي دود الإيادي وتابعه في هذا

الخطأ الشيخان رشيد رضا « ص ١١٤ » ، وأحمد المراغي « ص ١٥٣ » من طبعتهما ،

والصحيح ما هنا نقلاً عن الشيخ المصنف والمبدئي ، راجع تفاصيل القصة وما قيل فيها

وشرح أبياتها في ص ٥٢ ج ٣ رغبة الآمل ، ص ٢٢٠ — ٢٢٤ ج ١ من العقد

الغريد طبع العريان ، أمثال الميداني ص ١٦٧ ج ١ طبعة عبد الرحمن محمد .

ماء ، فكان النمرى يشرب نصيبه ، ثم يصيح من شدة العطش : اسق أخاك النمرى ، فيعطيه « كعب » نصيبه حتى وصلا إلى ماء ، وكان كعب قد أشرف على الهلاك ، فصاح به النمرى : رد كعب ، وما به من ورود ، فإنه قد مات . هذه رواية « السكامل » (١) .

ومن ذلك قول ابن نباتة - وهو أبو نصر عبد العزيز بن عمر السعدي (٢) :-

بأبي وأمي كل ذي نفس تعاف الضيم مرّة

يرضى بأن يرد الردى فيميتها ويعيش ذكره

مرة ، بالضم ، ولا يجوز كسرهما ، والمراد بمرارتها : شدتها ، وصعوبتها وإباؤها ، تشبها لها بالشيء المر ، الصعب التناول ، الذي لا يطاق . والشاهد قوله : « ويعيش ذكره » جعل إخلاد الذكر وإبقائه إعاشة له وإحياء ، على التمثيل ، وهو استعارة تبعية كعاش .

٧ - ومن إبداع التمثيل واغتنانه : أنه يمكن به تشبيه أشياء مختلفة بأمر واحد ، يؤخذ منه اسكل مشبه معنى خاص يشاركه فيه ، وهذا ما عناه الشيخ بقوله : « وإنه ليأتيك من الشيء الواحد بأشياء عدة ، ويشقق من الأصل

(١) ورواها أيضا مع الخطأ السابق مؤلف « هبة الأيام » ص ٢٤٩

(٢) التميمي ، بغدادى النشأة وشاعر من مداح سيف الدولة وابن العميد والموالي وعضد الدولة وسواهم توفى سنة ٤٠٥ هـ ، وهو غير ابن نباتة الحذاقى الفارقى الخطيب العظيم المتوفى سنة ٣٧٤ هـ وغير ابن نباتة المصرى جال الدين محمد بن محمد الشاعر المشهور المتوفى سنة ٧٦٨ هـ والنون فى المصرى مفتوحة بخلافها فى زميليه فأنها مضمومة كما نص على ذلك ابن خلكان فى ترجمتهما .

الواحد أغصاناً في كل غصن ثم على حدة» وقد جاء لذلك بمثالين :

المثال الأول : « الزَّند » إذا قدحتمه ، وحككت بعضه ببعض ، فتارة يرى ، ويأتي بما تريد من النار ، وتارة يصلد ، فلا يخرج منه شرر ، فقد ضربوا الزند الواري : مثلاً للجواد الكريم ، وللذكي الفطن ، وللناجح في أموره ، الظافر بمراحه ، كما ضربوا الزند المصلد : مثلاً للبخل الذي لا يعطي ، وللبلبد الذي لا يفهم ، وللخائب في سعيه ، فهذه ستة أمور قد شبهت بمشبه به واحد ، وهو الزند .

أمثلة : تقول : قدحت فلاناً فأورى ، أو فلان إذا قدح لا يصلد ، تريد وصفه بالكرم ، وأنه يعطي من قصده كالزناد الذي يقدح فيورى ، ووجه الشبه : الحصول من كل على المرام ، ثم دل على هذا التشبيه بإثبات القدح والإبراء للمشبه ، استعارة بالكناية ، والإثبات تخيلية .
قال الحريري (١) - في المقامة الثامنة والأربعين - :

لَا ، وَلَا رَامَ قَابَسٍ قَدَحَ زَنْدِي فَأَصْلَدَا

أى لم يطلب منى أحد شيئاً فبخلت به .

وهذه الأمثلة نفسها تقال للرجل الذكى ، تشبّهه في خصب الفكر ، وسرعة الإجابة بالزند الوارى ، قال الحريري - في المقامة ٣٨ - : « وأحبّ

(١) هو أبو محمد القاسم بن علي الحريري البصري إمام اللغة والأدب وصاحب المقامات المشهورة وكتاب «درة الغواص في أوهم الخواص» ، و«ملحة الاعراب» في النحو ، وغيره وقد كناه العباسي بأبي عبد الله ، ولد ٤٤٦ هـ وتوفي ما بين سنة ٥١٠ هـ ، سنة ٥١٦ هـ على اختلاف الروايات ، وله ترجمة في معاهد التنصيص ص ٩٣ - ٩٥ ج ٢ ، معجم الأدباء ص ٢٦١ - ٢٩٣ ج ١٦ .

الوالى أن يعلم هل نطفسته ثم (١)، أم لقريحتته مسدد؟ فأطرق يروى
 فى استيرام زنده، أى فى اختبار قدرته على البيان، ومضائه فيه. ^{ان سدد}
 وتقول: فلان إذا قدح أورى، أى أنه محدود، حالفه النجح. ومن
 كلام أحد خطباء العرب (٢) عند كسرى (٣): «ورى زنديك، وعملت
 يدك (٤)» يدعو له بالنجح الدائم. وقال بعض الشعراء (٥): ^{في كتاب}

مبارك الوجه ميمون نقيته يورى الزناد بكفّيه إذا قدحا

يريد: أنه موفق، كلما طلب أمرا حصل عليه كما يحصل القادح للزناد
 على مراده. ^{مقال}

قال الحريرى - فى المقامة ١٧ - «فإن سمحت خواطركم مدحنا، وإن
 صلدت زنادكم قدحنا».

يريد. وإن عجزتم عن الجواب لبلاذسكم ذمنا، فجعل صلود الزند
 مثلا للبلادة.

وقال - فى المقامة ٤٧ - «فعدّ عود الخنفق فى مسنعا، الكل على
 مولاه، فقلت له: ويملك، أبطه فيند، وصلود زند؟!»، فجعل صلود زنده

(١) الثمر: بالتحريك أو بسكون الميم وككتاب: الماء القليل.

(٢) هو حاجب بن زرارة التميمي أحد الخطباء المصاقع والفرسان المحدثين
 وهو صاحب القوسى التى استرهنها كسرى، وفيها يقول أبو تمام:

فأنتم بذى قار أمالت سيوفكم عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

(٣) هو كسرى أنوشروان بن قباد المعروف بالملك العادل فى زمنه ولد الذى صلى

الله عليه وسلم.

(٤) راجع ص ٢٦٠ ج ١ من العقد الفريد طبع الريان. ^{٢٦٠ ج ١}

(٥) هو ابن الرومى، من قصيدة فى مدح أبى دلف العجلي «ص ٣٣١ ج ١

مختارات البارودى».

مثلاً لحية مسعاه ، وأما « فند » ، بكسر أوله فهو : مولى (١) لعائشة بنت سعد بن أبي وقاص (٢) ، أرسلته ليقبس لها ناراً فوجد قافلة متجهة إلى مصر فسافر معها ، وأقام سنة ثم عاد ، فتمدكر ما كانت سيدته أرسلته إليه ، فأخذ جمرأ ، وذهب يعدو ، فزلت قدمه ، وتبدد الحجر فقال : تعست العجلة ، فصار مضرب المثل في البطء .

المثال الثاني ، « القمر » وله أحوال كثيرة يمكن أن يشبهه به في كل منها :

أ -- يشبهه به من ناحية الشهرة والنباهة ، نحو : كيف أعرفك بفلان ، وهل يخفى القمر ؟ .

ب -- ويشبهه به من جهة السكال بعد النقصان ، كما يقال في الطفل ينمو حتى يبلغ مبلغ الرجال : هلال نما فعاد بدرأ ، وفي هذا المعنى يقول أبو تمام (٣) :

لحفي على تلك الشواهدِ منهما لو أمهلت حتى تصيرَ شمائلًا
لغد أسكونهما حجباً ، وضياهما كرمًا ، وتلك الأريحية نائلًا
ولأعقب النجم المرذبة ديمة ولعاد ذاك الطللُ جوداً وبلا
إنَّ الهلال إذا رأيت نموه أيقننت أن سيصير بدرأ كاملاً

اللهف : الحسرة . ويا لحي . كلمة يتحسر بها على فائت ، ولحي هنا مبتدأ وعلى تلك : متعلق به ، والخبر محذوف ، أي شديد . ولو هنا : للتمييز ؛

(١) اسمه أبو زيد ، وراجع قصته في القاموس .

(٢) الزهري الصحابي العظيم والقائد المحنك وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وله

في الفتوح الإسلامية صفحات مشرقة ، توفي سنة ٥٥ هـ .

(٣) يرثي ولدى عبد الله بن طاهر قائد المأمون .

ليستقل البيت عن لاحقه (١). والشواهد : مخايل النجاة فيهما ، وأماراتها .
والشمائل ، جمع شمال ككتاب : الأخلاق . والحجا : العقل ، والمراد بالصبا
مرح الصبيان . والأريحية : الاهتزاز للجميل . والنائل : العطاء . والمرذ :
الآتي بالذاذ ، وهو المطر القليل . والديمة . المطر يدوم في سكون . والطل :
المطر الضعيف . والجود : المطر الغزير .

ومن ذلك قول البحترى يمدح إسحاق بن كنداج القائد (٢) :

شرف تزيد بالعراق إلى الذي عهدوه بالبيضاء أو ببلنجر
مثل الهلال بدا فلم يبرح به صوغ الليالي فيه حتى أقرا

شرف : خبر محذوف . وإلى : متعلق بمحذوف حال من فاعل « تزيد »
أى منتهاً إلى السكال الذي عهدوه ، وعرفوه . بالبيضاء أو ببلنجر :
وهما بلدان (٣) . يشبه مدوحه ، وقد تدرج في مدارج الشرف والكمال حتى
وصل إلى ما وصل إليه ، بالهلال يتدرج حتى يصير قراً ، والوجه . ظاهر ،
والمراد بصوغ الليالي للهلال : تنميته وتكميله فهو استعارة ، وإسناده إلى
الليالي مجاز عقلي من الإسناد للزمان ، فإن الليالي زمن تكميله ، والله
الفاعل .

ج - ويشبه بالقمر في كماله بعد النقص ، ثم نقصه بعد الكمال ، كما قال
أبو الحسن - أحمد بن أبي البغل من شعراء القرن الرابع :

(١) هذه دقة في التخريج تدل على طول باع وحسن فطنة ، وإن كان كثير من
العلماء يرى جعل « لهفي » منادى ، و « لندا » جواب لو لأن لأنى تمام زلات لا تحصى
في الصناعة اللفظية ، وهو من شعراء المعاني .

(٢) الخزري وهو من ألع قواد ذلك العصر .

(٣) على شاطئ بحر « الخزر » المعروف ببحر « قزوين » .

المرءُ مثل هلالٍ حين تبصره يبدو ضئيلاً ضعيفاً ثم يتساق
يزداد حتى إذا ماتمَّ أعقبه كركُّ الجديدين نقصاً ثم ينمحق
د — وهذه ناحية أخرى للقمر تراها في قول ابن بابك (١) يمدح الأستاذ
أبا علي أحمد بن حمولة ، وزير نجر الدولة (٢) :

ورآك للتشريف أهلاً فاجتبي بوفائه ، ممالك ، يقول ويفعل
فأعرت شطر الملك ثوب كاله والبدر في شطر المسافة يكمل
ليفهم البيتان تقول : إنه لما مات « صاحب بن عباد (٣) » وزير نجر
الدولة كان المرشح للوزارة بعده أحد الرجلين : أبي علي بن حمولة ، وأبي
العباس الضبي (٤) ، فأخذ كل منهما يبذل لفخر الدولة الأموال الطائلة ليستوزره
فرأى أن يأخذ ما بذلاه ، ويوليها معاً معتلاً بأن مكان « صاحب » لا يملؤه
أحدهما وحده ، فاشتركا في الوزارة (٥) ، فكان كل واحد منهما كأنه وزير

(١) هو عبد الصمد بن منصور ابن الحسن بن بابك ، من الشعراء المجيدين
الكثيرين ، قال فيه الثعالبي : « شعاره إحسان السبك وإحكام الرصف ، وإبداع الوصف »
وله ترجمة في « اليتيمة » ص ٣٤٣ - ٣٥٠ ج ٣ ، وتوفي سنة ٤١٠ هـ ، سنة ١٠٢٥ م
(٢) هو : أبو الحسن علي بن حسن ركن الدولة بن بويه الديلمي أحد ملوك

الدولة البويهية ، ولد سنة ٣٤١ هـ ، وتوفي سنة ٣٨٧ هـ .
(٣) هو أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس الطالقاني ، من مفاخر
التاريخ الأدبي والعلمي والسياسي ، ووزر لمؤيد الدولة بن بويه ثم لأخيه نجر الدولة
المتقدم ذكره ، وكانت ولادته سنة ٣٢٦ م ، ووفاته سنة ٣٨٥ هـ ، وله ترجمة في وفيات
الأعيان ص ٢١٦ - ٢٣٠ ج ٢ « دار المأمون » ، ومعجم الأدباء ص ١٦٨ - ٣١٧
ج ٦ ، واليتيمة ص ١٦٩ - ٢٦٠ ج ٣ .

(٤) أحمد بن إبراهيم ، كان أديباً شاعراً ، وطالما اغترف من ورد صاحب ،
وتوفي سنة ٣٩٨ هـ ، سنة ١٠٠٨ م .

(٥) ولقب الأول بالجليل والثاني بالرئيس ، فقال بعض الشعراء - راجع اليتيمة
ص ٢٥٩ ج ٣ - :

لشطر الملك ، فأراد ابن بابك أن يدفع توهم أن ذلك ينقص من قدره أبي
على ، يقول : إنك ألبست شطر الملك الذي وليته ثوب السكال لأنك كامل
ولا بدع في أن تكون كاملا في نصف الملك ، فإنك شبيه بالبدر الذي يكون
كاملا في نصف الشهر ، ووجه الشبه : كالكل في النصف ، ونظير هذا قول
ابن الرومي - وهو أسبق زمناً - :

تمت معاليه منه في امرئ نصف زول أطل على الأحوال توقافا
كذا الأهله تستو في محاسنها إذا نضت من شهور الحول أنصافا

النصف : الذي بين الحدائق والهرم . والزول : الشجاع . والتوقاف :
بمعنى الوقوف ، يريد : أنه مجرب لكثرة ما عانى من أحوال الزمان وأهله .
ويقال نضا الثوب : إذا خلعه ، ونضا البلاد إذا قطعها ، وهذا المعنى مناسب
هنا ، يشبهه وقد تمت معاليه حين قطع نصف مرحلة العمر بالبدر يكتمل
حسنة إذا قطع نصف مرحلة الشهر . والوجه : كالكل في نصف مرحلته .

وهذا أروع وأخف من قول ابن بابك .

هـ - وترى البدر إذا كان قليل النور قل ظهوره ليلا أول الشهر وآخره ،
فإذا امتلأ طال مكثه ، وقد لاحظ هذه الجهة أبو بكر الخوارزمي (١) -
حين قال :

== والله والله لا أفلحتم أبدا بعد الوزير بن عباد بن عباس
إن جاء منكم جليل فاجلبوا آجلي أوجاء منكم رئيس فاقطعوا راسي

(١) هو محمد بن العباس الخوارزمي الكاتب الشاعر والأديب الناصر ، نبغ في
العلوم والمعارف خاصة اللغة والانساب ، ورسائله وأشعاره مشهورة ، وهو ابن أخت
المؤرخ الثقة محمد بن جرير الطبري ، قوله مع البديع الهمداني مناظرات مشهورة ، توفي

سنة ٣٨٣ هـ ، سنة ٩٩٣ م .

أَرَاكَ إِذَا أَيْسَرْتَ خَيْمَتَ عِنْدَنَا مَقِيماً وَإِنْ أَعْسَرْتَ زُرْتَ لِمَا
فَمَا أَنْتَ إِلَّا الْبَدْرُ ، إِنَّ قَلَّ ضَوْؤُهُ أَغْبَى ، وَإِنْ زَادَ الضَّيَاءُ أَقَامَا
خَيْمَ : أصله : نَصَبَ خَيْمَتَهُ ، وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ الْإِقَامَةَ اسْتَعْمَلَ
فِيهَا . وَزَارَهُ لَمَّا : غَبَا أَيْ وَقْتًا بَعْدَ وَقْتٍ ، وَأَغْبَى : جَاءَ يَوْمًا وَتَرَكَ يَوْمًا ،
وَوَجْهَ الشَّبَهَةِ : إطَالَةَ الْمَكْثِ عِنْدَ كَثْرَةِ النِّفْعِ ، وَإِقْلَالَهُ عِنْدَ قَلَّتِهِ .

انتقد الشيخ هذا التمثيل ، بأن اللفظ لا يساعده - وإن كان لطيفاً - وذلك
أن معنى الإغباب : أن يزور يوماً ، ويترك يوماً ، وليس الهلال كذلك ، بل
هو يوالى الطلوع كل ليلة مهما قلَّ ضَوْؤُهُ حتى آخر الشهر ، وهو نقد هين
وَجَوَابُهُ : أن الهلال لما كان يظهر قليلاً ، ويغيب طويلاً عند نقص نوره
جعل طول غيبته بمنزلة ترك الطلوع في وقته ، وقد يتساحون في أكثر
من هذا .

وفي هذا المعنى يقول ابن بابك :-

إِذَا هُوَ أَثْرَى بَدَا وَاصِلاً وَإِنْ قَلَّ فَارَقْنَا وَاحْتَجَبَ
كَذَا الْبَدْرُ يُسْفِرُ فِي تَمَسُّهِ فَإِنْ خَافَ نَقْصَ الْحَاقِ انْتَقَبَ (١)
لَكِنْ يَلَاظُ أَنْ الْمَدْحُ هُنَا إِذَا قَلَّ مَالُهُ احْتَجَبَ كَالْبَدْرِ إِذَا ذَهَبَ
ضَوْؤُهُ احْتَجَبَ أَيْضًا ، كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ مِنْ وَصْفِ الْمَشَبَهَةِ .

و - معلوم أن البدر يستمد ضوءه من الشمس ، ويرجع اختلاف
ضوئه كثرة وقلة إلى أوضاعه منها ، فيمتلئ بالنور ويصير بدراً عند
الاستقبال (٢) ، وينمحي ضوءه عند الاجتماع وقد تخيل ابن نباتة السعدي

(١) انتقب : وضع النقاب عليه ، أسفر : رفعه .
(٢) أي استقباله للشمس بوجهه كله ، وذلك في منتصف الشهر .

الاستقبال بعدا عن الشمس ، والاجتماع قريبا منها فقال يمدح عضد الدولة (١) :

قَدْ سَمِعْنَا بِالْغُرِّ مِنْ آلِ سَاسَا نَوِيذُونَ فِي الْعُصُورِ الْخَوَالِي
وَالْمُلُوكِ الْإِلَى إِذَا ضَاعَ ذِكْرُ وَجَدُوا فِي سَوَائِرِ الْأَمْثَالِ
مَكْرُمَاتٍ إِذَا الْبَلِيغُ تَعَاطَى وَصَفَهَا لَمْ يَجِدْهُ فِي الْأَقْوَالِ
وَإِذَا نَحْنُ لَمْ نُضِفْهَا إِلَى بَعْ دِكَ كَانَتْ نَهَايَهُ فِي الْكَمَالِ
إِنْ حَمَعْنَا هَمًّا أَضْرَبَهَا الْجَمْعُ عَوْضَاعَتٍ فِيهِ ضِيَاعُ الْحَالِ
فَهُوَ كَالشَّمْسِ بَعْدَ مَا يَمْلَأُ الْبَدَنُ رَوَى قُرْبَهَا بِحَقِّ الْهِلَالِ (٢)

يقول : قد سمعنا بملوك الفرس الأكَسرة آل ساسان ، و بملوك اليونان ، وغيرهم من الملوك ، وعرفنا ما لهم من مآثر ومكرمات لا تزال تسير بها الأمثال ، لكن شهرتها وكألها لا يتحققان إلا إذا ذكرت وحدها ، ولم تقس بمجدهك ، فإذا قيست به ونسبت إليه بدت ضئيلة هزيلة تكاد تضيع وتنعدم انعدام المحال الباطل ، فما مثل مكارمهم مع مجدهك إلا مثل القمر الشمس ، إذا بعد عنها امتلاء نورا ، وإذا قرب منها كان محاقه ، وزوال نوره .

ز - ومن أحوال البدر : ما ترى من بُعده وارتفاعه ، وقرب ضوئه

(١) هو أمير الأمراء عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه ، أشهر الملوك الديوبيين وأول من تسمى في الإسلام بملك ، توفي سنة ٣٧٢ .

(٢) من الخطأ الفاحش إعادة الضمير « فو » إلى المدح ، كما فعل الشيخان رشيد رضا والمرآغي - ص ١١٧ ، ص ١٥٧ من طبعتهما لأسرار البلاغة - بل إن ذلك يودي بالمعنى الذي أراده الشاعر ، والصحيح أنه يعود إلى كلمة « مجده » في البيت الرابع كما قرر الأستاذ المؤلف ، وهذا البيت يدل على أن المسلمين في القرن الرابع كانوا على علم بنظريات جغرافية يتشدد كثير من جواتنا بأنها غريبة الوجه واليد واللسان

وشعاعه ، وقد شبه به البحرى فى ذلك فيما مضى من قوله :

دان على أيدى العفاة ... البيتین

ح - وهذه ناحية أخرى - وليست أخيرة - وهى : ظهوره فى كل مكان ،

قال المتنبي :

كالبدر من حيث التفت رأيتہ يهْدِي إلى عينيك نوراً ثاقباً
فانظر كيف جاء التمثيل بهذه الأشباه الكثيرة المتباينة من شىء
واحد ، والتي لم يستقصها الشيخ لكثرتها ، فهو لم يذكر الشبه الذى لاحظته
القائل : (١)

كَأَنَّهُ بَيْنَ أَحْوَالٍ تَدَاوَلَهُ بِدْرِ تَهَادَاهُ شَتَّى مِنْ مَنَازِلِهِ (٢)
ولا الذى لاحظته القائل : (٣)

رَغِبَ عَنْ بِلَادِكَ وَارْجَ حَسَنَ مَغْبَةِ إِنْ كُنْتَ حَقّاً تَشْتَكِي الْإِقْلَالَ
فَالْبَدْرُ لَمْ يَقْعُدْ بِهِ إِدْبَارُهُ أَلَّا يَسَافِرَ يَطْلُبُ الْإِقْبَالَ
على أن الشيخ لم يعرض لما يشبهه بالبدر من حيث الأمر المحسوس
كتشبيه الشىء بتقويس الهلال ودقته ، والوجه بنوره وبهجته ، لأنه الآن
فى ذكر ما كان تمثيلاً ، وكان الشبه فيه معنوياً ، وهذا - كما أشرنا - دليل
على أن مدار التمثيل عنده : على كون الوجه عقلياً مركباً أو مفرداً ، وقد
أشرنا أيضاً إلى أنه فى « الدلائل » اقتصر على المركب .

وهاك مثالا ثالثا « البحر » : فان له أحوالا كثيرة ، فقد يشبه به فى

(١) هو ابن الرومى ، راجع ص ٣٨١ ج ١ من مختارات البارودى

(٢) شتى : أى فرق ، وتداوله : أصلاها تداوله

(٣) هو ابن رشيق راجع ص ١٤٩ ج ١ من شرح الشريشى لمقامات الحريرى .

غزواته ، وسعته ، وأنه لا ينضب ، كما تقول : « هو بحر » للجواد أو للعالم ،
وفي انتفاع القريب منه والبعيد ، كما قال المتنبي :

كالبحر يقذف للقريب جواهر آ جوداً ويبعث للبعيد سخائباً

ويشبه به الرجل العظيم لا تنال منه سفاهة السفهاء كما قال : (١)

وإنما وما تلقى لنا إن هجوتنا لكالبحر مهمال يق في البحر يغرق (٢)
وتراه يرسب فيه اللؤلؤ ، وتطفو فوقه الجيف ، وفي ذلك شبه به ابن
الرومي الزمان فقال :

دهر علا قدر الوضيع به وغدا الشريف يحطه شرفه

كالبحر يرسب فيه لؤلؤه سفلاً (٣) وتطفو فوقه جيفه

وقد يشبه به في أنه يستخرج منه الدر ، ولكنه لا يؤمن إن هاج
واضطرب ، قال الغزالي (٤) مادحا :

(١) هو زياد بن سلمي أو سليمان أو جابر بن عمرو بن عامر ، وكنيته أبو أمامه
مولي عبد القيس ، ويعرف بالأعجم للكنية في لسانه ، توفي سنة ٨٥ هـ ، سنة ٧٠٤ م كما
في الأعلام ، أوفى حدود المائة كما في معجم الأدباء ، وله تراجم في الأعلام ص ٣٤١ ج ١
ومعجم ياقوت ١٦٨ ج ١ والأغانى ص ٩٨ ج ١٤ ، خزائن الأدب ص ١٩٢ ج ٤
والشعر والشعراء ص ٣٩٥ ج ١ « بتحقيق شاكر » والمؤتلف ص ١٣١ وغيرها ،
ولمّا ذكرت هذه لأن المرحوم الشيخ عبد الخالق عمر كتب في تعليقه على ترجمته
في ياقوت : « لم نعتز له على ترجمة سوى ترجمته في ياقوت » وفق الله الجميع ،

(٢) البيت من قصيدة أرسل بها إلى الفرزدق لما هم بهجاء عبد القيس ففرع منها
وسكت عما هم به ، وهي في أكثر المصادر السابقة .

(٣) السفلى - بالضم - كالسفل والسفالة ، والسفل - بالكسر - كالسفلة ؛ والسفل
- بالفتح - : تقيض الملو .

(٤) هو أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن محمد الكلابي ، من أهل غزة بفلسطين
بشاعر مجيد ، مدح البويهيين وسواهم ، ولد سنة ٤٤١ هـ وتوفي سنة ٥٢٤ هـ .

هو البحر لا يأس من درّه ولا أمن من موجه إن طمأ (١)

ومثال رابع : (السيف) فقد شبهوا به من جهات شتى ، شبهت به العزيمة في المضاء ، كقول الشاعر (٢) :

فتى عزمه سيف حسام ، وسيفه قضاء إذا لاقى الضريبة مبرم

وقال البحرى فى معنى آخر - وسيأتى - :

ضحوك إلى الأبطال وهو يروعههم وللسيف حد حين يسطو ورونق

وقال ابن الرومى فى معنى ثالث :

فمذات نفسك ما يكون بهاؤها وبماؤه كان الحسام صقيلا
يقول : إن النفس لا يمكن إفادتها البهاء إلا إذا كانت فيها قابلية واستعداد
كما أن السيف لا يمكن جلاؤه وصقله إلا إذا كان فيه بقية ماء ، أما إذا فسد
معدن السيف فلن يعود صقيلا . قال الشاعر (٣) :

والسيف مالم يُلَف فيه صيقل من نفسه لم ينتفع بصقال (٤)
وهذا أيضاً يضرب مثلاً لمن لا يكون عنده استعداد لأمر ، فلا تجدى
محاولة إفادته إياه .

ويقول الشاعر (٥) فى معنى آخر :

-
- (١) البيت فى مختارات البارودى ص ٤٨ ج ٣
(٢) هو ابن الرومى : المصدر السابق ص ٣٨٨ ج ١
(٣) هو أبو تمام .
(٤) الصيقل : شحاذ السيوف وجلاؤها ، والصقال : اسم الصقل .
(٥) هو أبو الشيمس الخزاعى كما فى الوساطة ص ٢٣٣ وقد ذكر مع بيت قبله فى
الامالى ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ ج ١ غير منسوب وكذلك فى الحماسة ص ١٦٠ ، ١٦١ ج ٤ =

وكالسيف إن لا يفته ن لا مثنه وحده إن خاشته خشنان
وأنت تستطيع أن تعثر على غير ذلك مما شهوا به من جهات عدة ، لامن
حيث ما يدرك بالحس ، بل من حيث ما يدرك بالعقل والروية .

السبب الثالث من أسباب تأثير التمثيل

أنه يحتاج إلى إعمال الفكر ، وتحريك الخاطر ، وبذل الهمة من كل
من منشئه وسامعه ، فالأول محتاج إلى ذلك في الغوص عليه ، والاهتمام
إليه ، ثم في صوغه ، والإبانة عنه ، والثاني محتاج إلى ذلك في فهمه ، وإدراك
سره ، واجتلاء حسنه ، وذلك ما يجعله في النفس أحلى ، وبالميزة أولى .
وسر ذلك : ما هو مركز في الطباع من أن الشيء إذا نيل بعد طلبه ،
والشوق إليه ، والحنين له ، كان موقعه في النفس أعظم مما لو حصل عفواً
بلا عناء ولا طلب ، ولذلك يضرب المثل لكل ما لطف موقعه في النفس ،
ببرد الماء على الظمأ ، أو الوصل بعد الصد ، أو الغنى بعد الفقر ، أو الرخاء
بعد الشدة ، وأشبه ذلك مما يحصل بعد مكابدة الحاجة إليه ، ومطالبة
النفس به .

وهذا السبب مرتبط بالسبب السابق ، ومرتب عليه ، فإن التمثيل إنما
يدق ويلطف وتكون حاجته إلى الفكر أمس ، إذا كان تقريراً للشبه بين
الأشياء المتباعدة المتباينة ، فإن الأشياء المتقاربة في الجنس مستغنية عن

== وأبو الشيمس : هو محمد بن دزين بن سليمان بن تميم ، من أطبع الشعراء على الشعر ، عمى
في آخر حياته ثم قتله خادم مدوحه عقبة بن جعفر سنة ١٩٦ هـ وله ترجمة في معاهد
التنصيص من ١٤٢ ج ثاني والبيت الذي قبله هو :
كرهم يفض الطرف فضل حياته ويدنو وأطراف الرياح دوايه بالقاء

التعميل والتأمل ، لظهور الشبه بينها وقرب مأخذه .
أما الجمع بين أعناق المتنافرات في رِبة (١) وعقد النسب بين الأجنبيات فهو عنوان جودة القريحة ، ودليل الخدق والاستاذية ، وهو الذى يحتاج إلى دقة الفكر ، ولطف النظر ، ونفاذ الخاطر ، وهو الذى أوجب للتمثيل الفضيلة ، وأحظاه عند السامعين .

تنبيه : من هذا يتضح قول الشيخ فى مطلع هذا السبب : « فصل ، وإن كان مما مضى ، إلا أن الأسلوب غيره » ، فإنه يريد أن يقول : إن الحاجة إلى الفكر ، من مقتضى الجمع بين المتنافرات ، وإن لبيان تأثير هذا الجمع أسلوبين وطريقتين :

الأول : بيان ما يؤدي إليه من البدع والطرائف ، وقد تقدم .
الثانى : بيان ما يستدعيه من إعمال الفكر والروية ، وهذا موضوع كلامنا الآن .

اعتراضان : الأول : أن ما زعمت من أن الحاجة إلى الفكر من أسباب حسن التمثيل : يستلزم أن يكون التعقيد والتعمية ، وتعهد الالتواء ، مما يكسب المعنى المعقد شرفاً ، ويعطيه فضلاً ، لحاجته الشديدة إلى الفكر ، بل حاجته إليه أشد من حاجة « التمثيل » مع الإجماع على ذم المعقد لما يوجبه من التعب الفكرى .

الثانى : أن هذا الزعم أيضاً مخالف لقول عامة البلغاء : إن خير الكلام : ما كان معناه إلى قلبك أسرع من لفظه إلى سمعك ، فإن ذلك يدل على أن ما أوج فهمه إلى الفكر والتأمل ، لا يكون من خير الكلام ، ولا يستحق ما أوليته من فضل .

(١) الرِبة : بكسر الراء وفتحها جبل فيه عرى تشد فيه الهمم والجمع كعنب وأقفاك وجبال .

الجواب : عن الاعتراض الأول :- لنا عنه جوابان :

الجواب الأول : أن هنا فروقا بين الفكر في « التمثيل » والفكر في « التعقيد » ، من أجلها كان الأول سببا للمدح ، والثاني سببا في الذم ، وهي ثلاثة :

الفرق الأول : من ناحيه المجهود الفكري نفسه ، وحاجة المعنى إليه ، ومناسبته له ، فالتعقيد يحتاج إلى مجهود فكري ، وتعقب عقلي بالغ يزيد عن حاجة المعنى ، وأما التمثيل ، فالمجهود الفكري فيه ملائم للمعنى غير زائد عليه .
وازن بين التمثيل في قول المتنبي في رثاء أم سيف الدولة (١) :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير نحر للهِلال

رأيتك في الذين أرى ملوكا كأنك مستقيم في محال
وقول النابغة الذبياني (٢) يعتذر للنعمان (٣) :

(١) هو الأمير أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان صاحب حلب وممدوح المتنبي كان مشغولاً بالعلم والأدب ، مكرماً أهلها ، فاتحاً بابها للشمراء مجزلاً لهم العطاء كما كان فارساً مقداماً ، وبطلاً مغواراً ، وبعد قصره كعبة الشعر في عصره توفي سنة ٣٦٦ هـ .
سنة ٩٧٦ م .

(٢) هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الشاعر الجاهلي المشهور ، توفي سنة ١٨ ق هـ ، سنة ٦٠٤ م .

(٣) ابن المنذر أبي قابوس أشهر من ملك الحيرة في الجاهلية ، وكان على صلة قوية بالباطل السكسروي ، وذهب إليه مع وفود العرب « راجع قصتها في العقد الفريد ج ١ ص ٢٥٣ - ٢٦٦ طبع الريان » ، ثم كانت نهايته الموت في سجن كسرى أبرويز سنة ٧ ق هـ ، سنة ٦١٣ م .

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع
فإنك شمس ، والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منها كوكب (١)
وقول البحترى يمدح محمد بن علي (٢) القسمي :
ضحوك إلى الأبطال وهو يروعهم والسيف حدث حين يسطو ورونق (٣)
وقول امرئ القيس :
وقد أغتدى والطير في وكثنتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل (٤)
وقول قطري بن الفجاءة (٥) :
ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب جذع البصيرة قارح الإقدام (٦)
وما أشبه ذلك . وبين التعقيد (٧) في قول أبي تمام :

(١) على الرغم من شهرة هذا البيت ومعرفة قائله ، نفاه الشيخ رشيد رحمه الله
عن النابغة ونسبه إلى الشاعر المجهول !!! « راجع هامش ص ١١٩ أسرار »
(٢) ابن الحسين بن موسى المشهور بيا بويه ، والقمي : نسبه إلى « قم » وهي
مدينة ذكرها ياقوت بتفصيل « ص ١٥٩ - ١٦١ ج ٧ معجم البلدان » متوفى القمي
سنة ٣٨١ هـ ، سنة ٩٩١ م .

(٣) رونق السيف : مازه وحسنه .

(٤) الوكنة - مثلثة الواو - كالوكنة - بضمين - والوكن - كضرب - والموكن
والموكنة - بكسر الكاف - : عش الطائر ، والمنجرد : قصير الشعر ، والأوابد :
الوحوش ، والهيك : الضخم .

(٥) الفجاءة : لقب أبيه ، واسمه جعونة - كعشرجة - بن يزيد بن زياد بن جبر
بن كافية بن حرقوص بن مازن بن مالك التميمي ، رأس الأزارقة من الخوارج ودعى له
بالخلافة عشرين سنة وكان شاعرا مجيدا وخطيبا مصقعا وفي سنة وفاته خلاف ، وتراوح بين
٧٨ ، ٧٩ ، ٨٧ هـ « راجع في نسبه « جهرة أنساب العرب » لابن حزم ص ٢٠١ »

(٦) يعني أنه قتي - كفتي - البصيرة ، متناهي الإقدام .

(٧) سيأتي شرح أبياته كلها ص ١٢٨ وما بعدها

يدى لمن شاء رهن ، لم يندق جرعاً من راحتك دَرَسَى ما الصَّابِ والعسل
وقول المتنبي :

ولذا اسم أغطية العيون جفونها ومن أنما عمل السيف عوامِل
وقول أبي تمام يمدح المعتصم (١) :

ثانيه في كبد السماء ولم يكنْ لائنين ثان إذ هما في الغار
إلى غير ذلك مما عابوه بالتعقيد ، فستجد أن أبيات التمثيل فيها شيء من
الدقة واللفظ لا يصل إليه كل أحد ، ولا يكشف عن مغزاه إلا من أوتي
حظاً من حسن الذوق وصفاء القريحة ، فهي كالجواهر في الصدف ، لا تناله
إلا بعد شقه ، وكالعزير المحتجب ، لا تراه حتى تستأذن عليه .

وستجد أبيات التعقيد فيها غموض وإغلاق ، وبها حاجة أيضاً إلى
فكر وتأمل ؛ لكن هل يبلغ المجهود في الأولى ما يبلغه في الثانية ؟ وهل
العناء في تلك كالعناء في هذه ؟ لا شك أن الكلام المعقد قد أحوج إلى
فكر زائد عن المقدار الذي ينبغي في مثله . وتعب أكثر مما يستوجبه
معناه .

الفرق الثاني : من ناحية منشأ الحاجة إلى الفكر وسببها ، فمنشؤها في
« التمثيل » : دقة المعنى ولطفه ، وارتباط بعض أجزاء الكلام وبعضه .
وبناء تال منه على أوّل ، وثالث على ثان ، ونحو ذلك .

أما في « التعقيد » فمنشؤها : سوء ترتيب الألفاظ وتعتمد إغلاقها ،
وأن المتكلم لم يسلك بها المسلك الذي بمثله يسهل الحصول على المعنى ، فقدم أو
آخر ، وحذف أو أضمر ، أو أتى باستعارة خفية من غير أن يقيم دليلاً على

(١) هو محمد بن هارون الرشيد ، والخليفة العباسي المتوفى سنة ٢٢٧ هـ ، سنة ٨٤١ م .

ما أراد ، فأحوج السامع إلى فكر زائد على ما ينبغي ، ولو أنه رتب اللفظ كما يحسن أن يرتب ، وأقام الأدلة على مغزاه لما كانت هناك حاجة إلى كل هذا العناء .

الفرق الثالث : من جهة الفائدة الحاصلة بالفكر ، فالفائدة في التمثيل . الوصول إلى المعاني الدقيقة ، والأغراض النفيسة ، واجتلاء محاسن أقوال البلغاء ، واحتناء ثمار عقول الفضلاء ، وذلك مما يزيد الفكر فرحا وأنسا ، إذ يحصل على ما هو أهل لما بذل ، وكف لما أعطى .

أما التعقيد فإن المفكر فيه يسعى في غير فائدة جليلة ، أو غرض نبيل ، يسعى في تقديم مؤخر ، أو تأخير مقدم ، أو تقدير مخدوف ، أو الكشف عن استعارة خفية ، أو نحو ذلك ، وما مثله إلا مثل الغائص يحتمل المشقة ، ويخاطر بالروح ، ثم لا يجد إلا الحصى والخرز ، فبأسى على الجهد الضائع ، والعمل في غير جدوى .

وخلاصة القول . أن المجهود الفكري في التعقيد زائد على ما ينبغي للمعنى ومنشؤه من عمل المتكلم ، وسوء عبارته ، وثمرته تافهة ، وأن المجهود الفكري في التمثيل مناسب للمعنى ، ومنشؤه لطفه ودقته ، وفائدته جليلة ، ولذلك كان الأول باعثا على الذم ، والثاني موجبا للمدح .

الجواب الثاني : أن التعقيد في الحقيقة لم يذم من جهة حاجته إلى الفكر والتأمل ، فما كان الفكر في المعاني ، واجتلاء غوامض الأمور موضعا للذم ولا محلا للثقل ، وهل نميز الإنسان على سائر الحيوان إلا بالفكر والاعتبار ؟ وهل شيء أحلى من الفكرة إذا صادفت نهجا مستقيما ، وطريقا قويا ؟

إنما ذُثم التعقيد لأن صاحبه أساء التعبير عن المعنى ، ولم يرتب الالفاظ

الترتيب الملائم له ، فشاك طريق السامع إليه ، ووعّر مذهبه ، وقسم فسكره ووزع ظنه ، وتركه حائر ألا يدري من أين يتوصل إليه ، ولا كيف يطلبه . أما التمثيل ، وسائر الاساليب البليغة ، والكلام المخلص من شوائب التعقيد فإن صاحبه يتحرى فيه حسن البيان ، ويخلصه من سوء الدلالة ، فيرتب الالفاظ الترتيب الذى يهdy إلى المعنى ، ويفتح الطريق للفكر ويمهده « وإن كان فيه تعاطف أقام عليه المنار ، وأوقد فيه الانوار » أى إن كان فيه غموض كاخذف والاضمار ، والتقديم والتأخير ، والاستعارة الغامضة ، أقام القرائن التى توضح المقصود ، فيهدى الفكر الى الغرض من طريق لا التواء فيه ولا عقبات .

الجواب عن الاعتراض الثانى : أنه لا منافاة بين قول البالغاء : « إن خير الكلام ما كان معناه إلى قلبك أسرع من لفظه الى سمعك » ، وبين ما تقرر من أن حاجه التمثيل إلى الفكر والروية من أسباب حسنه وروعته ؛ وذلك أنه من الخطأ أن يفهم أنهم أرادوا ظاهر هذه العبارة ، وأن الكلام الذى يحوج إلى فكر لا خير فيه ، ولا يعد بليغا ، اذ لو أرادوا ذلك لازمت أمور كلها واضح البطلان ، اذ يلزم :

أولا . ألا يكون هناك فرق بين الأقوال المبتدلة العامة والأقوال المحدودة من وسائل القلائد ، وعميون الكلام ، وأبيات المعانى ، التى اشتمل كل منها على معنى بديع ، أو تصوير رائع ، أو محسن بديعى عجيب جعل العلماء يتداولونه ويخصونه بعنايتهم « هذا هو بيت المعنى »

ثانياً : ألا يكون تفاضل بين السامعين فى تفهم الكلام البليغ ، وتصور معناه .

ثالثاً : أن يكون كل من روى شعراً أو حفظه ، عالماً به بميزان الجيده من رديئه ، وكان القول بجمل بعض الرواة بالجيد والردى منه قولاً غير مسموع ولا مؤهلاً للقبول . وهذه اللوازم كلها باطلة ، فليست الأقوال مستوية ، ولا السامعون متساوين في الفهم ، ولم يزل الشعراء والأدباء يعيرون من يتصدى لِنقد الشعر من غير أن يكون له أهلاً ، وقد تقدم قول مروان بن أبي حفصة في بعضهم :

زوامل للأشعار ... البيتين .

وقال بن الرومي :

قلت لمن قال لي : عرضت على الأخ ... ففش ما قلت له فما حمده (١)

ما قال شعراً ولا رواه فلا ثعلبه كان لا ولا أسده (٢)

فإن يقل بأنني رويت ، فكالد دفتر جهلاً بكل ما اعتقده (٣)

وإذا تقرر بطلان هذه الأمور ، فالفهم الخاطئ الذي استلزمها باطل مثلها والصواب : أن مراد البلغاء بقولهم هذا : أن يجتهد المتكلم في ترتيب الألفاظ وتهذيبها ، وصيانتها من التعقيد ، ومن كل ما يخل بالدلالة ، ويحول دون بلوغ المقصود . ولم يريدوا : أن خير الكلام ما كان غفلاً ساذجاً

(١) الاخافشة ثلاثة : الأكبر ، أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد الحميد مولى بني قيس بن ثعلبة ، وأستاذ سيبويه ، المتوفى سنة ١٧٧ هـ ، سنة ٧٩٣ م والأوسط : أبو الحسن سعيد بن مسعدة تلميذ سيبويه ومكتشف البحر ١٦ في العروض توفي سنة ٢١٥ هـ سنة ٨٣٠ م والأصغر : أبو المحاسن علي بن سليمان بن الفضل المتوفى ٣١٥ هـ ، سنة ٩٢٧ م وهو مهجو بن الرومي ، وكانوا جميعاً من أعظم رجال اللغة والأدب .

(٢) ثعلبه : هو أحمد بن يحيى المتقدم ذكره ص ٩٠ ، وليس هناك شخص يسمى « أسداً » فالمراد به الحيوان ، والمقصود أنه ليس صغيراً في هذا الفن ولا كبيراً .

(٣) اعتقده : جمعه ،

مثل الذى يتراجعه الصبيان . ويتداوله العامة .
وليس معنى كون الكلام فى غاية الوضوح : أنه لا يحتاج أبداً إلى إعمال
فكر ، وتحريك خاطر ، فإن المعنى متى كان لطيفاً دقيقاً أحوج إلى ذلك
لا محالة ، أنظر إلى قول البحتري :

دان على أيدي العفاة ... البيتين :

فلم يقل أحد : إن فيهما شيئاً من الغموض ، ولكنك مع ذلك لم تكن تقف
على معناهما - فى حاجة إلى تعرف البيت الأول وما فيه من مجاز فى قوله :
« شاسع » على ما بينا هناك ، ثم تعود إلى البيت الثانى كذلك ، ثم تقابل بين
الصورتين ، وكيف طابق بينهما كل المطابقة ، فلما قال فى الأول « شاسع »
أى شديد البعد ، قابله فى البيت الثانى بقوله « أفرط فى العلو » ليحصل
التشاكل ، ولما شرط الإفراط هنا ، جاء بما يشاكله ، وهو قوله : « جد قريب »
ليتم التقابل .

فهذا هو ما أردناه بحاجة التمثيل إلى الفسك ، وأنه لا يحصل عليه إلا
تحريك الخاطر ، ولم نرد أن يكون معقداً .

اعتراض : قد يتوهم متوهم أن كثيراً من السامعين لا يجد به حاجة إلى
بذل همه ، وتحريك خاطر فى فهم التمثيل إذا كان خالياً من التعقيد ، وحينئذ
يتفتى سبب الانس الذى ذكره ؟

أجاب الشيخ : بأن ذلك غير مسلم ؛ وهب جدلاً أن هناك من يرتاب
فى حاجة السامع إلى ذلك ، فهل من شك فى أن منشىء التمثيل قد
تحمّل فيه المشقة ، وأسهر الجفن حتى ظفر به فأداه إلى السامع حلو الجسنى
داني القطوف ؟ أو ليس من حق السامع - وقد علم ذلك - أن يحرص

عليه ويعرف موضعه من الفضل ؟ وهل إذا عثر المرء على كنز عفواً من غير عناء ، يدعو ذلك إلى إصغار أمره ، وعدم الاحتفال به ، والحرص عليه ؟ أو ليس يقول كما يقول الوارث للمال - إذا ليم على بخله به وشحه فيه - : إن لم يكن كسبي وكدي ، فهو كسب والدي وجدى ، وإن لم ألق فيه عناء ، فقد لاقى غيرى فيه الشدائد ؟ ، أنظر إلى أقوال الشعراء فيما يلاقونه من عناء في قرضهم الشعر ، فأبو حية النميرى (١) يروضه كما تراض الدابة أول ما تركب حتى تذلل وتنقاد :

واذا ابتدأت عروض نسج ريضٍ جعلت تذلل لما أقول وتسهل
حتى تطأو عني ، ولو يرتاضها غيرى لحاول صعبة لا تقبل
وتميم بن مقبل (٢) يشبهه نفسه بمن يمهّد الحزون والجهال ويعبدها ، ليتيسر سلوكها :

إذا مت عن ذكر القوافي فلن ترى لها قائلاً بعدى أطبّ وأشعر (٣)
وأكثر بيتاً سائراً ضربت له حزون جهال الشعر حتى تيسر (٤)
ويقول الجحترى :

لله يسهر في مديحك طرفه متملهلاً وتنسام دون ثوابه (٥)

-
- (١) هو الهيثم بن الربيع بن زرارة من بني نميرة بن عامر ، وأحد الشعراء المجيدين من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، توفي سنة ١٦٠ هـ ؛ سنة ٧٢٦ م .
(٢) في بعض المراجع ابن أبي مقبل وفي بعضها ابن أبي بن مقبل ؛ وأصحها ما هنا ، وهو شاعر من بني العجلان أدرك الإسلام فأسلم ، وكان بينه وبين النجاشي الشاعر مهاجرة رفع أمرها إلى عمر رضي الله عنه ، وتوفي سنة ٢٥ هـ ، سنة ٦٤٦ م بعد أن عاش ما ينيف على مائة سنة .
(٣) أطبّ : أجب لأطب والعلاج .
(٤) حزون : جمع حزن - كضرب - وهو ما صعب السير فيه .
(٥) متملهلاً أى مضطرباً وثوابه : إصابته وإعطاؤه .

يقظان ينتخل الكلام كأنه جيش لديه يريد أن يلقي به
هذا ولا جدال في أن الباحثى قد فاق الشعراء في تسهيل المعاني الدقيقة
وتقريبها إلى الأفهام ، وردَّ البعيد الغريب منها إلى المألوف القريب ، وأكثر
قصائده في غاية القوة والجزالة ، يرتفع عن عقول العامة ، ولا يحتلى محاسنه
إلا الخاصة ، ومن ذلك قصيدته في مدح المتوكل (١) التي مطلعها :

منى النفس في أسماء لو تستطيعها بها وجدُّها من غادٍ وولوعها (٢)
ويقال : إن المتوكل لما كان في مستوى عقلى لا يصل إلى هذا النمط العالى
لم يكن يهش له ، حتى إنه قال لبعض جلسائه : « ما زال يقول : « عها عها »
حتى كدنا نقي » ، ولذلك اضطر الباحثى إلى أن ينزل ببعض شعره إلى
مستواه ليحوز رضاه ، فمدحه بقصيدة أولها :

فوادى منك مَلَأَن وسرِّى فيك إعلانُ
وأنتَ الحسن لو كان وراءَ الحسنِ إحسانُ

وبخارى مطلعها :

عن أىِّ ثغرٍ تبتسم وبأىِّ طرفٍ تجتمك
حسنٌ يضمنُ بوصلِهِ والحسنُ أشبه بالكرم
وبنحو ذلك من القصائد الضعيفة الأسر ، الواصلة إلى القلوب من
غير فكر .

ولم يقل أحد : إن النوع الأول من جنس المعقّد المذموم لحاجته إلى
الفكر ، بل أجمع البلغاء على أنه الجيد الممتاز .

(١) هو جعفر بن المعتصم المتقدم ذكره ، ولى الخلافة بعد موت أخيه الواثق
سنة ٢٣٢ هـ وقتل بتحريض ابنه المنتصر سنة ٢٤٧ هـ .
(٢) الغيد - محرّكة - ابن الأعطاف ، والغيداء : المثنية ، والقادة : المرأة اللينة
الناعمة ، والفعل : كفرح .

وهذه القصة جاءت دليلاً على صحة ما بين به الشيخ مرادهم ، من أن :
« خير الكلام ما كان معناه إلى قلبك ، أسرع من لفظه إلى سمعك » .

شرح أبيات التعقيد : قال المتنبي :

من طاعني ثغر الرجال جاذر^(١) ومن الرماح دماج^(٢) وخلخل^(٣)
ولذا اسم^(٤) أغطية العيون جفونها من أنها عمل السيوف عوامل^(٥) (٢)

الثغرة : ثغرة النحر ، والجؤذر : ولد البقرة الوحشية ، والدمالج : سوار
يوضع في العضد . يقول من قاتل الرجال نساء يشبهن الجاذر ، يفعلن
بدمالجن وخالخاين ما يفعل الطاعن بالرمح ، وإنما سميت أغطية العيون
جفونها ، لأن العيون تعمل عمل السيوف ، وهذا ادعاء منه بأن اسم الجفن
خاص بقراب السيف ، والمعنى جيد ، ولكن أبرزه في عبارة ركيكة ،
وذلك لأمور .

أولاً : أن المشار إليه بقوله . « لذا » فيه خفاء ، لأنه ليس في البيت
السابق تصريح بعمل العيون ، ولهذا اضطر إلى بيان المشار إليه بقوله .
« من أنها عمل السيوف عوامل » ، فـ « من » الخ بدل من « لذا »
ومبين له .

(١) الدمالج - كبرثن وفتح اللام - حلية تجمعها المرأة في عضدها ، وفي معنى
البيت قول مسام بن الوليد .

بأرزمه وسلاحه خالخاله حتى فضضت بكفى الخالخال

(٢) في أسرار البلاغة ص ١٢٠ « وكذا » وهو خطأ من الضابطين قطعاً لا من
عبد القاهر ، بدليل أنه ورد في دلائل الأعجاز ص ٦٦ كما هنا ، وقد أورده الشيخ أحمد
المراسي في صلب الأسرار ص ١٦٢ ، كما أورده الشيخ رشيد ، ثم أصلحه في الهامش .

ثانياً : أنه استعمل كلمة « اسم » بمعنى التسمية ، وأضافها إلى المفعول الأول ، ونصب المفعول الثاني - وهو جفونها (١) - وهذا الاستعمال غير معروف ، ولذلك نرى أن الأولى رفع « جفونها » خبر لـ « اسم » .

ثالثاً : إضافة جفون إلى الضمير ، مع أنه لا حاجة إلى هذه الإضافة .

رابعاً : تقديم معمول « عوامل » ، وهو وإن كان جائزاً فقد جعل البيت بانضمامه إلى ما سبق قبيح النظم ، سيء العبارة ، وكان يمكنه أن يأتي بعبارة جيدة كما فعل سبط بن التعاويذي (٢) فإنه عكس ، وادعى أن اسم « الجفون » خاص بأغطية العيون ، وأن أغطية السيوف سميت : جفونا ، لمشاركتها العيون في قتل الرجال ، قال :

بين السُّيُوفِ وعَيْنِيهِ مَشَارَكَةٌ من أَجْلِهَا قِيلَ لِلأَغْمَادِ : أَجْفَانُ (٣)

وقال أبو تمام :

ولقد شفى الأحشَاءَ من برحائها أن صار «بابك» جار «مازيتار» (٤)

(١) رواية الديوان « ص ٢٥٢ ج ٣ » بالرفع ، وكذلك ضبطت في دلائل الأعجاز ص ٦٦ .

(٢) ابن التعاويذي : هو أبو محمد المبارك بن المبارك بن علي بن نصر السراج الجوهري الزاهد المشهور ، والتعاويذي : نسبة إلى صنع التعاويذ والرقى ، وهو عمل آييه ، وسيطه هو أبو الفتح محمد بن عبيد الله - أو عبد الله - بن عبد الله ، وقد ربا جده ابن التعاويذي وكفله صغيراً فنسب إليه ، وكان أبو الفتح كاتباً وشاعراً مجيداً ، قدمه ابن خلكان على مائتي شاعر قبله ولد سنة ٥١٩ هـ وتوفي سنة ٥٨٣ هـ أو سنة ٥٨٤ هـ ، وولد جده المبارك سنة ٤٩٦ هـ ، وتوفي سنة ٥٥٣ هـ .

(٣) الذي أحفظه : « وعينها » فلعلها رواية .

(٤) البرحاء - بضم الباء وفتح الراء - شدة الأذى .

ثانيه في كبد السماء ولم يكن لاثنتين ثانی إذ هما في الغار بابك وما زيار : زعيمان خرجا على « المعتصم » فظفر بهما ، ظفر أو لا بيا بك فصلبه ، ثم ظفر بما زيار فصلبه بجانبه (١) ، ثانيه : خبر لمخدوف أو خبر ثنان لصار في البيت السابق ، سكنت ياؤه للضرورة ، أي هو ثنان لما زيار في كبد السماء ، مصلوب معه في الجو ، وليس ثانيا لاثنتين في الغار ، يريد « أبا بكر » (٢) ، رضى الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنهما كانا في محل الكرامة والعزة .

وجه النقد : قالوا إن ذكر أبي بكر مع رسول الله في هذا المقام مما

(١) كان بابك الحرمي - نسبة إلى قرية خرمه واسمه الحسين ، وهو من أتباع مزدك الذي يوجب الشيوعية في المال والنساء - قد خرج مع أخيه عبد الله وامتنع على الدولة عشرين عاما من سنة ٢٠١ - ٢٢١ ثم وقع في الأسر فقطعت أطرافه ثم قتل في صفر سنة ٢٢٣ هـ وصلب ، أما ما زيار فهو ابن مازن بن بندار هرمس صاحب جبال طبرستان ، اتفق سرا مع الأفشين - حيدر بن كاوس أحد قواد المعتصم - على الخروج وإظهار بعض مذاهب الثنوية الذين يعتقدون بألهي الخير والشر - فقبض عليهما وصلب ما زيار مع بابك والتقت خشبتهما فصارا جارين ، أما الأفشين فحبس ومات في السجن في شعبات سنة ٢٢٣ ثم أخرج ميتاً وصلب ثم أحرقت جثته ، والأفشين لقب أمراء أشروسنة « الواقعة في أواسط آسية راجع ص ٢٧٤ - ٢٧٦ ج ٢ من مروج الذهب ، والمجلد الثاني من دائرة المعارف الإسلامية .

(٢) هو عبد الله عتيق بن أبي قحافة القرشي ، أول الرجال إسلاماً ، وأسبغهم تصديقاً وأكثرهم ملازمة للرسول صلى الله عليه وسلم ، ولي الخلافة بعده ، وحفظ الإسلام أن يضيع بوقفته الخالدة في حرب المرتدين ، وبعد - رضى الله عنه - من أخطب قریش وأعلمهم بالأنساب توفي سنة ١٣ هـ بعد أن عاش ٦٣ عاما ، أما أبوه أبو قحافة فاسمه عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن تيم بن مرة وفيه يجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد أسلم يوم الفتح - بعد أن جاء به ابنه إلى النبي ، وألم النبي لاحضاره وحسن إسلامه ، ومات أبو بكر في حياته ، ورد حقه في الميراث على ولد ابنه ، وعمر ٩٧ عاما .

يأباه الذوق السليم ، ولو أنه جاء على سبيل نفي المشابهة ، فما كان هناك توهم
مشابهة حتى تنفي ، هذا إلى فساد في النظم من جهة الإتيان بـ « ثان » في صورة
المرفوع ، إذ يوهم أنه فاعل « يكن » ، أي لم يوجد ثان لاثنين ، وهذا محال ،
لأن كل اثنين أحدهما ثان للآخر ، وهذا الوجه هو ما أورده صاحب
« الموازنة » على البيت ، وهو تحامل ، فلا أظن أن أحداً يتوهم هذا ، والواقع
أن « ثان » خبر « يكن » الناقصة ، و « لاثنين » متعلق به ، واسمها ضمير
يعود على « بابك » ، فالعيب : أنه أتى بالمنصوب في صورة المرفوع ، وقد
ورد ذلك في شعر كثير ، ومنه :

ولو أن واشٍ باليمين دارُهُ

ودارى بأعلى حضر مَمُوتٍ اهتدى ليا (١)

قالوا . إنه روى « كاثنين ثان » ، وفيه تقديم المضاف إليه على المضاف
إذ المراد « كثناني اثنين » ، والظاهر أن هذه ليست رواية ، وعلى كل حال
قد أجمعوا على عدم استحسان هذا البيت :
وقال أبو تمام يمدح « المعتصم » :

يدى لمن شاء رهنٌ لم يذق جرعاً من راحتك درى ما للصاب والعسل
يريد أن يقول : إن الصاب الحقيقي هو بطشك وسطوتك ، أما ما يسمونه
« صابا » ، فلا يستحق هذا الاسم لأن مرارته إذا قيست بمرارة بطشك لم
تسكن شيئاً ، وإن العسل الحقيقي هو نذاك وجودك ، لا ما يسميه الناس
« عسلا » لأن حلاوته لا تذكر مع نوالك ، وإذا فلا يعرف حقيقة « الصاب
والعسل » إلا من ذاق مرارة بطشك ، وحلاوة جودك ، ومن لم يذقهما فلا

(١) البيت لمجنون ليلى .

علم له بهما ، فإن كان شخص لم يذقهما عرف حقيقة الصاب والعسل ، فيدري
رهن لمن شاء إذا دلني عليه .

وجه النقد : أن هذا المعنى لا يفهم إلا بتقدير محذوف هو « إن كان
من » قبل « لم يذق » ، وهو حذف غير جائز ، ويوقع في الحيرة والارتباك
قال قائل : إن رواية الشيخ (١) : « من يذق » وعليها فلا تعقيد ، ولا
حذف ، وهو قول مردود لوجهين :

١ - أن رواية « الموازنة ، والوساطة (٢) » : « لم يذق » ، وما في نسخة
« أسرار البلاغة » ليس رواية ، بل تصحيح من بعض من لم يفهم البيت (٣) ؛
والأفما بال الشيخ يسوقه مثلاً للتعقيد إذا كان الأمر على ما زعم القائل ؟ !
٢ - أن « من » لا تلائم قوله : « يدى رهن » كما يشهد الذوق ، ثم
لأنه يريد حصر الصاب والعسل في بطشه وجوده ، و « من » لا تفيد ذلك .
شرح أبيات التمثيل : قال المتنبي .

فلو كان النساءُ كمن فقدنا لفَضَلتِ النساءُ على الرجال
فما التأنيثُ لاسم الشمس عيبٌ ولا التذكيرُ نحرٌ للمهال (٤)

(١) ص ١٢١ أسرار .

(٢) ص ٧٤ والألفاظ الناقصة هناك هي : « إن كان » ومن المؤكد أن لفظ
« من » سقط في طبعها .

(٣) بدليل أن رواية دلائل الإعجاز ص ٦٦ « لم يذق » .

(٤) رواية الديوان ص ١٨ ج ٣ : « وما التأنيث » ، وفي بعض الروايات
« كمثل هذى » ، ويشبه الأول قول علي بن الجهم :

إذا ما عد مثلك رجلاً فسا فضل الرجال على النساء
ومثل الثاني قول الشاعر :-

والشمس ليس بضائر تأنيثها وتزيد بالنور المنير على القمر

يقول : لو كان النساء مثلها في الكمال والفضل ، لسكن أفضل من الرجال وذلك أن الصفات الشريفة شريفة بنفسها ، موجبة لشرف من قامت به ، لا تدخل للذكورة والأنوثة في ذلك ، ورُبَّ أنثى يقصّر عنها الذكر ، ولا يبلغ مبلغها ، ومثّل لذلك بالشمس والقمر ، فإن الفضل لها ، لاله ، لأنها مع تأنيها أعم نوراً ، وأدوم ظهوراً ، وأكثر نفعا ، والهلال مع تذكيره كثير التقل ، يصيبه المحاق ، قيل : إن هذه حجة لم يسبق إليها المتنبئ ، وفي هذه القصيدة يقول :

رأيتك في الذين أرى ملوكاً كأنك مستقيمٌ في محالٍ

يشبهه بين الملوك بالمستقيم بين المعوجّات في الامتياز بالفضل والاعتبار وقد انتقد بعض الشعراء هذا البيت أمام سيف الدولة ، فقال : إن « المحال » لا يقابل « المستقيم » ، وإنما يقابله المعوج . فقال سيف الدولة : فما كنت تقول ؟ قال : كنت أقول :

كأنك مستقيمٌ في اعوجاج

قال : فما تفعل في البيت الذي يليه ؟ قال : كنت أقول : فإِنَّ البيضَ بعضُ دَمِ الدّجاجِ (١)

فقال سيف الدولة : هذه بديهة حسنة ، ولكن مثل هذا لا يمدح به الملوك ، إنما يباع في سوق الطير .

وقال النابغة الذبياني :

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنستأى عنك واسع

(١) الدجاج بفتح الدال وكسر ها .

أراد النابغة أن يصور سطوة « النعمان » ، وأنه لا يفوته هارب ، فشبهه بالليل الذي يعم الأرض ، ولا يخلو منه مكان ، وهو تمثيل بارع ، يصور مقصوده أتم تصوير ، والتشبيه بالليل واقع موقعه ، لا يقوم مقامه التشبيه بالنهار -- وإن كان مثله يعم السكون -- لأن المقام مقام خوف ورهبة ، وخط وغضب ، والليل يشعر بذلك دون النهار .

ولكى تزداد بصيرة ، تأمل قول العباس بن الأحنف (١)

نعمة كالشمس لما طلعت بثت الإشراق في كل بلد

فإنه يقصد ما يقصده النابغة من تعميم الأقطار ، والوصول إلى كل مكان لسكن لما كانت النعمة تسر وتونس مثل لها بالشمس لدلائها على ذلك ، ولو أنه شبهها بالليل ووصوله إلى كل مكان لكان قد أخطأ خطأ فاحشا .

وقد يقال : إن « الموت » أدل على الرهبة من الليل مع عمومته ، فهل يقوم مقام « الليل » ؟

والجواب : أنه لا يحسن مواجهة الممدوح بتشبيهه بالموت ، فإن ذلك مما تشتمن منه النفس ، وإنما حسن قولهم : « هو حياة لأولياه ، موت لأعدائه ، لا اقترانه بالحياة .

وأیضا : وقت الموت غير معلوم ، وقد يبطل ويتأخر ، فلا يدل على سرعة البطش ، ووشك الأخذ ، وهو مما قصد من التشبيه بالليل .

(١) هو أبو الفضل العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفى اليمامى ، أحد الشعراء الظرفاء الذين اشتهروا بالنوادر ، ولقد كان جميلا فأحب الجمال ، وقصر شعره على تصويره في محبوبته « فوز » فأبدع أيما إبداع ، ورق لفظه وسلسلت عباراته وراقت معانيه ، ولم يؤثر عنه غير الغزل توفي سنة ١٩٢ أو سنة ١٩٣ هـ .

وقال النابغة أيضاً :

فإنك شمسٌ ، والملوك كواكبٌ إذا طلعت لم يبدُ منهم كوكبٌ

يشبهه في أنه بَدَّ الملوك في القوة والسلطان حتى لا سلطان لهم مع سلطانه بالشمس في ظهورها على الكواكب بشدة ضوئها ، فلا يبدو شيء منها عند ظهورها ، كأنها لا وجود لها ، ووجه الشبه : الامتياز الظاهر في كلٍّ على غيره وقال البحتري :

ضحوكٌ إلى الأبطال ، وهو يروعهم ، والسيف حد حين يسطو ورونق يشبهه وهو يفزع الأبطال بسطوته ضاحك السن ، متهلل الوجه ، بالسيف حين يسطو ، له حد صارم فتاك ؛ وله مع ذلك رونق وماء (١) وبهاء وقال امرؤ القيس :

وقد اغتدى الطيرُ في وكناتها بمنسجَرٍ دقيئٍ الأوابد هيكل (٢) يشبهه فرسه في أنه لا يفلت منه صيد ، بالقيد الذي يمنع من الإفلات ، وهو أول من شبه الفرس بالقيد ، وتبعه الشعراء . وقال قطري بن الفجاءة :

لا يركنُ أحدٌ إلى الأحجام يوم الوغى متخوفاً لحام (٣)
فلقد أراني للرماح دريئةً من عن يميني مرةً وأمامي (٤)

(١) ماء السيف تلاءمه وصفاه . (٢) قال ابن قتيبة : كان الأوابد هيكل (٣) الوغى : بالتحريك وبسكون العين - الصوت والضجيج ، والمراد يوم الحرب لما فيها من أصوات ، والحمام - بكسر الحاء - قضاء الموت وقدره . (٤) الدريئة : الحلقة ، يتعلم الطعن والرمي عليها ، وكل ما استقر به عن الصيد ليلا يفلت .

حتى خضبتُ بما تحذر من دمي أكناف سرجي أو عنان لجأى (١)
ثم انشيتُ وقد أصبتُ ولم أصبُ جذع البصيرة ، قارح الإقدام
يقول : لا ينبغي لأحد أن يحجم عن منازلة الأعداء خوفاً من الحما ،
فإن لكل أجل كتاباً ، فهأنذا خضت المعارك ، ورأيتني في كثير منها هدفاً
للمراح من كل جانب ، يسيل دمي غزيراً ، يخضب سرجي ولجأى ، ثم
انصرفت حياً لم أقتل ، وقد قتلت خلقاً كثيراً . انصرفت من الحروب
ذا بصيرة وفكر لم يتضعضع ، ولم يختلط من الأهوال ، وإقدام قوى ،
في صبر واحتمال .

« التمثيل » في قوله : * جذع البصيرة قارح الإقدام *
فإن الجذع ، والقارح من أوصاف الحيوان ، فقد شبه بصيرته في قوتها ،
وعدم اختلاطها من أهوال الحرب بالجذع ، وهو الفتى الحديث السن ،
وشبه إقدامه بالقارح ، وهو الذي بلغ غاية قوته من ذى الحافر ، كالبالزل
من الابل . الذى يضرب به المثل في القوة ، كما قال (٢)
وابن اللبّون إذا مالز في قرنٍ لم يستطع صولة البرزّ القناعيس (٣)

(١) الأكناف جمع كنف - كشجر - : وهو الجانب والناحية كالسكنفة
— محرّكة — .

(٢) البيت لجريز

(٣) ابن اللبّون : ولد الثاقبة إذا استكمل العام لثاني أو إذا دخل في الثالث ،
وهي ابنة اللبّون ، ولز : لزا ولززا - : شد ، والقرن - بالتحريك - الحبل الذى يقرن به
البعيران ، والبالز : جمع بازل وبزول ، - للمذكر والمؤنث والجمع كركع وكتب وقواعد ،
ولعل التسكين هنا للضرورة ، وفعله من باب قعد - وهو من طلع ثابه ، ولا يكون ذلك
إلا إذا دخل في التاسعة من عمره ، والقناعيس : جمع قنعاس - كمفتاح - : للعظيم من
الابل ، والشديد المنيع من الرجال .

وذل على كلا التشبيهين بإثبات لازم المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة
بالكنائية

قيل : كان من حق « قطري » أن يعكس فيصف البصيرة بالقروح ،
والإقدام بأنه جذع ، لأن الشاب أكثر إقداما ، والكبير السن أكثر
تجربة ، وأقوى بصيرة ؟

ثم أخذوا يجيبون ، فن قائل : إن في الكلام قلبا . ومن قائل : إن معنى
« لم أصب » : لم ألنف ولم أوجد ، جذع البصيرة ، قارح الإقدام ، بل
وجدت بالعكس .

وعندى : أن الاعتراض لا أصل له ، لأنه لم يرد بتشبيه بصيرته بالجذع
التجربة والحنكة ، بل عدم الاختلاط والتزلزل من الهول ، وبقاءها سليمة
والجذع أدل على ذلك ، ولم يرد من التشبيه بالقارح الاندفاع والتهور ، بل
الصبر والاحتمال ، والخبرة بشؤون القتال ، والقارح أدل عليه .

وأما تفسير « لم أصب » بلم ألنف ، ولم أوجد ، فهو مخالف لصريح
الآيات ، على ما نشر هنا .

عودُ الى عمل « التمثيل » في الجمع بين المختلفات ، المؤيد لحاجته الى الفكر

قدم الشيخ أنواعاً مختلفة من طرائف التمثيل في هذا الأمر كانت كافية
يما قصد إليه ، ولكنه عاد هنا يذكر أمثلة أخرى ، أخذ التشبه فيها للشيء
بما يخالفه :

١ - أن يكون المشبه به شخصا مملأ المكان ، والمشبه معنى لا يتعدى
الافهام ، وهذا هو تشبيه المعقول بالمحسوس ، وقد سبقت أمثله .

٢ - أن يكون المشبه به إنسانا يعقل ، والمشبه جماد أو موات ، مثله

وله تعالى «فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا: أتينا طائعين»
فقد شبهت السموات والأرض . في انقيادهما لأمر الله ، ونفاذ إرادته فيهما
بأمور مطيع ، مع أمر مطاع . ووجه التشبيه : تحصيل المراد من غير توقف
ولا اعتراض ، ثم استعيرت ألفاظ المشبهة به للتشبيه على سبيل الاستعارة
التمثيلية .

ومن هذا ما سبق من أمثلة إنطاق الأخرس ، وإثبات الحياة للجهاذ، ومن
الأمثلة قول المتنبي :

وزائرني كأن بها حياةً فليس تزور إلا في الظلام
وقول الآخر في وصف روض :

نزلنا دوحه فحنا علينا حنو المر ضعات على الفطيم (١)

(١) هذا واحد من خمسة أبيات مشهورة في كتب الأدب ، اختلف الناس في
قائلها . فالمشاركة ينسبونها لأبي نصر أحمد بن يوسف المنازى الكاتب الشاعر ، ووزير
أحمد بن مروان الكردى صاحب ميأرفاقين وديار بكر ، ذكر ابن خلكان : أنه مر
بوادى « بزعا » - بضم الباء - وهى قرية من حاب ، فاعجبه ما فيه من عيون ومساقط
مياه ومناظر خلابة - راجع ص ١٦٢ ج ٢ معجم البلدان - فقال هذه الأبيات ، وقد
توفى المنازى سنة ٤٣٧ هـ ، سنة ١٠٤٥ م وذهب المغاربة إلى أنها لحدوة أو حمدونة
بنت زياد بن تقي العوفى ، إحدى الأديبات الشاعرات المتعففات مع وفرة المال والجمال
والاختلاط بالرجال ، كان أبوها مؤدباً فعلقت الأدب ونبتت في الشعر حتى اشتهرت بخصاء
المغرب ، وقد غالى أبو جعفر الغرناطى المعروف بالرعىنى فزعم أنها كانت تروى لحدونة
قبل أن يخلق المنازى !! ونقل ياقوت والمقرئ ما زعم فيما نقله نغدع به بعض الناس ،
كمؤلف شاعرات العرب ، وكالأستاذ عبد الرزاق حميدة المدرس بدار العلوم في كتابه
« في الأدب المقارن ص ٢ ، ٢١ » إذ رجح أنها لحدونة لأمر منها كلام الرعىنى ،
وأن شخصية المرأة فيها أقوى من شخصية الرجل ، فزاراً لذكر الرضاع والحنو إلخ ،
والصحيح أن الأبيات للمنازى ، لأن ابن خلكان رواها له دون ترديد ، أما بقية الكتب
فمنسبتها أولاً إلى المنازى ، ثم قالت : وتنسب لحدونة ، ولأن طباع المرأة وحنانها تذكر =

ومن عكس ذلك ، وهو تشبيه العاقل بما لا يعقل قول الحطيئة (١)
في بخيل :

كدحت بأظفاري وأعملت معوولي فصادفت جملود آمن الصخر أملسا (٢)
فانه يشبه حاله ، وقد بذل كل حيلة ليحصل على شيء من هذا البخيل فلم
يؤ إلا بالخبية ، بحال رجل أعمل معوله وأظفاره باحثا عن الماء فصادف
حجر آ أملس ، لا يعمل فيه معول ، ولا يرجي منه ماء ؛ ووجه التشبه :
خبية الرجاء بعد مكابدة العناء :

٣ - أن يكون المشبه به : الشمس ، والمشيبة : معنى كلام ، مثل حجة
كالشمس .

== دائما في الشعر الوصفي كما في قطعة ابن الرومي التي أولها .

وقيات كأنها أموات عاطفات على بنيتها حواني

والذي يكذب كلام الرعبي أن حمدونة توفيت سنة ٦٠٠ هـ ، سنة ١٢٠٤ م أي
إنها متأخرة عن المنازى في الوفاة ؛ ١٦٣ عاما ، وهذا أمر لم يفتن إليه أحد من الباحثين
في هذا ، ولقد ترجم المقرئ - بعد ترجمته لحمدونة - لعائشة بنت أحمد القرطبية المتوفاة
سنة ٤٤٠ هـ ، وذكر أنها دخلت على المخضر بن المنصور بن أبي عامر ، ولهذا سبق نظر
بعض الاساتذة إلى هذا الكلام فظنوه في شأن حمدونة ، واعتقد أنها توفيت سنة ٤٠٠ هـ ،
وسبحان من تغرد بالكمال ، راجع تفاصيل ما تقدم وترجمي المنازى وحمدونة في : معجم
الادباء ص ٢٧٤ ج ١٠ ، ووقيات الاعيان ص ٣١٢ ج ١ « دار المأمون » ،
والاعلام ص ٨٦ ، ١٧١ ج ١ ، والوا في الوفيات قسم ٤ ج ٢ ، ونفع الطيب ص ٤٩١
، ٤٩٢ ج ٢ « الطبعة الأولى » ، وشاعرات العرب ص ٢١٤ ، وغيرها .

(١) هو الشاعر المخضرم الحبيث اللسان ، أبو هليكة جرون بن أوس بن ثابت بن
مالك العبسي ، أسلم ولم يدخل الايمان شغاف قلبه ، فلم يقوم عوج لسانه ، وظل
يهجو حياته حتى أدخله عمر السجن ثم أطلقه بعد رجاء ، ويعد شعره في الطبقة الاولى من
الجودة ، توفي سنة ٣٠ هـ ، سنة ٦٥٠ م .

(٢) كدح : كد وسعى وعمل لنفسه ، والمعول - كمنبر - : الحديد التي ينقر
بها الجبل ونحوه والجلود - بضم الجيم - : الصخر ، كالجلد - بوزن جعفر - .

٤ — أن يكون المشبه به : روحاً ، يحيا به الجسد ، والمشبه : مكرمة
تؤثر وتحمد ، كما قال عمر بن لُجأ التيمي (١) ، في مدح آل المهلب بن أبي
صفرة (٢) :

آلُ المهلبِ قومٌ خولوا شرفاً ما حازه عربىٌّ ، لا ، ولا كادا
لوقيل للمجد : حدٌ عنهم وخائهم بما احتسكت من الدنيا ، لما حدا
إن المسكارم أرواح يكون لها آل المهلب دون الناس أجسادا
شبهه المسكارم تحل في آل المهلب ، بالأرواح تحل في الأجساد ، ووجه
الشبه : حلول كلٍّ فيما لا غنى له عنه ، ولا قيام له إلا به ، وهو تشبيه مبنى
على التركيب - وإن كان ظاهره التفريق - فإنه لا معنى لتشبيه آل المهلب
بالأجساد استقلالاً .

ونظير هذا في وجوب اعتبار التركيب قول المتنبي :

كأن الهام في الهيجا عيونٌ وقد طبععت سيوفك من رُقَاد
شبهه السيوف في حلولها بالهام ، بالرقاد في حلوله بالعيون ، ووجه
الشبه : حلول كلٍّ فيما لا يحل إلا فيه .

(١) هو عمر بن لجأ - محرقة - بن جدير بن معاذ بن ربيعة ، وينتهي نسبه إلى
تيم بن عبد مناة وتفصيل نسبه في جهره الأنساب ص ١٨٧ ، ص ١٨٩ ، وفي القاموس
أنه عمر بن الاشعث بن لجأ ، وقال : ووهم الجوهري ، والواهم في الواقع صاحب القاموس
فأن جميع كتب الادب والانساب ذكرت أن لجأ أبوه ، كما أجمعت على أن اسمه « عمر »
إلا الشعر والشعراء ص ١٦١ فقيه أنه « عمرو » ولعله تحريف - ، وعلى أنه تيمى ،
إلا الشيخ أحمد المراغي نفسه إلى تيم « ص ١٧٢ هامش » ، وهو سهو قطعاً ، وعمره
شاعر أموى كان بينه وبين جرير مهاجرة عنيفة .

(٢) هو ظالم بن سراق الازرى أحد الفرسان الاجواد ، والابطال القواد ،
وهو الذى قهر الخوارج وقضى على ثورتهم ضد الامويين ، توفي سنة ٨٣ هـ ،
سنة ٧٠٢ م .

هـ - أن يكون المشبه : رجلاً يروم العدو تصغيره ، فيأبى فضله إلا ظهوراً ، وقدره إلا سمواً ، والمشبه به : نار تصوب وهي تعلو ، وتخفص وهي ترتفع ، كقول ابن الرومي :

ثم حاولت بالمشقيل تصغيه رى ، فما زدني سوى التعظيم
كالذي طأطأ الشهاب ليخفي وهو أدنى له إلى التضريم

كان المخاطب بهذا الكلام قد أغرى بابن الرومي شاعراً هجاء ، خبيث اللسان ، يسمى : « مثقالاً » (١) ليهجوه ، فلم ينل ذلك من ابن الرومي ، ولا غض من شأنه ، فيقول لمخاطبه إنك في محاولتك هذه شبيه بمن ينكس الشعلة ليخفي ضوءها ، ووجه الشبه : أن كلا يحاول إخفاء شيء مظهر بطريقة تؤدي إلى عكس مراده .

متى يكون الجمع بين المختلفات مقبولا؟

لا ينبغي أن يظن ظان أن كل جمع بين المختلفات يكون مقبولا بلا شرط ولا قيد ، فإنه إنما يكون مقبولا ، مؤثراً في النفس بشرط أن يصيب المشبه - أي الآتي بالتشبيه بين المختلفين - شبهاً صحيحاً ، وملاءمة معقولة ، واثلاً حسناً . أما الاعتساف ، وتصوير الشبه حيث لا يمكن أن يتصور فليس بمقبول ، ولا مستحسن ، لأن ذلك يكون بمنزلة أن يضع الصانع

(١) هو مثقال الواسطي ، واسمه محمد بن يعقوب ، وكنيته أبو جعفر ، كان يقيم في بغداد ، وكان شعره قليلاً ، وكله هجاء وغش ، وقد هاجى ابن الرومي ، وابن الجبازة الضرير ، وهو غير المثقال عبد الوهاب بن محمد الأزدي الهجاء الماجن ، وترجمة الواسطي في معجم الشعراء ص ٤٤٧ ، والأزدي في فوات الوفيات ص ٢٤ قم ثاني ، والأعلام ص ٦١١ .

شكلا بين شكلين لا يلائمانه ، فنخرج الصورة مضطربة ، تنبو عنها العين ،
ويمجها الذوق السليم .

ليس معنى التشبيه : أن تضع حرف التشبيه بين أمرين ، أو تستعير
أحدهما للآخر من غير ملاممة ، ولا اتفاق !!

إنما حقيقة التشبيه : أن ترى شيئين شبيها ، فتبين هذا الشبه الموجود ،
فإذا تظاهر؟ وما الذي تبين؟

وليس معنى الحذف في إيجاد الائتلاف بين المختلفات ، وطرافة الجمع
بين المتنافرات . أنك تختزع مشابها لا وجود لها ، بل معنى ذلك . أن هناك
مشابهات موجودة ، لكنها كانت خفية ، يدق المسلك إليها ، فإذا تغلغل
فكرك إليها فأدركها ، دل ذلك على حذفك ، وصفاء ذهنك .

إن التمثيلات الكثيرة التي ذكرت فيما مضى ، لم يكن لطفها وحسنها ،
لأن قائلها قد اخترع بينها شبيها لم يكن موجوداً ، بل لأن الشبه كان موجوداً
ثابتاً ، ولكنه كان خفياً لا يتجلى إلا بتأمل ، فأدركه المشبه وجلاه .

وهاك مثالا جديداً من التشبيه غير التمثيلي ، قول ابن المعتز :

وكان البرق مصحف قارٍ فانطباقاً مرةً وانفتاحاً (١)

وجه الحذف فيه : أنه نظر إلى البرق فوجد له أوصافاً كثيرة ، من اللمع
والإشراق ، وسرعة الزوال ، فلم يعن بذلك وأشباهه ، وإنما عني بالهيئة التي
تراها العين من انبساط يعقبه انقباض ، وتوالي ذلك وتتابعه ، أعنى أنه
عنى بهيئة الحركة مجردة عن غيرها من الشكل واللون ، وأراد أن يجد لهذه
الهيئة نظيراً يشبهها به ، فأخذ يفكر فيما عرض له من هيئات الحركة وما

(٢) قار : اسم فاعل من قرأ ، مخفف قرأ .

شاهده منها ، فاهتدى إلى ما يفعله القارىء إذا جعل يفتح المصحف ويطبقه مرة بعد أخرى . فليس الإعجاب بهذا التشبيه لأن الشبيئين مختلفان فى الجنس فقط ، بل لأنه حصل مع شدة الاختلاف شدة ائتلاف .

حكاية عدى بن الرقاع (١) مع جرير : روى الأصمعى (٢) عن أبى عمرو بن العلاء (٣) ، أن جريرا قال له : أنشدنى (٤) عدى بن الرقاع قصيدته :

عرف الديار توهماً فاعتادها من بعد ما شمل البلى أبلادها (٥)
فقلت فى نفسى : ركب والله مركبا صعبا سيبدع فيه ، فما زال يتخلص من حسن إلى حسن حتى قال :

(١) هو عدى بن زيد بن مالك بن عدى بن الرقاع بن عصر بن شغل بن معاوية ابن عاملة قال ابن حزم : وهى امرأة من قضاة نسب اليها معاوية والزهد - بالتحريك - ابنا الحارث بن عدى المنتهى نسبه إلى كهلان بن سبأ : وقال فى موضع آخر : « ويقال إنه من معاوية بن قاسط بن هنب - كرم - المنتهى نسبه إلى ربيعة بن نزار » ، وسائر الكتاتين على الاول ، وقال ابن قتيبة : « إن عاملة حى من قضاة » ولا تنافى بين الكلّامين ، راجع ترجمته وهذه القصة فى المؤتلف ص ١١٦ ، معجم الشعراء ص ٢٥٣ والاغانى ص ٣٠٧ ج ٨ « طبع الدار » . والكامل مع رغبة الآمل ص ٤٨ ج ٧ . وجمهرة الانساب ص ٢٨٣ ، ٣٩٤ ، والشعر والشعراء ص ١٤٥ « الطبعة الاولى » (٢) عبد الملك بن قريب القيسى الراوية والاديب المشهور توفى سنة ٢١٤ أو ٢١٦ هـ .

(٣) اسمه زيان بن العلاء بن عمار بن عبد الله بن الحصين التميمى المازنى . أستاذ النحاة والادباء . توفى سنة ١٥٤ أو ١٥٩ .

(٤) هكذا فى أسرار البلاغة ص ١٣٢ ، وهو خطأ ، لأن عديا كان يئشد القصيدة أمام الوليد بن عبد الملك كما نص على ذلك المبرد وغيره . (٥) أبلادها : آثارها . مفردا : بلد - بالتحريك -

* تزجي أغنَّ كأنَّ إبرةَ روقه (١) *

فرحمته ، وقلت في نفسي : قد وقع ، ما عساه يقول وهو أعرابي جلف
جاف ؟ فلها قال :

* قلم أصاب من الدَّواة مدادها *
حسنه . اهـ .

ما كانت رحمة جرير لعدى ، وإشفاقه عليه إلاَّ لأنه أتى بمشبهه لا يحضر
له شبيه في أول الفسرك ، فلها أتم التشبيه على أحسن وجه ، ووجده قد ظفر
بمشبه به لم يكن يخطر على بال جرير أنه يهتدى إليه ، لأنه جلف - كما يقول -
كان الحسد والغيرة ، إذ كان مع شدة مباينته للشبه في الجنس متفقاً معه
أحسن اتفاق في الوصف ، فكلاهما أسود ، دقيق الطرف ، على شكل معين
وَأَيْنَ قَرْنِ الظَّبْيِ مِنَ الْقَلَمِ !! ؟
أبيات الخليل (٢) :

كفأك لم تُخلِّقاً للنَّدى ولم يكُ بخلُّهُما بدعة
فكفُ عن الخير مقبوضة كما نقصت مائة سمعة
وكف ثلاثة آلافها وتسمع مئيتها لها منعة
يريد كفك البني مقبوضة عن الخير ، كأنها قبضت لتدل على (٩٣) ،

(١) أزجي وزجا ، وزجي : ساق ودفع ، وظبي أغن : يخرج صوته من خياشمه
والروق : القرن ، وإبرته : طرفه .

(٢) هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي
إمام النحاة وأستاذ سيبويه ومخترع العروض توفي سنة ١٦٩ أو ١٧٠ أو ١٧٥ هـ
(والاوسط أشهر) و٧٨٦ م وقد رويت الأبيات في اللسان مع بعض خلاف في الالفاظ

بأن تقبض الخنصر والبصر والوسطى والسبابة ، وتضع الإبهام على ظهر السبابة ، وكفك اليسرى مقبوضة كذلك ، كأنها قبضت لتدل على (٣٩٠٠) وذلك بأن تقبض الخنصر والبصر والوسطى والسبابة ، وتحلق عليها بالإبهام ، وهذا اصطلاح قد هجر ولا معنى لتحقيقه الآن (١) . ووجه الشبه . لازم هذا القبض ، وهو عدم القدرة على الإعطاء ، ولذلك كان هذا التشبيه « تمثيلاً » .

ووجه الإبداع : أنه أراك شكلاً واحداً في اليدين المشبه بهما مع اختلاف العددين ، فلما وجد الاتفاق كأحسن ما يكون في الشكل مع الاختلاف كما بلغ ما يكون في العدد كان بديعاً ، ولكل رأيه .

قال الشيخ : « وما ينظر إلى هذا الفصل ويدخله : الجنس الذي ... الخ » (٢) أراد بهذا الفصل : الجمع بين الأمرين المختلفين ، لما بينهما معه شبه صحيح ، وملاءمة معقولة ، وأراد بالجنس الناظر : تصوير الفعل بصورة ضده ، والتعبير عنه باسم ذلك الضد ، لأن الفعل الأول كان سبباً لضده ، أي أنه ترتب عليه ما يترتب على ضده ، فاشتركا في الأثر ، فصح استعارة ضده له ، مثال ذلك :

١ - أن يشى بك واش ، فتكون وشايته سبباً في نيلك خيراً لم تسكن توقعه ، فتصور إساءته بصورة الإحسان ، لأنه قد ترتب عليها ما يترتب عليه وتعبير عن هذه الإساءة بالإحسان ، فتقول : أحسن فلان إلى بوشايته .

(١) شرحه المرحوم الشيخ رشيد رضا بهامش ص ١٣٣ من أسرار البلاغة . ونقل عباراته نفسها الشيخ أحمد المراغي بهامش ص ١٧٨ من طبعته .

(٢) ص ١٣٤ من أسرار البلاغة

٢ — أن تطلب من رجل معونة ، فلا يعطيك شيئاً ، ويحثك على العمل
فتضطر إلى أن تعمل فتستغنى ، فتقول مصوراً بخله بالجلود ، — لأنه ترتب عليه
غناك . : جاد على حين منعي .
٣ — أن ينيل والد ولده كل رغباته ، فيكون ذلك سبباً في خيبتته ،
فيصور الولد إحسان والده إليه بصورة الإساءة ، لأنه قد ترتب عليه ما يترتب
عليها ، ويعبر عنه باسمها ، فيقول : أساء إلى من حيث قصد الإحسان ،
ويحضرني مثال جيد في هذا المعنى هو قول أبي تمام :

قد ينعم الله بالبلوى ، وإن عظمت ، ويبتلى الله بعض القوم بالنعم
يشبهه الابتلاء بالبلوى التي — تكون سبباً في فوائد كثيرة لمن ابتلى بها —
بالإنعام ، بجامع أن كلا يترتب عليه أمر محمود ، ثم يستعار الإنعام للابتلاء
ثم يشتق منه . ينعم ، بمعنى : يبتلى ببلاء فيه خير ونفع .
ويشبهه الأنعام بالنعم — التي تكون سبباً في أمور مكروهة — بالابتلاء ،
بجامع أن كلا له أثر غير محمود ، ثم يستعار الابتلاء للإنعام ، ويشق منه :
يبتلى ، بمعنى : ينعم بنعم يترتب عليها أمور مكروهة .
ففي كلا الاستعارتين تصوير المعنى بصورة ضده .

تنبيه : معنى قول الشيخ : « إذا لم يقنع بالتشاغل بالعبارة الظاهرة ،
والطريقة المألوفة » : أن الكلام إنما يكون من قبيل التمثيل والاستعارة إذا
سلك المتكلم الطريقة التي شرحناها فيما سبق . أما إذا لم يفعل ذلك ، وأدى
المعنى بعبارة تفيد بظاهرها ، من غير تصوير شيء بشيء ، كأن يقول :
وشى بي فلان ، فكانت وشايتي سبباً في نفعي ، وبخل على فلان ، فكان بخله
سبباً في غناي ، وأحسن إليّ والدي ، فكان إحسانه سبباً في فسادي ، وقد

يبتلى الله قوماً ببلاء ، فيكون فيه نفع لهم ، وقد ينعم عليهم بنعم فيكون فيها فسادهم . نقول : إذا سلك المتكلم هذه الطريقة ، لم يكن في الكلام تمثيل ولا استعارة ، وهو ظاهر جداً . ومعنى قوله : « ينظر إلى هذا الفصل ويدخله » : أنه من جنسه ، ومرتبطة به .

هذا وقد مثل الشيخ لتصوير الإساءة بصورة الإحسان ، بقول أبي العتاهية (١) :

جُزِيَ البَخِيلُ عَلَى صَالِحَةٍ عَنِّي لِحَفَّتِهِ عَلَى ظَهْرِي
أَعْلَى وَأَكْرَمَ عَنِ يَدِي يَدِي فَعَلْتُ وَنَزَّهَ قَدْرُهُ قَدْرِي
وَرُزِقْتُ مِنْ جَدَوَاهُ عَافِيَةً أَلَا يَضِيقُ بِشُكْرِهِ صَدْرِي
وَعَنِيَتْ خُلُوعاً مِنْ تَفَضُّلِهِ أَحْنُو عَلَيْهِ بِأَحْسَنِ الْعَذْرِ
مَا فَاتَنِي خَيْرَ أَمْرٍ وَضَعْتُ عَنِّي يَدَاهُ مِثْلَ ثَوْنَةِ الشُّكْرِ

وليس فيها تعبير عن فعل مذموم بضده ، وكل ما يمكن أن يقال : إنه صور البخيل عليه بصورة المحسن إليه ، وشبهه به ، ودل على ذلك بالدعاء له ، لأنه لم يشغل ظهره بالإحسان إليه ، ولأنه أبقى يد الشاعر أرفع من يده ، وقدره أعلى من قدره ، وإن حرمة من جدواه ، فقد عاقاه من أن يضيق بشكره صدره .. الخ

ومثل لذلك أيضاً بقول ابن الرومي :

(١) هو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان الغنزي ولواء شاعر عباسي مشهور بغزاة الشعر وسهولته ، ولد سنة ١٣٠ هـ ، ٧٤٨ م ، ونشأ خليعاً ماجناً ، ثم درس كتب الفلاسفة والحكماء فترهد وترك الشعر مدة ثم عاد إليه بعد أن سجنه الخليفة المهدي ، وأكثر شعره ضاع ، توفي سنة ٢١١ هـ ، ٨٢٦ م

أَعْتَقَنِي سَوْءُ مَا صَنَعْتَ مِنَ الرَّقِّ فَيَا بَرِّدْهَا عَلَى كَبْدِي
فَصُرْتُ عَبْدًا لِلْسَّوِّءِ فِيكَ ، وَمَا أَحْسَنَ سَوْءُ قَبْلِي إِلَى أَحَدٍ
الرَّقُّ : كَوْنُ الْإِنْسَانِ مَمْلُوكًا لِغَيْرِهِ ، وَهُوَ حَالَةٌ تَوْجِبُ عَلَيْهِ طَاعَتَهُ
وَعِدْمَتَهُ ، وَلَمَّا كَانَ الْحَسَنُ يَجْعَلُ مِنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ فِي حَالَةٍ تَوْجِبُ شُكْرَهُ ،
وَعِرْفَانُ يَدِهِ ، شَبَّهَتْ هَذِهِ الْحَالَةَ بِالرَّقِّ ، فِي إِيجَابِ التَّعْظِيمِ ، وَاسْتَعْيِيرِهَا لِسَمِ
الرَّقِّ ، وَلِذَلِكَ يَقُولُونَ : فَلَانٌ يَسْتَرَقُّ الْأَحْرَارَ بِجُودِهِ ، وَيَسْتَعْبِدُهُمْ بِإِحْسَانِهِ
وَلَمَّا سَاءَ صَنَعَ الْمُخَاطَبُ مَعَ الشَّاعِرِ أَسْقَطَ عَنْهُ هَذَا الْحَقَّ ، فَكَانَ ذَلِكَ بِمَثَابَةِ
إِعْتَاقِهِ مِنَ الرَّقِّ ، وَهِيَ اسْتِعَارَةٌ أُخْرَى ، أَوْ تَرْشِيحٌ لَاسْتِعَارَةِ الرَّقِّ .
وَلَيْسَ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ أَيْضًا تَعْبِيرٌ عَنْ فِعْلٍ بِضَدِّهِ ، وَلَسَكُنَ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ
إِنَّهُ صَوَّرَ السَّيِّئَ الصَّنْعِ ، بِصُورَةِ الْحَسَنِ الصَّنْعِ ، وَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ بَأَنَّهُ أَعْتَقَهُ
مِنَ الرَّقِّ ، وَبِقَوْلِهِ :

* فَيَا بَرِّدْهَا عَلَى كَبْدِي *

فَهُوَ نِدَاءٌ تَعْجَبُ ، أَيْ مَا أَبْرَدَهَا عَلَى كَبْدِي . وَهَذِهِ الْآيَاتُ غَيْرُ ظَاهِرَةٍ
فِيمَا جِئَ بِهَا مِثْلًا لَهُ ، وَلَعَلَّ أَوْضَحَ مِنْهَا قَوْلُ الشَّاعِرِ :
أَعْدَدْتُ يَدَاهُ يَدَيَّ ، وَشَرَّدَ جُودَهُ بَخْلِي ، فَأَفْقَرَنِي بِمَا أَغْنَانِي
فَقَدْ صَوَّرَ «الْإِغْنَاءَ» بِصُورَةِ «الْإِفْقَارِ» وَاسْتِعَارَ لَهُ اسْمَهُ ، لِاشْتِرَاكِهِمَا
فِي الْأَثَرِ ، وَلَا تَنْسَ مَا مِثَّلْنَا بِهِ فِيمَا مَضَى .

ملاحظة : قَدْ يُقَالُ : إِنْ الْأَمثلةُ الَّتِي ذَكَرْتُمَا مَا عَدَا بَيْتَ أَبِي تَمَامَ ، يُمْكِنُ
أَنْ تَسْكُونَ مِنْ قَبِيلِ الْحِجَازِ الْمُرْسَلِ ، مِنْ إِطْلَاقِ اسْمِ الْمُسَبَّبِ عَلَى السَّبَبِ .
والجواب : أَنَّ ذَلِكَ جَائِزٌ ، وَلَسَكُنَ اعْتِبَارُ التَّمْيِيلِ أَوَّلَى ، وَهُوَ مَا يَقْصُدُ إِلَيْهِ
الشَّيْخُ ، وَقَدْ اسْتَنْثَيْتُ بَيْتَ أَبِي تَمَامَ ، لِأَنَّ التَّمْيِيلَ فِيهِ أَشَدُّ ظُهُورًا : وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

ملاحظة : يظهر بالتأمل أن الشيخ قد جعل التمثيل كله نوعاً من التشبيه ممتازاً ، وفناً بديعاً ، بدليل ما أسبغ عليه من الصفات الرائعة عندما بين تأثيره ، ثم بين أسباب تأثيره وغرابته ، على ما شرحنا .

أما التشبيه غير التمثيلي ، فنه الغريب النادر ، ومنه القريب المبتذل ، وسيبين ذلك في الفصل التالي مع بيان سبب كل من القرب والبعد .

فأسباب تأثير التمثيل ، بمنزلة أسباب غرابة التشبيه غير التمثيلي ، بل كلٌّ من

السبب الثاني والسبب الثالث من أسباب تأثير التمثيل ، هما من أسباب غرابة التشبيه غير التمثيلي أيضاً ، كما أشرنا إلى ذلك فيما مضى ، وكما سيظهر فيما يأتي .

فالفصل التالي خاص بغير التمثيل ، وما كتب في عنوانه من أنه يجمع

التشبيه والتمثيل جميعاً (١) ، غير مطابق للواقع ، فإن جميع أمثله وأمثلة الفصل

الذي يتصل به ليس فيها شيء من التمثيل ، وأرجح أن العنوان من زيادة

الطابع ، على أننا لو جعلناه شاملاً للتمثيل ، لكان هناك تكرار يوقع في

الحيرة ، فإن بعض أسباب التأثير هو بعينه سبب الغرابة .

ولو قال قائل : ما الفرق بين أسباب التأثير وأسباب الغرابة في التمثيل ؟

لما وجدنا لذلك جواباً شافياً إلا ما ذكرنا .

تنبيه : قد يخرج التمثيل عن سنن الصواب ، ويعدل به عن الجادة ،

فيكون مذموماً غير محمود ، ويكثر ذلك في هزليات أبي نواس كقوله :

بُحَّ صوتُ المسالِ ممَّا مِنْكَ يَشْكُو ويصيح

فإنك إذا وازنته بقول مسلم بن الوليد (٢) :

فإنك إذا وازنته بقول مسلم بن الوليد (٢) :

(١) ص ١٣٥ من أسرار البلاغة .

(٢) هو صريع الغواني ، مسلم بن الوليد الأنصاري ، نشأ في الكوفة ، وترنم

بالشعر في صغره حتى أجاد العزف على قيثارة فأتصل بالأمراء والخلفاء ، حتى طار ذكره .

تَظَلَّمُ الْمَالُ وَالْأَعْدَاءُ مِنْ يَدِهِ لِأَزَالِ لِلْمَالِ وَالْأَعْدَاءِ خِلَافًا

وجدت الأول قبيحا مستكرها ، والثاني حسنا مقبولا ، مع أن الغرض في كليهما واحد ، وهو الدلالة على أنه يُعْمَلُ في ماله يد الجود حتى يفرقه في العاقين ، وتصوير المال بصورة الشياكي المتظلم ، لكن الأول جعل للمال صوتاً وصياحاً ، حتى أنه يج من كثرة صراخه وذلك خروج عن الحد المقبول للاستعارة .

أما الثاني فلم يزد على أن المال يتظلم منه ، ثم ضم إلى المال الأعداء في التظلم فسهل الأمر ، وقربت الاستعارة ، ولو اقتصر الأول على الشكوى لما عيب ، كما قال أبو العتاهية :

إِنَّ الْمَطَايَا تَشْتَكِيكَ لِأَنَّهَا قَطَعْتَ إِلَيْكَ سَبَابَ وَمَالاً (١)
ومن ذلك قول أبي نواس :

مَالِ رَجُلٍ الْمَسَالُ أَضْحَكْتَ تَشْتَكِي مِنْكَ الْكَلَالُ
وقول الشاعر (٢) :

عَرَفْنَاكَ أَمَا كَعَبْ عَرَضُكَ فِي الْعَمَلِ
فَعَالٍ ، وَأَمَا خَذُ مَالِكَ أَسْفَلُ
يريد أن يقول : إن عرضه مصون ، وماله مبذول فجعل للعرض كعباً

واشتهر أمره ، فحصل على كثير من العطاء ، ولكنه كان متلاقاً ، وبعد مسلم من قادة الشعر وزعماء المدرسة البديعية - التي أفسدته بعد - في عصره ، وشعره رقيق إلى حد بعيد ، وتوفي سنة ٢٠٧ هـ .

(١) السبب : المغازة ، أو الأرض المستوية البعيدة .
(٢) هو أبو تمام كما في ديوانه من ٢٤٤ هـ .

واللبال خدأ ، وهذه كلها استعارات بالسكناية ، ووجه التشبه فيها عقلي ، ومثلنا
بها اقتداءً بالشيخ في تشيله ، كما بينا .

وقول الآخر :

ولولا علاه عشتُ دهرى كَلَّه
وكيسُ كَلَامِي لا يُحِلُّ لَهُ عَقْدُ

وقول أبي تمام :

رقيقُ حواشي الحلم لو أنَّ حِلْمَهُ
بكفَّيَّكَ ما مارَيْتَ في أنه بُرْدُ

قالوا : هذا الذي أضحك الناس منذ سمعوه إلى هذا الوقت ، فإن المعروف

أن الحلم يوصف بالعظم والرجحان والثقل ولحم في ذلك شعر كثير ، ومنه

قول الفرزدق :

أحلامنا تنز الجبال رزانه وتخالنا جنًا إذا ما نجهلُ

فوصف الممدوح بالركة : خارج عن العرف ، وقوله : لو أن حلمه بكفيك

كلام في غاية السخافة ، ثم إن « البرد » لا يوصف بالركة ، وإنما يوصف بالمتانة ،

وأبو تمام لا يجهل هذا ، ولكنه أراد أن يتدع وقوع في الخطأ .

وقد يأتي في التشبيه الحسى أيضا الردىء السخيف ، فن ذلك : أن مريضا

سأل طبيبه عن مقدار ما يأخذه من الدواء ، فقال له : خذ مثل بكرة ، فأنى

بلفظة قدرة ، لم يتبين بها المراد ، فإن البعر يتفاوت بين بكرة الظبي ، وبكرة

الشاة ، وبكرة الجمل :

ومنه قول الشاعر (١) :

(١) هو كثير عزة .

ألا إنما لينلى عصا خيزرانة إذا غمزوها بالأكفّ تَلين
وقد جاءت السكرانة من لفظ «العصا» ، حكى (١) أن بشاراً حين سمع
هذا ، قال : قاتل الله أبا صخر ، زعم أنها «عصا» ثم اعتذر بأن جعلها
«عصا خيزرانة» ولو أنه جعلها عصا زبد ، أو عصا منخ لكان قبيحا (٢) ،
ألا قال كما قلت ؟ :

ودعجاء المحاجر (٣) من معدّ كأن حديثها قطع الجنان (٤)
إذا قامت لحاجتها (٥) تشدّت كأن عظامها من خيزران
ومن قبيح التشبيه قول بعضهم :

أنت كالكلب في احتفاظك بالو
د ، وكالتشور في احتمال الخطوب (٦)
ولا يخفف من شناعته ذكر وجهه الشبه . ولنسكتف بذلك فهو
معروف مشهور .

- (١) راجع القصة في « المختار من شعر بشار » ص ٣٤ ، زهر الآداب ص ٥٢
ج ١ . والموشح ص ١٥٦ ، والكامل ص ١١ . ج ٧ مع رغبة الآمل
(٢) عبارة الموشح : لكان قد أساء ، وفي الكامل والمختار : لكان قد هجنها
بالعصا ، وبذكر العصا ، على الترتيب ، وفي زهر الآداب : لكان قد هجن مع ذكر العصا
(٣) في رواية : وبيضاء المحاجر وفي أخرى : وبيضاء المدامع ، وفي ثالثة : وجوراء المدامع ،
وما هنا رواية زهر الآداب ، والدعج — بالتجريك — شدة سواد العين مع اتساعها ، والمحجر
— بفتح الجيم وكسرهما — ما دار حول العين ، أو مظهر منها ، أو من النقاب .
(٤) في رواية : ثمر الجنان .
(٥) هذه رواية الحصري ، وفي الكامل والموشح : لسبحتها ، وفي المختار : لمشيبتها
وما هنا أجود ، والسبعة — بضم السين — صلاة النافلة .
(٦) ينسب هذا البيت لعلى بن الجهم الشاعر العباسي المتوفى سنة ٨٢٤٩ ، ٨٦٣ م
والرواية التي أحفظها .
أنت كالكلب في حفاظك للود د وكالتيس في قراع الخطوب (٧)

تنبيه : جريت في تقرير الاستعارة بالكناية فيما سبق على ماذهب إليه صاحب الإيضاح (١) ، من أنها : التشبيه المضمحل في النفس ، المدلول عليه بإثبات لازم المشبه به للمشبه ، وطريقة هذا الإجراء كما تكرر كثيرا : أن نقول : شبهنا كذا بكذا ، بجامع كذا ، ودللنا على هذا التشبيه بإثبات لازم المشبه به - وهو كذا - المشبه ، على طريق الاستعارة بالكناية ، وإثبات هذا اللازم استعارة تخيلية .

أما على ماذهب إليه الجمهور ، من أنها : لفظ المشبه به ، المستعار للمشبه المحذوف المدلول عليه بذكر لازمه ، فطريقة إجرائها أن يقال : شبه كذا بكذا ، بجامع كذا ، ثم حذفنا المشبه به بعد استعارته للمشبه ، ودللنا عليه بذكر لازمه ، على طريق الاستعارة بالكناية ، وإثبات هذا اللازم للمشبه استعارة تخيلية .

وإنما سلكت هذا المسلك ، لأن رأى الخطيب هو الراجح ، الموافق لما يؤخذ من كلام الشيخ ، ولما تدل عليه أمثلة الاستعارة بالكناية . ولم أعرض في بعض المواضع لذكر التخيلية ، لاتفاق الطرفين على أنها إثبات لازم المشبه به للمشبه ، فظننت أن ذلك كالبدهي ، على أني كنت معنيا في تقريرى ببيان أن الكلام استعارة ممكنة لاتشبيه ، فليتنبه .

التشبيه القريب والغريب

عقد الشيخ هذا الفصل (٢) لبيان الفرق بين التشبيه القريب أو المبدل أو العامي ، والتشبيه الغريب أو النادر أو الخاص ، فبين ضابط الغريب ومنه يعلم ضابط القريب ، فبضدها تتميز الأشياء ، وقد ذكر أمثلة لكل من الضربين ، ثم أخذ في بيان أسباب القرب أو البعد ، وفصل ذلك تفصيلا

(١) راجع ص ١٣٥ ج ٣ من بنية الإيضاح

(٢) ص ١٣٥ وما بعدها من أسرار البلاغة .

وأفيا ، وأكثر من التمثيل ، وعقد الموازنات لإيضاح مقصوده ، وسنعرض
لـ كل ذلك بالتفصيل ، متوخين تنسيق الموضوع ، ووضع كل شيء في موضعه
التشبيه الغريب ، هو : ما لا ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به إلا بعد
تلبث وتذكر ، وفكر للنفس في الصور التي تعرفها ، لأن وجه الشبه في المشبه
به مما لا ينزع إليه الخاطر ، ولا يقع في الوهم عند بديهته النظر إلى المشبه .

والتشبيه القريب ، هو : ما ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به من غير
حاجة إلى تلبث وتذكر ، لأن وجه الشبه في المشبه به مما يسرع حضوره إلى
الخاطر عند أول النظر إلى المشبه .

سبب القرب والبعد :

بني الشميخ غرابة التشبيه على بطء حضور المشبه به ، وقربه على سرعة
حضوره ، وذكر لكل منهما سببين ، وسماهما : عبرتين ، لأنهما أمران
يعتبران لمعرفة السرعة والبطء . وهما : إجمال ما ذكره :

سبب سرعة حضور المشبه به ، رقرق التشبيه . أمران :

١ - أن يكون وجه الشبه جملياً لا تفصيل فيه .

٢ - كثرة تكرار المشبه به على الحواس .

وسبب بطء حضور المشبه به ، وغرابة التشبيه . أمران :

١ - أن يكون في الوجه تفصيل بأحد الأوجه الثلاثة الآتية :

أ - ملاحظة خصوصية في الوصف .

ب - النظر في أكثر من وصف لأخذ ماله دخل في التشبيه ، ونفي
ما لا دخل له فيه .

ج - النظر في أكثر من وصف لاعتباره في التشبيه .

٢ - قلة تكراره على الحواس . رأسه ، رأسه ، رأسه .
وسنبين ذلك فنقول :

السبب الأول من أسباب قرب التشبيه : أن يكون القصد إلى الاشتراك في الوصف من جهة الجملة بحيث لا يشوبه شيء من التفصيل ، نحو أن كلا الأمرين أسود ، أو أحمر أو طويل ، أو ذكي الراححة .

والسبب الأول من أسباب بعد التشبيه : وبطء حضور المشبه به : أن يكون في الوصف الذي يراد إشراف الطرفين فيه شيء من التفصيل يحتاج إلى دقة ملاحظة ، وزيادة تأمل ، والتفصيل كما يأتي يختلف ويتفاوت كثرة وقلة ، وتفاوت تبعاً لذلك حاجته إلى الفكر والروية ، وكلما كان التفصيل أدق وأكثر ، كان التشبيه أبعد وأغرب .

والعبرة في ذلك وسره : أنا نعلم أن الجملة أسبق إلى النفس من التفصيل ، فإنك ترى بالنظرة الأولى الوصف مجملاً ، ثم تدرك التفاصيل عند إعادة النظر وإنعامه ، ولذلك قالوا : النظرة الأولى حمقاء . لأن الحكم المبني عليها قبلها يكون صائبا ، وقالوا لمن يصف الشيء على غير حقيقته : لم ينعم النظر ، ولم يستقص التأمل ، وذلك دليل على أن تفاصيل الشيء لا تدرك إلا بعد تأمل ، وكذلك سائر الحواس ، فإنك تدرك من تفصيل الصوت والطعم والملوس في المرة الثانية ما لم تدركه في المرة الأولى ، وإدراك التفاصيل يقع التفاضل بين رأيٍ ورأيٍ ، وسامعٍ وسامعٍ ، أما الجمل فتستوى فيها الأقدام .

وكذلك في المعقولات ، تجد الجملة هي التي تسبق إلى الأوهام ، وتقع في الخواطر ، والتفاصيل مغمورة بينها ، لا تحصل إلا بعد إعمال الروية ، والاستعانة بالتذكر ، وتفاوت الحاجة إلى الفكر بحسب مرتبة الوصف

من حد الجملة والتفصيل ، فكلما كان أوغل في التفصيل ، كانت الحاجة إلى التوقف أمس .

ضروب التفصيل :

هي على مذهب إليه الشيخ ثلاثة - أجمالناها سابقا - وهذا تفصيلها :

١ - الضرب الأول : ملاحظة خصوصية في الوصف الذي يراد الإشراف فيه ، توجد في بعض أفراد جنسه دون بعض . وذلك ألا يكون معك إلا وصف واحد ، واسكنك لا تسكتفي بأن تمر عليه مجملا ، بل تفصّل ، بأن تنظر إلى خاصة فيه ، تكون هي نسكته التشبيهية ، والمقصود بالذات منه . بيان ذلك : أن تشبه شيئا بآخر في الجمرة ، فلا تسكتفي بأن تمر على جملة الجمرة وجنسها ، بل تقصد إلى خاصية فيها ، مثل كونها رقيقة ناصعة ، أو تشبه شيئا بآخر في السواد فلا تمر عليه مجملا ، بل تفصل ، فتقصد إلى كونه براقا لامعا . أو أن تشبه صوتا بآخر ، فلا تسكتفي بأن كلا منهما صوت مسنوع بل تفصل ، بأن تنظر إلى أنه صوت له جرس خاص ، ونغمة معينة ، وهكذا ولا شك أن إدراك الخواص لا يحصل بداهة ، بل يحتاج إلى تأن وتمهل وكلما دقت الخصوصية ، ازداد اقتضاؤها للفكر ، وقوة الذهن ، واختص بها الزكي دون الغبي .

وهاك أمثلة توضح الفرق بين الجملة والتفصيل من هذه الناحية .

قال أبو الفرج البیضاء (١) في أرمذ (٢) :

(١) هو عبد الواحد بن نصر بن محمد الخزومي الشاعر المشهور ، مدح سيف الدولة والوزير المهدي وسواهما ، وتوفي سنة ٥٣٩٨ هـ ، ١٠٠٨ م . وله ترجمة في اليتيمة ص ٢٠٠ ج ١
(٢) أي مصاب بمرض الرمد .

غدت عَيْنُهُ كَالْجَمْرِ حَتَّى كَأَنَّمَا سَقَى عَيْنَهُ مِنْ مَاءِ تَوْرِيدهِ الْخُدُّ

وقال الأمير تميم بن المعز (١) :

نَاوَلْتَهَا شِبْهَ خَدَّيْهَا مَشْعُشَعَةً

صِرْفًا كَأَنَّ سَنَاها ضَوْءَ مِقْبَاسِ (٢)

وقال ابن المعتز :

غِلَالَةُ خَدِّهِ وَرْدٌ حَنِيٌّ وَنُونُ الصَّدْغِ مَعْجَمَةٌ بِخَالِ (٣)

* * *

وَكَأَنَّهُنَّ غَصُونُ بَابِ نَاعِمٍ يَحْمَلْنَ تَفَاحًا عَلَى الْوَجْنَتِ

وقال ذو الرُّمَّة :

وَسَقَطَ كَعِينِ الدِّيكِ عَاوَرْتُ صَاحِبِي

أَبَاهَا وَهَيَّأْنَا لِمَوْقِعِهَا وَكَرَأَ (٤)

(١) يعرف التاريخ الأدبي رجلين بهذا الاسم ، وهما أبو علي تميم بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي الفاطمي ، وإلى أبيه تنسب القاهرة المعزية لأنه الذي بناها ، وكان تميم — كما يقول ابن خلكان — شاعرا ماهرا لطيفا ظريفا ، ولم يل أمر مصر لأن ولاية العهد كانت لأخيه العزيز ، وقد توفي سنة ٣٧٤ هـ ، الثاني أبو يحيى تميم بن المعز ابن باديس الصنهاجي أحد ملوك الدولة الصنهاجية بافريقية ، ملك ٤٦ عاما وعشرة شهور ، ومدحه كثير من الشعراء ، وعلى رأسهم ابن رشيق القيرواني ، وكان أبو يحيى شاعرا مجيدا ، وهو الذي يقال عنه في كتب الأدب «الأمير تميم» ، والأول صاحب بيتنا هذا ، وقد توفي الثاني سنة ٥٠١ هـ ، ١١٠٨ م وترجمتهما في وفيات الأعيان ج ٣ من ص ٨ — ١٢٢ وللثاني ترجمة في الأعلام ص ١٦٦ ج ١ .

(٢) المشعشة : الخفيفة ، الصرغ : الخالصة ، والسنى : الضوء ، والمقباس : شعلة تؤخذ من معظم النار كالقبس .

(٣) الغلالة — بالكسر — شعار يوضع تحت الثوب كالقمصان الرقيقة ، والمراد هنا صفحة الخد ، والصدغ : ما بين العين والاذن ، والشعر المتدلى عليه . ونونه : هي هذا الشعر المتدلى إلى أعلى بعد إرسال كحرف النون . والحال : شامة تظهر على البدن

(٤) السقط — مثانة السنين — : شبه الشر الذي يخرج من الزند حين يورى . وأبوها =

قصد هو لاء الشعراء جميعاً - في تشبيه العين بالجر ، والخر بالخد ، والحد بالورد والتفاح ، والسقط بعين الديك - إلى اشتراك طرفي التشبيه في الحمرة ، ولكن نظرهم إليها مختلف ، فالأول - في تشبيه عين الأرمد بالجر - ، والثاني - في تشبيه الخمر بالخد - ، قد مرا على وصف الحمرة مجملاً من غير نظر إلى خصوصية ما فلم يرد الأول أن حمرة العين متوهجة ، ولم يرد الثاني أن حمرة الخمر من نوع حمرة الخد ولذلك كان تشبيههما قريباً .

أما تشبيه الخد بالورد في البيت الثالث ، وبالتفاح في الرابع ، فلم يقتصر الشعاران فيهما على مجرد الحمرة ، بل نظرا إلى خصوص وتفصيل ، وهو ما في حمرة الورد والتفاح من رقة وصفاء ، ونوعية خاصة ، بها حصل التوافق التام بينهما وبين الخد ، وهذا مما يحتاج إدراكه إلى إعادة النظر ، فكان في هذين التشبيهين شيء من الغرابة .

وأما تشبيه سقط النار بعين الديك ، فلم يقصد فيه إلى جنس الحمرة مجملاً ، بل قصد إلى ما في عينه من تفصيل وخصوص ، ومن امتياز لحررتها على كل حمرة ، لانتقوى العبارة على بيانه ، بل يعرف بفضل التأمل ، وقوة الملاحظة ، ولهذا كان هذا التشبيه أدخل في الغرابة من سابقه .

تنبيه : الخصوص والتفصيل - هنا - في نفس حمرة « عين الديك » ولونها ، ليكون المثال من هذا الضرب . أما إذا لوحظ مع ذلك : الشكل السكري ، والمقدار ، فإنه يكون من الضرب الثالث الآن لملاحظة أكثر من وصف .

لعمري ما دة فقهنا لاحتلابنا نختار من يورثت - سلكنا - فاكنا (٣)
المراد : فقهنا لاحتلابنا نختار من يورثت - سلكنا - فاكنا (٣)
== هو العود الذي يحك أو يرم في آخر لتخرج النار . والآخر هو الام أو الاتي . والوكر ما توضع فيه النار لتقعد كالخشب والجلب ونحوهما . وفي رواية « نازعت » و« موضعا »

وقال ذو الرمة في وصف ناقة :

كَأَنَّ عَلَى أُنْيَابِهَا كُلَّ سُحْرَةٍ

صِيحَاحَ الْبَوَازِي مِنْ صَرِيفِ اللِّوَاثِكِ (١)

وقال امرؤ القيس يصف ناقته :

كَأَنَّ صَلِيلَ الْمَرْوِ حِينَ تَشْدُهَا صَلِيلَ زَيْوْفٍ يَنْتَقِدُنْ بَعْبُقَرَا (٢)

كلا الشاعرين قصد إلى تشبيه صوت بصوت ، ولكنهما لم يقصدا إليه مجملا ، بل نظر كل منهما إلى خصوصية فيه ، لا تدرك إلا بتأمل . فالأول : نظر إلى مافى صوت البوازي من نعمة خاصة ، وجرس معين جعله موافقا لصوت الناقة .

والثاني : نظر إلى مافى صوت الدراهم الزائفة حين نقدها من خصوصية جعلته موافقا لصوت الحجارة التي تقذفها الناقة في سيرها . لكن نظرة الأول أدق وأعمق من نظرة الثاني ، لتسام المشابهة بها بين الطرفين ، ولأن صوت البوازي قلما يسمع .

موازنة : بين قول تميم بن مقبل يصف فرسا :

وَالْفُؤَادِ وَجِيبٌ تَحْتَ أَهْرِهِ لَدُمُ الْغَلَامِ وَرَاءَ الْغَيْبِ بِالْحَجَرِ (٣)

(١) تقدم شرحه وتصحيح روايته ص ٨ وها مشوا

(٢) الصليل : الصوت . والمرؤ : الحجارة البيض الرقيقة وتشدها : مضارع أشد بمعنى نحى ، والزيف : جمع زيف وزائف وهو المغشوش من النقد . وعبقر : موضع يزعم العرب أنه كثير الجن . وبلد مشهور بانتاج الثياب الجميلة .

(٣) الوجيب : خفقان القلب واضطرابه . والأهر : هو الشريان الرئيسى الخارج من البطن الأيسر في القلب . وهو الذى يوزع الدم النقي على الجسم كله وتتفرع منه جميع الشرايين في كل أجزاء الجسم . وليس الأهر وريدا كما قد يفهم من القاموس لأن الوردة تأتي بالدم إلى القلب والشرايين توزع الدم الصادر منه إلى الجسم - راجع كتب التشريح الطبي - والدم : الضرب بشئ ، ثقيل يسمع وقع . والغيب : ما غاب عنك .

وبين قول عمرو بن أحرر الباهلي (١) يصف قذراً :
لَهَا لَغَطٌ جُنْحُ الظَّلَامِ كَأَنَّهُ
وعجارفُ غَيْثٍ رَائِحٌ مَتَهَرِّمٌ (٢)
وقول أبي العتاهية يمدح الرشيد (٣) :
وزحفٍ له تحكى البروقَ سيموفه وتحكى الرُّعودُ القاصفاتِ حوافره (٤)
تشبيه دق القلب بدق الغلام بالحجر من وراء الحائط . وتشبيه لغط
القدر وأزيناها بعجارف الغيث . وتشبيه وقع حوافر الخيل بالرعود القاصفة .
كلها من تشبيه الصوت بالصوت ، لكن الثاني والثالث أرادا بتشبيهما الدلالة
على شدة صوت القدر ، وقوة لغطها ، وشدة وقع حوافر الخيل ، وارتفاع
صوتها ، وليست ملاحظة القوة والضعف في الصوت مما يحتاج إلى فسر
وتأمل ، ولذلك لا تعد هذه الملاحظة « تفصيلاً » يعتمد به ، ولا يتجاوز بها
الامر حد الجملة كبير تجاوز ، ولذلك يكون هذان التشبيهان من القريب المبتذل
ومثله قولك إذا رأيت رجلاً جاوز المعتاد في ضخامته : إنه كالفيل أو الجمل
فإن ذلك يحضرك حضور ما يعرف بالبديهة .
فإذا رجعنا إلى الشاعر الأول وجدنا حين شبه وجيبه قلب الفرس بدق
الغلام بالحجر من وراء حائط ، لم يقتصر على جملة الصوت ، ولم ينظر إلى
قوة وضعف ، بل قصد إلى تفصيل دقيق ، هو ما في صوت دق الغلام من

(١) هو عمرو بن أحرر بن العمرد بن عامر بن عبد شمس . شاعر مخضرم فصيح فاق شعراء عصره .
وأسلم وحسن إسلامه ومات غازياً في بلاد الروم سنة ٣٥ هـ . ٦٥٥ م أيام عثمان رضي الله عنه
(٢) اللغظ - بسكون الغين وفتحها - : الصوت والجلبة أو أصوات مبهم لا تفهم . وجنح الليل
- بضم الجيم وكسر ها - : الطائفة منه . وعجارف الغيث - كعجاريقه ، جمع عجروف أو
عجروفة بضم الاول : شدائده .
(٣) هو الخليفة العباس المشهور . هارون بن محمد المهدي بن المنصور أبي جعفر خامس
الخلفاء العباسيين ولد سنة ١٤٩ هـ . ٧٦٦ م . وتوفي سنة ١٩٣ هـ . ٨٠٩ م .
(٤) الزحف : الجيش

خاصة ، ونغمة معينة ، ووقع في السمع مخصوص ، بها حصل التشابه بين الطرفين ، وتم التوافق ؛ وذلك يحتاج - بلا مرأى - إلى لطف الملاحظة ، وحسن التأمل .

ملاحظة : هذا الضرب من التفصيل أهمله صاحب « الايضاح » ، كأنه لا يرى في ملاحظة خواص الأوصاف ما يقضى بغرابة التشبيه ، أو يحقق معنى التفصيل ، إذ لم يزد الوجه بذلك على أنه وصف واحد .

وإنى أرى رأيه ، وأعتقد أن ما في بعض التشبيهات السابقة من غرابة راجع إلى السبب الآتى ، وهو قلة تكرار المشبه به على الخواص ، أما ما يتكرر عليها كتشبيه الخد بالورد ، أو التفاح ، فلا تفصيل فيه يعتد به ، ولا غرابة .

ملاحظة ثانية : هذا الضرب أيضاً لا يجعل التشبيه من قبيل المركب ، لأن ملاحظة الخصوصية لا تؤدي إلى ذلك ، إذ لم يزد الوجه بها على أن كلا من الطرفين أسود براق ، أو أحمر رقيق ، أو صوت مخصوص إلخ .

٢ - الضرب الثانى من ضروب التفصيل : أن يكون معك وصفان أو أوصاف فتتظر فيها ، وتفصل بعضها عن بعض ، وغرضك من ذلك : أن تعتبر بعضها - وهو ماله دخل فى التشبيه - وتنفى بعضها ، وهو ما لا دخل له فيه ، وما يكون وجوده قادحاً فى حقيقته . وهاك موازنة توضح ذلك ، قال غنتره (١) - فى ورد بن حابس ، وقد قتل فضلة الأسدى - :

(١) هو غنتره بن عمرو بن شداد بن عمرو العبسى ، وقيل إن شداداً أبوه ، وقيل عمه ، والأول أصح ، وله فى ميدان البطولة فى الحرب والفجولة فى الشعر تاريخ حافل ، وقد أفاض عليه حبه لابنة عمه « عبلة » سلاسة التركيب ورقة العبارة وسمو المعنى فكان شعره نسيجاً وحده ، وقد قتله جبار بن عمرو بن عميرة بن نعلبة الطائى - ويقال : اسمه المكفف - ، وقيل اسم قتله ابن غرزى الطائى ، والصحيح الأول ، بدليل قوله جبار : =
دراسات ١١

يَتَابِعُ لَا يَبْتَغِي غَيْرَهُ أَبْيَضَ كَالْقَبْسِ الْمُتَهَلِّبِ
معناه : يتابع وردة نضلة لا يبتغي غيره ، بسيف كالبس . وقال امرؤ
القيس :

حَمَلَتْ رُدَيْنِيًّا كَأَنَّ سِنَانَهُ سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَتَصِلْ بِدُخَانِ (١)

المشبه به فيهما شيء واحد وهو « شعلة النار » ، ولكن الثاني قصد إلى
تفصيل لطيف لا يقع في الوهم إلا بعد نظر في حال كلٍّ من الطرفين .

فإن امرأ القيس استعرض في نفسه أوصاف « الشعلة » شكلها ، ولونها
ولمعاتها ، واضطرابها ، ووجد كل ذلك يحقق الشبه ، ولكنه رأى شيئاً آخر
يقدر فيه ويعيبه وهو ما في رأس الشعلة من « الدخان » فإنه ليس له ما يقابله
في رأس السنان ، فنفي اتصاله باللهب ، لكي يؤدي التشبيه كما هو على التحقيق
أما الأول فإنه لم يفعل ذلك ، بل اقتصر على ملاحظة تلك الأوصاف
التي تحقق الشبه ، وألقى التشبيه مطلقاً عن نفي ما يخلُّ به ، اعتماداً على حسن
فهم السامع ، فكان التشبيه الثاني أبعد وأعرب من الأول .

ووجه الشبه في كل منهما : الهيئة الحاصلة من اجتماع الشكل المخصوص
مع الإشراق والاضطراب واللمعان .

وقال ابن المعتز في الخمر :

== قتلت مجاشعا وقتلت عمرا
فأنت تجزع بنو عيس عليه
وسنترة الفوارس قد قتلت
فأنتي - لا وجدك - ماجزعت

وكان موته سنة ٢٢ ق هـ - ٦١٠ م

(١) الرديني : نسبة إلى « ردينة » وهي امرأة كانت تنقف الرماح مع زوجها
- كجعفر - فسببت إلى كل منهما ، ورواية أسرار البلاغة . « جمعت » والصحيح ما هنا

لجاءت بها في كاسها ذهبيّة لها حدق لم تتصل بجفون (١)
شبه فقايع الخبز بالحدق ، في الشكل واللون ، واستعار المشبه به للمشبه
استعارة تصريحية أصلية . وقد نظر الشاعر إلى أوصاف العيون فوجد فيها
شيئاً لا يوجد في المشبه وهو ما يحيط بها من الجفون ، فنفي اتصالها بتحقيقاً
للمشبه ، فكان غريباً .

وقال أيضاً يصف بازى (٢) الصيد :

غدوت في ثوب من الليل خلّق بطارح النظرة في كلّ فق (٣)
ذي منسر أقنى إذا شكّ خرق ومقلّة تصدّقه إذا رمق (٤)
كانه نرجسة بلا ورق تنشب في الديباج حتى ينفثق (٥)

يشبه في الشطر الأول الليل ، وقد مزقته تباشير الصباح بالثوب الخلق
الممزق ، ثم لما أراد تشبيهه « عين البازى » بـ « النرجسة » نظر في أوصافها

(١) فاعل جاءت يعود على « خمار » المتقدمة في قوله :

وخمار تعنى المسيح برّها طرقت وضوء الصبح غير مبين

والحدق - محرّكة - جمع حدقه ، وهى سواد العين ، كالخندوقة والخنديقة - بضم الحاء
في الأولى ، وكسرها في الثانية - ، وتجمع أيضاً على أحداق ، وحداق - بكسر الحاء - ،
والجفون جمع جفن - كأجفن وأجفان - ، وهو غطاء العين من أعلى وأسفل .

(٢) البازى - كالباذ - نوع من الصقور ، جمعه بواز وبزاة وبؤز ، وبؤوز وبيزان
(٣) الخلق ؛ بالتحريك - البالى ، للمذكر والمؤنث ، والفعل كنصر وكرم وسمع ،
والصدر خلق - بالتحريك - وخلقوة ، والأفق : بضمّين وكقفل ، الناحية .

(٤) المنسر - كمجلس ومنبر - : المنقار ، والأقنى : المرتفع الأعلى المحدود
الوسط ، وشك : دخل ، والمقلّة : شحمة العين التى تجمع السواد والبياض ، وهى السواد
والبياض أو الحدقة ، ورمق : لحظ لحظاً خفيفاً .

(٥) النرجسة : واحدة النرجس ونشب - كقفرخ - نشباً ونشوباً ونشبة - بضم النون
في الأخيرين - : لم ينقد ، والديباج : غليظ الحرير .

فوجد فيها شكل العين دائرة بيضاء تحيط بدائرة أخرى مخالفة للونها ، ووجد شيئاً آخر لا نظير له في العين وهو « الورق الأخضر » المحيط بها فنفاه تحقيقاً للتشبيه ، ثم وجد عين البازي يحيط بها ريش ناعم منقوش ، فأراد أن يحقق ذلك في المشبه به ، فوصف النرجسة بأنها نشبت في الديباج حتى انخرق فبقيت هي في وسطه وهو محيط بها .

وتقرير التشبيه هكذا : شبه عين البازي يحيط بها الريش المنقوش نقشا جميلا بنرجسة لا ورق لها ، يحيط بها ديباج منقوش كذلك ؛ ووجه التشبه : هو الهيئة الخاصة من اجتماع هذه الأوصاف . الشكل المستدير ، بين النقش الجميل .

وقال ابن المعتز :

تكتسب أيدي المزاج فيه لنا ميمات سطر بغير تعريق (١)

الضمير في « فيه » عائد إلى القدح في البيت السابق (٢) ، شبه الماء الذي تمزج به الخمر في القدح بكتابة ، بجامع أن كلا يؤثر نقشا ، ثم دل على هذا

(١) مزاج الشراب : ما يمزج به والميمات جمع ميم وهي الحرف المعروف ، والتعريق . إما من العرق - بالتحريك - وهو الصف من اللبن أو الآجر في الحائط ، والمراد : فقايع مستديرة تشبه رؤوس الميمات دون امتدادها الذي يشبه الصف المذكور ، لأن الامتداد خط مكون من نقط مرصوف بعضها بجانب البعض كما هو مقرر في علم الهندسة ، وإما مصدر عرق الشراب كعرقه ، بمعنى جعل فيه عرقا - بكسر العين - من الماء ، أي قليلا ، أو مصدر عرق في الدلو بمعنى جعل الماء فيها دون الماء .
والذي في أسرار البلاغة ص ١٤٥ « فيه أيدي المزاج » والوزن صحيح هنا وهناك (٢) هو قوله .

لا شيء يسلي سوى قدح تدمي عليه أوداج إبريق
وفي تعليق الشيخ المراغي هامش ص ١٩٢ « الإباريق » وعليها ينكير الوزن .

التشبيه بإثبات لازم المشبه به ، وهو « تكتب » على طريق الاستعارة بالكناية ، وه الأيدي ، ترشيح ، وشبه الفقاقيع التي تطفو بعد المزج بالميمات في أن كلا دائرة ، فيها بعض انتفاخ ورطوبة ، ولكنه لم يرسل التشبيه مطلقا ، بل فصل أوصاف الميم ، فرأى فيها شيئا لا مقابل له في المشبه ، وهو تعريقها - أى مدتها المتصلة برأسها - فنفى اتصال التعريق برأس الميم ، تحقيقا للأمر ، فجاء تشبيهها غريبا .

٣ - الضرب الثالث من ضروب التفصيل : أن تنظر في وصفين أو أكثر ، وتفصل في نفسك بعضها عن بعض ، لكي تعدها كلها فيما تقصد من التشبيه ، فالشاعر حين شبه « الثريا » بعنقود ملاحة حين نور ، لاحظ في الثريا : الأنجم نفسها وشكلها ، ولونها ، وانتظامها على شكل مثلث ، ثم طلب لذلك نظيرا فأصابه في عنقود العنب حين يظهر نوره ، فإن فيه أجراما صغارا بيضا مستديرة ، مؤلفة على شكل مثلث أيضاً ، ليست متلاصقة ولا متباعدة . فقد نظر إلى هذه الأوصاف كلها ، وفصلها واحداً واحداً ، في كل من المشبه والمشبه به ، ولاحظها جميعاً ، حتى لو فرضنا أن المشبه أو المشبه به لم يكن بهذه الصفات لم يكن التشبيه على ما وصفنا من الدقة .

وقد عد هذه الأوصاف نفسها من شبه « الثريا » باللبخام المفضض في البيت الآتي ، أو بالوشاح المفضل في قول امرئ القيس :

إذا ما الشُّرَيَّا في السماء تعرضت

تعرض أثناء الوشاح المفضل (١)

(١) الوشاح - يضم أوله وكسره - : كرسان - أى شريطان - من أوله وجوهر منظومان نظما متخالفا ، ومطوف أحدهما على الآخر ، وأديم عرض مرصع بالجواهر تشبه المرأة بين عاتقها وكشحيها ، ويجمع على وشح - بضمين - وأوشحة ووشائح .

تعرضت : مالت . وأثناء الوشاح : جوانبه ، جمع ثني . والمفصل :
الذي فصل ما بين كل خرزتين فيه بلؤلؤة أو حبة فضة ، ولعلمهم كانوا يحلون
الوشاح واللجام بأجرام مستديرة بيض على شكل مثلث ، ليست متصلة
ولا متباعدة ليتحقق التشبيه ، إذ لو فرض أنها كانت على سنن واحد طولا
أو كانت متلاصقة بطل التشبيه .

وهذا التفصيل الكثير يحتاج إلى زيادة تأمل ، فيكون أغرب مما تفصيله
أقل ، كتشبيه « الثريا » بالنور المفتوح في قول ابن المعتز .

كأن الثريا في أواخر ليلها مفتوح نور أو لجام مفضض (١)
فإنك إذا وازنته بتشبيهاتها السابقة تبين لك فضلها عليه بكثرة التفصيل ،
فإن هذا الأخير لم يلاحظ أكثر من أنها أجرام صغار بيض مستديرة ،
فلم يعتبر الشكل ، ولا الاجتماع .

هذا . وقد جاء البيت في الكتاب غير تام ، لأنه اقتصر على محل الشاهد
وليس ذلك من سهو المؤلف أو الناسخ ، فإن الشيخ قد عد التشبيه باللجام
المفضض مما استقصى فيه أوصاف الثريا قبل ذلك بقليل .
السبب الثاني من أسباب سرعة حضور المشبهة ، وقرب التشبيه .

أن يقصد إشراك الطرفين في وصف . أو صورة ، أو هيئة من شأنها
أن يكثر مرورها على الحواس .

السبب الثاني من أسباب بقاء حضور المشبهة ، وبعد التشبيه .
أن يكون الغرض الأثر في ما يندر مروره على الحواس . فالتشبيه
الذي يرجع إلى وصف لا يرى أبداً : غريب نادر ، والذي يرجع إلى ما من

(١) رواية الاسرار وزهر الاداب ص ٢٥ ج ٢ « تفتح » ، والمناسبات ما هنا ، كما في معاهد
التنصيص ص ١٤١ ج ١ ويكون من إضافة الصفة للوصف ، وقبله :
ألا فاسقنها والظلام مقوض ونجم الدجى في لجة الليل يركض

شأنه أن يرى أبداً: قريب مبتذل ، وتمفاضل التشبيهات التي تجيء وسطاً بينهما
فما كان أقرب إلى الأول فهو أعلى وأفضل ، وما كان أقرب إلى الثاني كان
أدنى وأنزل .

والعبرة في ذلك وسره : أن كثرة دوران الشيء على العيون ، وتردده
على الحواس يقتضى حضوره في الذهن ، وثبوت صورته في النفس ، وأن
قلة رؤيته ، وكونه مما يُحَسُّ الفَيِّنَةُ بعد الفينة ، والحين بعد الحين ،
بما يجعله بعيداً عن الذهن ، عرضة للنسيان ، لأن الحواس هي التي تحفظ
صورة الشيء على النفوس . وتجدد عهدها بها . ولذلك يقال : من غاب عن
العين فقد غاب عن القلب . وكانت مدارس العلوم وتكرارها على الأسماع
سبب سلامتها من النسيان ، وهذه أمثلة توضح ذلك :

أمثلة القريب من هذا الوجه :

قال أبو بكر الخالدي (١) :

ياشيه البدر حسنا	وضياء ومنالاً
وشيه الغصن ليناً	وقواماً واعتدالاً

(١) هو محمد بن هاشم بن وعة بن عرام الخالدي اشتهر هو وأخوه أبو عثمان سعيد
بالشعر والادب والتأليف ، وهما من بني عبد القيس ، وكانا ينشاران في نظم القصائد
وتنسب إليهما ، ونسبتهما إلى « الخالدية » إحدى قرى الموصل بالعراق وكانا من خواص
سيف الدولة وتوليا خزائن كتبه ، وقد تركا كثيراً من الشعر والمجاميع الادبية ، توفي
أبو بكر سنة ٣٨٠ هـ ٩٩٠ م ، وأبو عثمان سنة ٤٠٠ هـ ١٠١٠ م ، وفي معجم الادباء
أن اسم أبي عثمان سعيد بن هاشم بن وعة وأنه توفي سنة ٣٧١ هـ ، وفي الاعلام « وعة
ابن عثمان » ، وراجع أخبارهما في الاعلام ص ٣٧٤ ، ٩٩٧ ، ومعجم الادباء ص ٢٠٨
ج ١١ ، واليتيمة ص ١٦٥ - ١٨٩ ج ٢ ، والفهرست ص ٢٤٠ ، وشرح التريش ص ٢٧٠
ج ١ وفوات الوفيات ص ٢١٨ ج ١ طبع بولاق ، الوافي بالوفيات قسم ٢ ج ٤ .

وقال ابن المعتز : عالمها ليل لفت ، بالتبديع : أدبا من أدب ذلك

فكان الروض وشي^١ بالغت فيه التجار (١)

نقشهُ آس ونسريد^٢ ن^٣ وورد^٤ وبهار^٥ (٢)

ويشبهون « الشمس » بالمرأة المجلوة .

قال الشاعر :

بكل حسام كالعقيقة صارم^٦ إذا قد^٧ لم يعلق بهفجته دم (٣)

وقال سبط ابن التعاويذي :

وكان إيمان^٨ السيوف بوارق^٩ وعجاج خيلهم^{١٠} سحاب مظلم (٤)

في كل هذه الأمثلة ترى المشبه به مما يكثر دورانه على العيون ، ويغلب حضوره في الذهن عند حضور المشبه . من غير حاجة إلى تلبث وتوقف . فإنك إذا رأيت الوجه الجميل ، والقوام الأهيف حضرك البدر المنير ، والغصن المباد ، وإذا رأيت الروض مفترقا عن أزهاره ، مبتسما عن أنواره حضرك الوشي المنعم البديع الصنع ، المختاف الأصباغ ، وحينما ترى الشمس واستدارتها وضوءها ، تقع في قلبك المرأة المجلوة ، وإذا نظرت إلى السيف عند سله ، وبريق منته لم تحتج في تشبيهه بالعقيقة - وهي البرق المنعوق^{١١} ،

(١) وشي الثوب : نتمه ونقشه وحسنه ، والتجار : كرجال وعمال وصحب وكتب

جمع تاجر .

(٢) الآس : شجر ، واحده آسة ، والنسرين - بكسر أوله - نوع من الورد ،

والبهار - بفتح الباء - نبت طيب الرائحة .

(٣) العقيقة : ما يبقى في السحاب من أشعة البرق ، ومنها العقق بوزن صرد ، وتشبه

سها السيوف فتسمى عقائق .

(٤) أو مض البرق : لمع خفيفا كومض ، والبوارق : جمع بارق وهو السحاب الذي

فيه برق والعجاج : الغبار

أى المنشق - الى كثير فكر ، وكذلك اذا رأيت العجاج والغبار المنعقد من
حوافر الخيل في كرها وفرها لم تلبث أن تشبهه بالسحاب المظلم .
فكل هذه التشبيهات من القريب المبتذل ، وما تراه في بعضها من تفصيل
كلاستدارة والاستنارة في المرأة قد عارضه كثرة دورانها على العيون ، فلم
ينهض هذا التفصيل القليل لإحاقه بالغريب .

أمثلة الغريب من هذا الوجه :

والشمس كالمرآة في كف الأشل^(١)

لما بدت من خدرها فوق الجبل^(٢)

نسب هذا إلى غير واحد ، ورجحت^(٣) نسبه إلى جبار^(٤) بن جزء ،
ابن أخى الشماخ^(٥) ؛ وكان هذا غريبا ، لأن المرأة في كف الأشل مما لا يرى

(١) قال مؤلف معاهد التنصيص ص ١٤٤ ج ١ : « واختاف في قائله ، فقليل :
الشماخ ، وقيل . ابن أخيه وقيل . أبو النجم ، وقيل : ابن المعتز » ، ثم ذكر كثيرا من
المثل الشعرية في هذا المعنى فراجعها إلى شت ، والصحيح أن البيت لجبار وأن الذى بعده
هو قوله : « مقلدات القد يقرن الدغل » راجع القصيدة كلها في ص ١٠٩ - ١١١ من
ديوان الشماخ بشرح أحمد بن الامين الشنقيطي .

(٢) بعض الكتب يرويه « لما رأيتها بدت الخ » وهذا البيت لا يوجد في
الارجوزة السابقة .

(٣) الذى يقطع بأنه لجبار أن الرخشمى نسب له أول هذه الارجوزة في ص ١٢٢
ج ٢ من أساس البلاغة وإن كان الاسم قد حرف فذكر « حيان بن جزء بن ضار »
(٤) راجع ترجمته في ص ٩٨ من المؤلف .

(٥) هو الشماخ بن ضاراد بن حراملة بن صيفى بن أحرم النعماني الغطفاني المتبحر نسبه
إلى ذبيان وفي سرد آباءه خلاف ، وقد سمي في الشعر والشعراء والاعلام « مقلدا » ،
وهو شاعر ذو قدم راسخة في الشعر خاصة وصف الجر والقوس ، وكان يرجز على البديهة
رجزا مثاليا ، وقد أسلم وكانت له صحبة ، ثم شوه القادسية وتوفي في غزوة موخان سنة ٢٢٢ هـ
سنة ٦٤٣ م ، وأخباره في كتب اصحابه والاعاني في ص ١٠١ ج ٨ ، ومجم البلدان ص ١٩٩

إلا نادرا، وقد يقضى المرم عمره ولا يراها كذلك . وفيه أيضاً تفصيل كثير
يضعف حاجته إلى الفكر، وسيدين في الفصل التالي .

وقال كشاجم (١):

أرقت؟ أم نمت لضوءِ بارِقٍ (٢) مؤتلقٍ مثل فؤادِ العاشِقِ
كأنه أصبَعُ كَفِّ السَّارِقِ (٣)

هنا تشبيهان، الأول: تشبيه البرق بفؤاد العاشق في الائتلاق، وهذا
تشبيه تمثيل، لأن الوصف المشترك ليس متحققاً في الطرفين، بل هو في المشبه
به على طريق التخيل والتأول، وذلك أن الغزلين يدعون القسوة على من لم
يعشق، ويقول شاعرهم - الأحوص - (٤):

== ج ٨ ، المؤلف ١٣٨٠٩٨ ، خزانة الادب ص ٢٦ ج ١ ، والجمهرة ٣٢٠ الشعر والشعراء
ص ٦٣ « أولى » ، ٢٧٤ ج ١ بتحقيق شاكر وغيرها .

(١) هو أبو الفتح محمود بن الحسين بن شاهك أو شاهر السندی ، أصله من الهند ،
وأقام في الرملة بفلسطين وقد برز في الكتابة والشعر والادب والتنجيم ، وكان جواداً
متلاقفاً ، وله من التأليف « أدب النديم » طبع في مصر سنة ١٢٩٨ هـ و « ديوان
شعر » طبع في بيروت سنة ١٣١٣ هـ ، وكتاب « البصرة » في علم الصيد ومنه نسخة
خطية في مكتبته غوطا ، وتوفي سنة ٣٥٠ هـ

(٢) سبق شرح البارقي قريباً ، هامش ص ١٦٨

(٣) في الاصبع عشر لغات ناشئة من أن الهمزة مثلثة الحركة ، ومع كل حركة لها
ثلاث حركات للباء والعاشره أصبوع بضمهما ، وهي مؤنثة وقد تذكر .

(٤) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن حاصم الانصاري الاوسى ، شاعر هجاء
ماجن قوى الشعر حسن الديباجة ، وله نسيب رائع قدمه به حماد على الغزلين من شعراء
عصره . توفي سنة ١٠٥ هـ ، ٧٢٣ م وترجمته في الاغانى من ٤٥ ج ٤ ، والشعر والشعراء
ص ١٢٤ « أولى » والمؤلف ٤٨ وخزانة الادب ٢٣٢ ج ١ وفي سائر كتب الادب
كثير من اخباره .

إذا أنت لم تعشق ، ولم تذّر ما الهوى

فسكن حجراً من يابس الصخر جليداً (١)

ويتخيلون تلازماً بين القسوة والسواد ، كما يتخيلون التلازم بين الأمور
المسكروهة والسواد ، فيصفون القلب القاسي ، واليوم المسكروه ، بالسواد ،
قال أبو طالب الرقي :

ولقد ذكرتك تلك الظلام كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يعشق
وبعكس ذلك يتخيلون قلب العاشق مؤثلقاً مضيقاً لرفته - كما هنا - وليس
هذا محل الشاهد .

الثاني : تشبيه البرق باصبع كف السارق ، في سرعة الاختفاء .

وقد عدّه الشيخ غريباً ، لندرة رؤية المشبه به ، وهو موضع الشاهد .
قال ابن بابك :

ونضنض في حُضْنِي « سَحَائِلُ » بَارِقِ

له سَجْدُوَّةٌ فِي زَبْرِجِ اللَّاذِ لِامِعَةٍ

تَبَوَّجَ فِي أَعْلَى السَّحَابِ كَأَنَّهُ بَنَانٌ يَدِّمُ كَلَّةَ اللَّاذِ ضَارِعَةٍ (٢)

النضنضة : التحرك . والسحائل ، جمع سحيل وهو : الجبل على قوة
واحدة ، وشبه بها خيوط ضوء البرق . والجذوة : القبسة من النار ، وأراد
بها خفقة البرق . والزبرج : السحاب الرقيق الأحمر . وتبوج البرق : تكشف

(١) عشق : من باب علم . والمصدر كبر ، وشجر ، والجلد - بفتح أوله وثالثه -
الصخر ، كالجلود . بضم الأول والثالث

(٢) في طبعي أسرار البلاغة للشيخين رشيد والمراسي ص ١٣٦ ، ١٨٣ على الترتيب
« تموج » والصحيح ما فعل الأستاذ المؤلف ، أما ما أثبتاه فتحرّف ، وقد ذكر الشيخ
المراسي أن « سحائل » بلد بالعراق ، ولم أر ما يؤيد ذلك في المعاجم .

وظهر . والسكلة : (الناموسية) . واللاد ، جمع لاذة وهى : ثوب من حرير أحمر .

لعل هذا الشاعر يصف يوما غائما من الأيام التى كانوا يستحبون فيها الشراب ، فذكر أن هذا اليوم كان ذا برق ، وأنه كان يحرك خيوطه وشعاعه فى حضنه أو حصنه ، وأن هذا البرق كانت له النهاية وخفقة لامعة فى السحاب الأحمر ، وأن البرق تبوَّج فى السحاب كأنه يد بيضاء برزت من كاة حمراء مرفوعة الى السماء ، تضرع الى الله تعالى ، ووجه الشبه : صورة شيء أبيض منبسط من خلال شيء أحمر أكثر منه انبساطا .

وقال ابن المعتز :

وكان البرق مصحف قار فانطباقا مرة وانفستا

شبه البرق فى انبساطه وانقباضه ، وتوالى ذلك ، وتتابعه ، وما يبدو عند انبساطه من بياض وائتلاق ، يزول عند انقباضه ، بالمصحف فى يد قارى يوالى فتحه وإطباقه ، ووجه الشبه : صورة توالى انبساط يصحبه التماع وبياض ، ويعقبه انقباض وظلام .

وجاءت غرابة هذا التشبيه من أن هيئة المصحف هذه لا توجد إلا فى النادر ، وبعد عمْد من الإنسان ، وخروج عن العادة ، ومقصد خاص ، أو عيب غالب على النفس ، غير معتاد كمرض عصبي ، أو انفعال نفسى . ثم فيه من التفصيل ما ذكرنا ، من تحرك إلى جهتين مختلفتين ، وانقباض وانبساط وضوء وظلام ، فهو غريب من ناحيتين .

ملاحظة : اعتبرنا مع هيئة الحركة : اللون ، جريا وراء قول الشيخ هنا :

« فى انبساطه وانقباضه ، والتماعه وائتلاقه » .

ولسكنه فيما مضى ، وفيما يأتى نرى اعتبار الائتلاق ، وقصر التشبيه على

هيئة الحركة وحدها ، مجردة عن غيرها من أوصاف الجسم ، وما هنا أولى .
وقال ابن المعتز أيضاً في وصف خط محسلي بالشكل (١) :

فدونكه موشى نممته وحاكنه الأنامل أى حوك
بشكل يدفع الإشكال عنه كأن سطورَه أغصان شوك

يشبه هذا الخط بالثوب الموشى المنقوش ، ويدل على هذا التشبيه بإثبات
لازم المشبه به - وهو « التوشية » - للمشبه على طريق الاستعارة بالكناية ،
والإثبات المذكور تخيلية .

ولك أن تشبه تحليلته بالشكل ، بالتوشية ، بجامع ما فى كل من نقش
بديع ، ثم تستعير التوشية للتجاية ، ثم تشتق منها « موشى » بمعنى محلى بالشكل
استعارة تبعية تصريحية . ومعنى « نممته » : نقشته . وحاكنه : نسجته . كل
ذلك ترشيح للاستعارة يزيد قوتها .

والشاهد : تشبيه سطور الكتاب بأغصان الشوك ، ووجه التشبه : الاتحاد
فى الهيئة ، فإن صورة الشكل حول السطور ، وما فى بعض الحروف من
امتداد إلى أعلى أو إلى أسفل ، يشبه صورة الشوك حول الغصن .

وهذا التشبيه غريب ، لأن أغصان الشوك ، وإن كانت مما يرى كثيراً
فإن حضورها فى الذهن عند حضور الخط نادر لتباعدهما فى الجنس ، فهو فى
حاجة إلى تأمل كثير ، هذا إلى ما فيه من التفصيل الذى بيننا .

وقد عاب بعضهم هذا التشبيه ، لأنه لا يرفع من شأن الخط .

(١) يروى البيتان هكذا .

وذى نسكت موشى نممته وحاكنه الأنامل أى حوك
بلفظ يأخذ الحرف المحلى كان سطورَه أغصان شوك

وقد ذكر الثانى بهذه الرواية فى أسرار البلاغة من ١٣٦ - ، ويروى به بشكل يرفع الخ ،

وقال أبو بكر الصَّنَوْبَرِيُّ (١) :

وكانَ محمراً الشَّقَقِ قِ إذا نصوبٌ أو تصعدُ (٢)
أعلامُ ياقوتٍ نَشِيرُ نَ على رماحٍ من زبرجَدٍ (٣)

شبه زهر الشقيق الأحمر ، على سوقه الخضر ، تصوبه الريح ، وتميله نارة ،
وتصعده وترفعه أخرى ، بأعلام من ياقوت ، منشورة على رماح من
الزبرجد الأخضر ، ووجه الشبيه : صورة شيء أحمر ، منبسط على شيء
أخضر ، والمشبّه به بما لا يرى أبداً ، لأنه لا تحقق له في الوجود ، وإنما هو
أمر متخيل ، ولذلك يكون أشد غرابة .

وفيه أيضاً تفصيل ، ونظر إلى أكثر من وصف .
وقال أبو طالب الرقي :

وكانَ أجرامَ النُّجُومِ لَوامِعاً دُرٌّ نثرنَ على بساطٍ أزرقِ (٤)
شبه النجوم مؤتلفات ، مفترقات في أديم السماء ، بدرٌّ منشور على بساط
أزرق ؛ ووجه الشبيه : هيئة أجرام صغار ، بيض متلائمة ، على صفحة شيء
منبسط أزرق .

(١) هو الشاعر الرقي أحمد بن محمد الطيبي الحلبي المتوفى سنة ٣٣٤ هـ ، سنة ٩٤٥ م
وله ترجمة في فوات الوفيات ص ٦١ ج ١

(٢) الشقيق : هو الثبت الأحمر المعروف بشقائق النعمان ، وأفرد في الشعر للضرورة
لأنه لا واحد له بل يستعمل للمفرد والجمع بلفظ « شقائق » وقيل واحده شقيقه ، ويعرف
أيضاً في اللغة : بالشقر - كسكتف - والواحدة : شقره - كفرحة - راجع المصباح
والقاموس والتصوب : الاتجاه من أعلى إلى أسفل كالصوب والاصابة ، والتصعد : الاتجاه
إلى أعلى كالأصعاد ، وتصوب النبات وتصعده : تميله بفعل الريح .

(٣) ياقوت نوع من الجواهر معروف ، أجوده الأحمر الرمانى ، وهو معرب ،
والزبرجد من الجواهر المعروفة أيضاً .

(٤) تقدم البيت والتعريف بقائمه ص ٤٠

وجاءت الغرابة هنا من أن المشبه به يقل وجوده ولما فيه أيضا من تفصيل .

ملاحظة : قد يجمع في التشبيه الواحد سبب القرب ، وسبب البعد ، فمن أى النوعين يعد حينئذ ؟

الجواب : أن قلة التكرار على الحواس ، وندرة (١) حضور المشبه به مطلقا ، أو عند حضور المشبه - تقضى بغرابة التشبيه مطلقا ، سواء أكان الوجه مجملا ، أم فيه تفصيل ، للحاجة إلى الفسك .

أما التفصيل ، فإن كان كثيرا ، اقتضى غرابة التشبيه مطلقا أيضا ، سواء كثر مرور المشبه به على الحواس أم قل ، لحاجة كثرة التفصيل إلى زيادة . أما التفصيل القليل فلا يقتضى غرابة التشبيه إلا إذا لم يعارضه كثرة التكرار على الحواس ، فإن عارضته فالحكم لها ، والتشبيه قريب ، لآداء كثرة التكرار إلى سرعة الحضور في الذهن .

تنبيه : ظهر مما سبق أن التفصيل لا يقتضى تركيب الوجه ، ولا الطرفين ، فإن ملاحظة خصوصيته في الجنس لا تقتضى تركيب الوجه ، كتشبيه سقط النار بعين الديك .

وتركبُ الوجه لا يقتضى تركيب الطرفين ، كتشبيه الثريا بالعنقود - فيما مر - والسيف بالقبس ، في الهيئة الحاصلة من : الشكل ، والإشراق ، والاضطراب .

لكن تركيب الطرفين أو أحدهما يقتضى تركيب الوجه ، ولذلك يقول الشيخ : إن التفصيل يكون أكثر وأظهر وأقوى ، إذا كان كل من الطرفين

(١) يقال : لقيته ندرة وفي الندرة ، بفتح النون وسكون الدال ، وندرى وفي ندرى وفي الندرى بالتحريك فيما - أى بين الأيام .

مركبا من أمرين أو أكثر ، وذلك ضربان :
أحدهما . أن يكون المشبه به صورة مؤلفة من أمرين أو أكثر ،
لكنها مما اخترعه الخيال على مثال المشبه ، ولا وجود لها في الأعيان ، مثال
ذلك قول أبي بكر الصنوبري :
وكان فمحرر الشقيق
... .. البيتين

وتشبيه ابن المعتز « النرجس » بمداهن در حشوهن عقيق ، فإن المشبه
به فيهما أمر متخيل ، لا يتعدى الذهن ، إذ لم تجر العادة باتخاذ هيئة العكس
من الياقوت والزبرجد ، ولا بصنع المداهن من الدر ، وحشوها بالعقيق ،
وهو في كليهما مركب ، والتفصيل واضح جداً ، فقد اعتبر في الأول هيئة
الاعلام ، وأن تكون من الياقوت ، وأن تدر على رماح من زبرجد ،
وفي الثاني أن يؤلف الدر على شكل المداهن ، وأن يكون معه عقيق ، وأن
يكون العقيق في الحشو ، وقول بعضهم (١) :

كلنا باسط اليد نحو نيلوفر ند (٢)
كد بابس عسجد قضبها من زبرجد

النيلوفر ، بفتح النون (٣) : نبات مائي ، له زهر يطفو على سطح الماء ،

(١) هو : أبو بكر الصنوبري أو ابن المعتز .

(٢) في رواية « نيلوفر » وهما متحدان وزنا ومعنى وضبطا .

(٣) الأولى ، وبفتح اللام أو النون الثانية ، وضمهما ، ومن أجود الشعر في وصفه ،

قول أبي بكر الصولي :

ونيلوفر يحكي لنا المسك طيبه ترام على الذات أفضل مسعد

قداجن خوف الحادثات بجنة تروق كثوب الراهب المتعبد

تركب كالكاسات في ذهنية على قضب مخضرة كالزبرجد

راجع بقية القصيدة في زهر الاداب ص ٢٣٦ ج ٢

وسيقانه خضر مستطيلة كالأنابيب ، شبه أزهاره الصفرة على سوقها الخضر
بدبايس - ذات رأس كُرِّيٍّ ، من المسجد - أى الذهب - وقصبتها من
الزبرجد الأخضر ، والمشبه به متخيل ، إذ لا تصنع الدبايس هكذا ، وفيه
التفصيل الذى ذكرنا : رأس مستدير أصفر ، على قصب مستطيل أخضر .

الثانى : أن يكون المشبه به هيئة مؤلفة من أمرين أو أكثر ، لكنها
تكون موجودة فى الأعيان كقول ابن المعتز :

غدا والصبح تحت الليل بادٍ كطُرفٍ أشهبٍ مُلقى الجلال (١)

لا يقصد ابن المعتز تشبيه الصبح بالفرس الأشهب ، والليل بالجل ، ليكون
التشبيه متعدداً ، بل أراد تشبيه الهيئة الحاصلة من مجموع الصبح والليل
إذا تأملتهما - وهى هيئة اختلاط البياض بالسواد ، والضوء بالظلمة - هيئة
الفرس الأبيض قد أدار الجل عن ظهره ، وأزاله عن مكانه حتى تكشف
أكثره فاختلط بياضه بسواد الجل ، ووجه التشبه : الهيئة الحاصلة من اختلاط
بياض بسواد ، وهى هيئة رائعة ، ومنظر جميل ، يدرك روعته وجماله من
يراقبه بعد الفجر من يتذوقون جمال الطبيعة ، ويدركون بدائع الصنع الإلهى
وهذه الهيئة المشبه بها موجودة معهودة ، فإن صورة الفرس الأشهب وقد
ألقى الجل عن معظم جسده ليست مما هو خارج عن العادة .

تنبيه : قد يتوهم من قوله : « ملقى الجلال » أن الطُرف قد ألقى الجل
جملة ، وخطأ هذا الوهم ظاهر ، لأنه لو أريد ذلك لكان الغرض تشبيه
الصبح وحده من غير تفكير فى الليل ، وهذا مخالف لقوله فى صدر البيت :
« والصبح تحت الليل بادٍ » فلا بد أن يراد أنه ألقاه عن معظم جسمه مع بقاءه
على باقيه ، ليوافق المشبه به المشبه .

(١) تقدم البيت وشرحه ص ٣٩ .
١٢ — دراسات

وأما قول ابن المعتز :

إذا تَبَدَّى البرقُ فيها خِلْمَتُهُ بطن شجاع في كَثِيبٍ يضطربُ (١)
وَتَارَةً تحسبُه كأنه أبلقُ مالَ جلَّه حين وثب (٢)

فقد يتوهم من قوله « مال جلّه » أنه لم يلقه جملة ، وأن الغرض : تشبيه بياض البرق في سواد الغمام ببياض الأبلق في سواد الجبل ، ويكون التشبيه مركبا ، وهذا وإن كان محتملا وجائزا ، فإن الأشبه والأظهر أن الغرض تشبيه البرق وحده ببياض الأبلق ، دون أن يدخل لون الجبل ، ومعنى « مال جلّه » - على هذا - سقط عنه ، بدليل البيت الأول ، فإن المقصود منه تشبيه بياض البرق ببطن الشجاع أى الأفعى في البياض والاضطراب .

وقد يقال : ما فائدة قوله « حين وثب » ؟

والجواب : أنه أفاد أن البرق يلعب بغتة ، كما يظهر بياض الأبلق بغتة عند وثوبه وسقوط جلّه .

فإذا وازنت بين هذا وبين قول ابن بابك .

للبرق فيها طائش كما يعرفُ الفرس الأبلق
وجدت معناه واحدا ، وهو : تشبيه بياض البرق ببياض الأبلق ،
لسكن بيت ابن المعتز يمتاز بأن لقوله : « حين وثب » فائدة خلا منها بيت

(١) الشجاع بضم الشين وكسر ها - : الحية أو الذكرك منها أو نوع صغير من الحيات ، ويجمع على شجاعان ، بالضم والكسر أيضا ، والكثيب : التل من الرمل جمعه : كاضرحة وكتب ورهبان .

(٢) حسب هنا : بمعنى ظن وقد تقدم شرحها وضبطها - هامش ص ٣٧ - والأبلق ماى لونه سواد ريباض ، أو ما ارتفع تحجيله إلى الفخذين ، والاسم البلق - محرك - ، والبلقة ، بضم الاول ، والفعل كفرح وكرم واشتد ، والاثني بقاء ، والجبل - مفتوح الجيم وضجها ، وقد شرح في هامش ص ٣٩

ابن بابك ، وهي الإشعار بأنه يلوح للعين فجأة .
ونظير بيت ابن المعتز في ملاحظة هذه النكتة قول كثير عزة :
ورى البرق عارضاً مستطيلاً مرح البلقُ جلن في الأجلال (١)
فقد اعتبر المرح والجولان ليتم الفرض من التشبيه ، وهو بيان حركة
البرق ، وكيفية لمحه ، وهي أنه يظهر بغتة حيناً بعد حين ، كما ينكشف الجبل
عن الأبلق المرح النشيط فجأة كذلك .
هذا استطراد وقع في البين (٢) للمناسبة .

ونعود إلى حديث : الضرب الثاني من المركب ، فنقول : إن
هذا الضرب . الذي يدخل في الوجود بتفاوت حاله ، فمنه ما يتسع وجوده
ويكثر ، ومنه ما يعزُّ ويندر . ومنه ما هو بين ذلك ، ويتبين ذلك بالموازنة
والمقابلة بين ما يأتي :

والشمس كالمرآة في كف الاشل لما رأيتها بدت فوق الجبل

وكان أجرام النجوم لوامعاً دررٌ نثرن على بساط أزرق

غداً والصبح تحت الليل باد كطرف أشهب ملقى الجلال

وقول ذى الرمة :

كحلاء في برج صفراء في نعج كأنها فضة قد مسها ذهب (٣)

(١) العارض : السحاب المعترض في الافق ، والجبل ، وما يستقبلك من الشيء .

(٢) أى وسط الكلام على ضروب المركب .

(٣) الكحلاء الشديدة سواد العين ، أو التي كأنها مكحولة ، والبرج - بالتحرّك -

إذا وازنت بين هذه التشبيهات من حيث سعة الوجود ، وجدتتها تختلف
وأن مراتبها على ترتيب ذكرها ، فالمرآة في كف الأشل أعز وجوداً ،
والدر على البساط الأزرق عزيز نادر أيضاً ، ولك أن تقدمه على سابقه
أو تؤخره عنه ، والطرف يلقي الجلل ليس بهذه المثابة من العزة ، والفضة
المحلاة بالذهب يكثر وجودها :

تنبيه : الغرض من تقسيم المركب إلى هذين الضربين ، وبيان حال القسم
الثاني من حيث سعة الوجود وعدمها . أن نريك الطريق إلى أن تعرف كيف
تفاضل بين التشبيهات ، وتقدم بعضها على بعض إذا لاحظت ما قدمنا من
دواعي قرب التشبيه وبعده .

فالضرب الأول الذي لا وجود للشبهة به فيه خارج الأذهان - وقد تقدمت
أمثلته - قد اجتمع فيه سبب الغرابة : التفصيل ، وقلة التكرار على الحواس .
وتجدد السبب الثاني قد تحقق فيه على غاية القوة ، لأنه لا مزيد - في بعد الشيء
عن العين - على أن يكون ممتنع الوجود .

أما الضرب الثاني فقد يتحقق فيه السببان أيضاً ، لكن السبب الثاني -
وهو قلة التكرار على الحواس - لا يقوى فيه قوته في الأول ، لأنه متى صح
وجوده أمكنت رؤيته أو وقعت ، وإن كانت تقل في بعض أفراده ، وتكثر
في بعض .

وإذا تبين ذلك كان للضرب الأول من الروعة والحسن ما ليس للضرب
الثاني ، وكان بعض أفراد الضرب الثاني أقوى من بعض في الحسن والغرابة ،
بحسب مرتبته من سعة الوجود وعدمها ، فما كان أندر وجوداً كان أغرب

= إحدائق يابض العين بالسواد كله ، والنعج - محرمة - كالنعوج ، بضم أوله : الإيضاض
الحال ، وفعله كطلب .

وما كثر وجوده كان أقل غرابة ، وربما لم يعد من الغريب إذا قل تركيبه .
وقد سبق التنبيه على كل هذا

عرفنا مما سبق أن التفصيل يتفاوت ، وضررنا الأمثال لذلك ،
وهذه موازنة من هذه الناحية ، تريك كيف يفضل بعض الشعراء بعضاً في
استقصاء تفصيل الشيء .

قال بشار :

كَأَنَّ مِثَارَ التَّقْنَعِ فَوْقَ رُؤُسِنَا
وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ (١)

وقال كثوم بن عمرو العتابي (٢) :

تَبْنِي سَنَابِكُهَا مِنْ فَوْقِ أَرْؤُسِهِمْ سَقْفًا كَوَاكِبُهُ الْبَيْضُ الْمُبَاتِيرُ (٣)

(١) تقدم شرحه والتعريف ببشار ص ٣١

(٢) في أسرار البلاغة ص ١٥١ أن البيت لعمر بن كثوم ، وهو خطأ - لعله تشأ
من تحريف - لأن قائله : أبو عمرو كثوم بن عمرو بن أيوب بن عبيد بن حبيش بن أوس
العتابي المنتهى نسبه إلى عمرو بن كثوم الشاعر التغلبي المشهور ، ولد أبو عمرو في قنسرين
ببلاد الشام ثم اتصل بالبرامكة وظاهر بن الحسين ، وعن طريقهم عرف الرشيد الذي أهدر
دمه بعد ذلك لأمير بلغه عنه . ثم عفا عنه بفضل جعفر البرمكي ، ولقد نبغ العتابي في
الشعر والكتابة والخطابة والتأليف ، وعدله ابن النديم كثيراً من الكتب ، وكان إلى
مكاته الشعرية ذا صلاح ودين وعفة ، وتوفى سنة ٢٢٠ هـ ، ٨٣٥ م ، وترجمته وأخباره
في الأغاني ص ١٢ ج ٢ ، معجم الأدباء ص ٢٦ ج ١٧ ، معجم الشعراء ص ٣٥١ ،
الفهرست ١٧٥ ، نزهة العيون ٢٠٥ . فوات الوفيات ص ١٣٩ ج ٢ وجمهرة أنساب
العرب ٢٨٧ . الأعلام ٨٤٥

(٣) رواية الصنائع ص ١٩٠ مدت سنا بكوا . ليلاً ٤٠٠ هـ وهي جمع سنبك - كبرقع -

وهو طرف الحافر . والبيض المباتير . السيوف القاطعة .

وقال المتنبي :

يزور الأعادي في سماء عجاجة أسننته في جانبيها السكواكب (١)

اشترك هؤلاء الثلاثة في النظر إلى الغبار المنعقد فوق الرموس ، وقد لمعت فيه السيوف ، أو الأسنة ، وشبهوه بالليل تضيء فيه السكواكب ، وهذا تفصيل ونظر إلى أكثر من جهة .

اسكن « بشاراً » قد أربى عليهما بأن أحضر في نفسه هيئة السيوف وقد سئلت من أعمادها في الحرب ، واختلفت الأيديها في الضرب ، وما يكون لها حينئذ من اضطراب ، وحركات سريعة إلى جهات مختلفة ، بين ارتفاع وانخفاض ، واستقامة واعوجاج ، وتداخل وتصادم ، مع كونها في نفسها مستطيلة ، ثم أفهم السامع ذلك كله ، وأحضره في نفسه بكلمة واحدة هي « تهاوى » في جانب المشبه به ، وهي وإن كانت كلمة واحدة فإن معناها لا يتحصل إلا بالنظر إلى أكثر من جهة ، وذلك أن السكواكب إذا تهاوت اختلفت جهات حركاتها ، وكان لها تدافع وتداخل واستطالة ، فقد ضم إلى التفصيل المشترك تفصيلاً آخر عجيباً ، فكان لتشبيهه من الفضل والمزية والتأثير في النفس ما لا يمكن إنكاره .

موازنة أخرى :

قال ابن المعتز :

وطاف بها ساق أديب بمزل كخنجر عيسار صناعته الفتك (٢)

(١) العجاجة : الغبار والداخان . وسواء عجاجة : من إضافة المشبه به للمشبه ، على نحو « لجين الماء » أى في عجاجة كالسقاء في ارتفاعها ولمع السيوف فيها كالنجوم . راجع شرح

البيت في التبيان ص ١٠٧ ج ١ .
(٢) الأديب - هتاء - الظريف المحسن التناول . والفعل ككرم . والمبزل ==

وحمل آذريونة فوق أذن نه ككأس عقيق في قرارتها مسك (١)
وقال أيضاً (٢):

عيون آذريونها للشمس فيها كالليه (٣)
مداهن من ذهب فيها بقايا غاليه (٤)

في كل من القولين تشبيه « الآذريونة » ومرعاة أكثر من وصف لها،
لكن التشبيه الثاني أدق ، لاستيعابه لجميع الأوصاف .

وتفصيل ذلك : أن : « الآذريونة » زهرة ذات ورق أحمر مرتفع ،
يحيط بقاع أسود يرتفع سواده في أصول الورق بعض الارتفاع ، ويخف
شيئاً فشيئاً حتى يتلاشى .

ففيها أربعة أمور :

١ - ورق أحمر مرتفع محيط .

== كمنبر - . المصفاة التي صفي بها الشراب . والعيار . - كشداد - الكثير الحركة
ذهاباً وجيئة . والذي الكثير التطواف ، والمراد هنا قاطع الطريق والآذريون : - كما
قال صاحب القاموس - : زهر أصفر في وسطه خل - بفتح فسكون - أسود : حار
رطب . والفرس تعظمه بالنظر إليه . وتنثره في المنزل وليس بطيب الرائحة . وقال غيره
إن منه نوعاً أحمر الورق . وهو الذي عناه الأستاذ المؤلف بكلامه . ويدل عليه تشبيهه
بكأس العقيق الذي لونه الحمر .

(١) الاذن : بضمين وكفعل . ومثلها الاذين - كقتيل - . وجمعهما آذان .

ورواية ديوان المعاني - ص ٢٦ ج ٢ - « وصير آذريونه ... في قرارتها »

(٢) البيتان في وصف روضة .

(٣) كالية : أصلها كالية بمعنى حافظة وراعيه . ومعنى ذلك أن النبات تنجذب أوراقه

نحو الشمس ويتجه دائماً جهة الضوء ولهذا سمي هذا النبات « عباد الشمس » لتلك العلة

(٤) الذي يشبه بالذهب هو النوع الأصفر منه . والمداهن : جمع مدهن

كبرقع - . وقد تقدم شرحها ص ٦ ، والغالية : نوع من الطيب . وفي ص ١٦ ج ٢

وما بعدها من ديوان المعاني كثير من تشبيهات هذا النوع .

(٢) ٢ -- قاع أسود .
 ٣ -- سواد مرتفع في أصول الأوراق .
 (٤) -- أن السواد غير ملىء لجوف الزهرة .
 وقد استوفى التشبيه الثاني هذه الأمور كلها ، فلمدهن تقابل الأوراق
 وبقايا الغالية تفيد ثلاثة أمور :

- ١ -- سواد القاع ، لأنها اخلاط من الطيب ذات لون أسود .
- ٢ -- وأن السواد غير ملىء لها ، لأنها بقايا .
- ٣ -- وأنه مرتفع في الجوانب ، لأن الغالية رطبة تؤخذ بالأصابع
 فيبقى لها أثر في الجوانب رقيق مرتفع عن القاع يشبه ما في الزهرة .
 أما التشبيه الأول فكأنس العقيق فيه تقابل الورق الأحمر ، والمسك
 في القرارة يفيد أمرين :

(١) سواد القاع (ب) أنه غير ملىء لها ، لأنه في القرارة .
 أما ارتفاع السواد في الجوانب فليس فيه ما يفيد ، لأن المسك جاف
 إذا وضع في شيء حصل في القاع ، ولم يعلق بالجوانب ، ومن هنا كان هذا
 التشبيه أضعف . ولو أنه قال : فيها مسك بدل وفي قرارتها ، لازداد
 ضعفا ، لأنه لا يفيد حيث أنه غير ملىء لها ، لاحتمال أن يكون المسك
 مائلا للكأنس .

مثال فيه استقصاء للأوصاف ، قال ابن المعتز :

كأننا وضوء الصُّبح يستعجل الدُّجى

نظير غراباً ذا قوادم جُـون (١)

(١) القوادم : جمع قادمة . وقدامى — كجبارى — وهي الريشة المتقدمة
 في جناح الطائر وفي كل من الجفاحين عشر منها . والجون — بضم الجيم — جمع جون
 ففتحوا وهو الأبيض والأسود . والمراد هنا الأول .

يفيد هذا البيت بطريق الزوم - لا بصريح التشبيه - تشبيه ظلام الليل حين يظهر فيه ضوء الصبح بغراب أسود له قوادم بيض ، من جهة مجاورة السواد للبياض على وجه خاص ، وهذا تفصيل أول ، ثم جعل ضوء الصبح ، لقوة ظهوره ، ودفعه لظلام الليل ، كأنه يحفر الدجى ، ويستعجلها ولا يرضى منها بالتأمل . ولما اعتبر ذلك في المشبه ، اعتبر نظيره في المشبه به فقال : « نظير غرابا » ولم يقل : « غراب يطير » ، لأن الغراب إذا كان واقفاً فأزعج وأطير ، أو محبوساً فأرسل ، كان ذلك أشد لطيرانه ، وأبعد لأمدّه ، فإن الفرعة التي تعرض له من تنفيره ، أو الفرحة التي تدركه من خلاصه تدعوه إلى أن يستمر في طيرانه حتى يغيب عن الأفق ، وليس كذلك إذا طار عن اختيار ، فقد يبطله ، وقد يقع في مكان قريب ، وهذا تفصيل ثان انضم إلى الأول ، فازداد به التشبيه دقة وسحراً .

وجملة التشبيه . أنه شبه الظلمة وقد ظهر في جوانبها لمع من ضوء الصبح تدفعها دفعا قويا ، بغراب أسود ، قوادمه بيض ، أزعج من مكانه ، فأسرع في طيرانه ، ووجه الشبه : الهيئة الحاصلة من سواد يجاوره بياض قد دفع دفعا قويا إلى حيث لا يرى .

مثال آخر : قول أبي نواس (١) - يصف بازى الصيد -

كَأَن عَيْشَتِيْهِ إِذَا مَا أَتَانَا (٢) فَصَنَّانٌ قِيضًا مِنْ عَقِيقٍ أَحْمَرَا

(١) في أسرار البلاغة ص ١٥٥ « قول ابن فارس » وهو خطأ والصحيح ما هنا كما في الإيضاح مع البنية ص ٦١ ج ٣ ومختارات البارودي ص ٢٦ ج ٤ ، والصناعتين ص ٨٨ ، والأبيات من قصيدة تبلغ ٢٠ بيتا ذكرها البارودي وأولها

لما رأيت الليل قد تحسرا عني وعن معروف صبح أسفرا

(٢) في أسرار البلاغة ومختارات البارودي . « أثنأرا » بالثاء ، وقد فسرت في بنية الإيضاح « بطلب فأره » ولعلها تحريف لأثنأر بمعنى أحد البصر إلى من ينظر إليه .

في هامة غلباء (١) تهدي منسرا كعطفة الجيم بكف أعسرا
أثار عينه . فتحها ، قيضا . شقا ، الهامة : الرأس ، الغلباء . القوية ،
أو المشرفة ، المنسر - كمنبر ومجلس - : المنقار ، الأعسر : الذي يكتب بيساره
خلاف الأيمن .

شبهه عينيه أولا : بفصين من العقيق ، في اللون ، والشكل ، واللحان ،
ثم شبه المنسر بعطفة الجيم ، والجيم خطان : أحدهما الأعلى ، والثاني الأسفل
الذاهب إلى اليسار ، وإذا كتبت مفردة فلها تعريق ، وهو الخط المقوس
الذاهب إلى اليمين ، ولما كان المنقار يشبه الخط الأعلى فقط ، نص على ذلك
بقوله « كعطفة الجيم » ولم يقل كالجيم ، ثم زاد الأمر تدقيقا بأن جعلها
بكف أعسر ، لأن عطفة الأعسر كما قيل ، أشبه بالمنقار من عطفة الأيمن ،
ثم إن قوله . يقول من فيها بعقل فأكرا ، البيت .

يرى عيانا أن المشبه به هو الخط الأعلى دون الأسفل ، ودون التعريق ،
أما إسقاط التعريق فواضح ، لأنه لا يوجد عند الوصل ، وأما الخط الأسفل
فإن قوله « فاتصلت بالجيم » دليل على أنه خارج أيضا ، لأن الإتيان به كان
بسبب اتصال الجيم بما ذكر ، وعلى هذا فبقوله . « بالجيم » يراد به عطفها ،
ولأجل هذه الدقة قال : « يقول من فيها بعقل فأكرا » فنبه على أن المشبه
في حاجة إلى فضل فسكر يراجع به عقله ، ليستعين به على تمام البيان ، وأداء
التشبيه على وجهه .

هذا رأى الشيخ ، وظنى أنه تكلف ، فإن المشاهد أن منقار الطائر خطان
الفك الأعلى ، والفك الأسفل ، وهما شبيهان بخطى الجيم ، فينبغي أن يكون
المراد بعطفة الجيم ، الجيم المعطوفة لا الخط الأعلى فقط ، ويؤكد ذلك قوله :

(١) هكذا في أسرار البلاغة ، وفي الصناعتين والمختارات « غلباء » بالمهمل

« فاتصلت بالجيم ، وأما قوله : « إن الخط الأسفل جاء بسبب اتصال هذه الأحرف » فإنه باطل ، لأنه موجود دائما ، وصلت أم لم توصل ، والعطفة العليا وحدها لا تسمى « جيم » والتفكير ليس في التشبيه وتماثل بيانه ، وإنما هو فيما يتصل بها لتؤدى اسم شخص يعتز به مثلا .

وقد قيل : « إن هذا من المعاني التافهة التي لا وزن لها (١) » ، وهو مما عيب على أبي نواس ، ولكن الشيخ عني به كما ترى .

فصل في التشبيه الواقع

في هيتي الحركة والسكون

هذا الفصل مرتبط بالفصل السابق ، فليس فيه سوى أمثلة للتشبيه الغريب ، لسكنها من نوع خاص ، وهو ما كان في الهيئات التي تقع عليها الحركة أو السكون ، فإن ذلك كما يقول الشيخ يزداد به التشبيه دقة وسجرا ، وذلك لحاجته إلى مزيد من التأمل على ما يأتي :

التشبيه في هيئة الحركة ضربان :

أحدهما : أن تقتزن هذه الهيئة بغيرها من أوصاف الجسم ، كالشكل ، واللون .

ثانيهما : أن يقتصر على هيئة الحركة فلا يراد معها غيرها .

(١) هذا رأى رأيته وسجلته في رسالتي ، والعبارة التي بين القوسين هي عبارتي هناك تفضل الاستاذ المؤلف ونقاهم هنا ، وهو عمل يدل على مبلغ عنايته بالبحوث الادبية ومدى اطلاعه على المؤلفات المخطوطة والمطبوعة ، والله يشكر له هذه العناية ، راجع الفصل الثالث من الباب الاول من ٨٩ من رسالتي « أبو تمام والبجرتي والمتنبى بين حقائق الحكمة وخيالات الشعر »

أمثلة الضرب الأول :

١ — قال جبار بن جزء :

« والشمس كالمرآة في كف الأشل ،

وجه التشبه : الهيئة الحاصلة من : الاستدارة ، مع الإشراق ، والحركة السريعة المتصلة ، وما يحصل بسببها من التوج والاضطراب ، حتى يرى الشعاع كأنه يهيم بأن ينسط حتى يفيض على جوانب الدائرة ، ثم يبدو له فيرجع من الانبساط إلى الانقباض ، كأنه يجتمع من الجوانب إلى الوسط ، والشمس إذا أحدى الإنسان النظر إليها وجدها مؤدية لهذه الهيئة ، وكذلك المرأة في كف المرتعش ، لأن حركته تدوم وتصل ، ويحصل منها ذلك . فقد اقترن بهيئة الحركة لون الجسم ، وهو الإشراق ، وشكله وهو الاستدارة . وجاءت غرابة هذا التشبيه من كثرة التفصيل ، إذ نظر إلى اللون ، والشكل ، والحركة الدائمة ، وهذا تفصيل ، ثم نظر إلى حركة الشعاع وتموجه بين انبساط وانقباض .. الخ وذلك تفصيل آخر ، ومثله لا يدركه الإنسان إلا إذا استأنف تأملا ، وكان في تأمله متنبها متمهلا ، أضف إلى ذلك أن المرأة في كف الأشل من الأمور النادرة التي لا ترى كثيرا

ومثله قول التلعفري (١) :

ولاحت الشمس تحكي عند مطالعها

مرآة تنير بدت في كف مرتعش

راحت الشمس تحكي عند مطالعها (١) هو أبو الحسن علي بن أحمد التلعفري أحد شعراء الشام المشهورين ، كان رقة لفته معاصرا للبري الرفاء والسلاحي ولهما فيه هجاء كثير ، وبعض أخباره في البيعة

٢ — قال الحسن بن محمد المهلبى (١) وزير معز الدولة (٢):
والشمس من مشرقها قد بدت مشرقة ليس لها حاجب
كانها بوتقة (٣) أحميت يحول فيها ذهب ذائب
هذا مثل التشبيه السابق ، فالشبه : الشمس ، والمشبه به : هيئة البوتقة
الحماة ، يحول فيها ذهب ذائب ، ووجه الشبه : الهيئة الحاصلة من : الاستدارة
والتوهج ، والحركة السريعة المتصلة ، وما يصاحبها من انبساط إلى جوانب
الدائرة ، وانقباض إلى وسطها ، وذلك أن البوتقة إذا أحميت ، وذاب فيها
الذهب تشكل بشكلها المستدير ، وتحرك بحملته فيها تلك الحركة العجيبة ، كأنه
يهم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانبها ، ثم يبدو له فيعود إلى الانقباض
لأنه — لما بين أجزائه من شدة التلاحم ، وما في طبعه من النعومة — لا يقع

(١) هو أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن يزيد
ابن حاتم بن قبيصة بن المولب بن أبي صفرة الأزدي وإليه ينسب ، كان وزيرا حصيفا
ذارأى ومعرفة بأمور الناس وسياسة الدولة ، كما كان غاية في الادب كما يقول
ابن خلكان — ولى الوزارة سنة ٣٣٩ بعد أن قاسى أهوال العيش ومشقات الحياة وهو
صاحب الايات المشهورة :

ألا موت يباع فأشترته فوذا العيش مالاخير فيه
ألا موت لذبد الطعم يأنى يخلصنى من العيش السكريه
إذا أبصرت قبرا من بعيد وددت لو أتنى مما يليه
ألا رحم الميعن نفس حر تصدق بالوفاة على أخيه

وقد ولد سنة ٢٩١ وتوفى سنة ٣٥٢ هـ وترجمته وأخباره الادبية في وفيات الاعيان
ص ٢٨٥ ج ٤ ، معجم الادباء ص ١١٨ ج ٩ « دار المأمون » ، وفوات الوفيات
ص ١٣١ ج ١ ، اليتجة ص ٢٠٢ ج ٤ ، زهر الاداب ص ١٧٩ ج ١ وغيرها .
(٢) هو أحمد بن أبى شجاع بويه الديلى أحد ملوك الدولة البويهية وعم عضد الدولة
وقد ملك بغداد حوالى ٢٢ سنة ، وتوفى سنة ٣٥٦ هـ وله ترجمة في وفيات الاعيان ص ٧٢
ج ٢ « دار المأمون »

(٣) البوتقة — بوزن سكرة — : الاناء الذى تصهر فيه المعادن وماشابهها .

فيه غليان كالسوائل التي يتخللها الهواء ، فقد انضم إلى الحركة الشكل المستدير
واللون المتوهج .

وجاءت الغرابة مما سبق في التشبيه الماضي .
٣ - قال الصنوبري :

كأن في غدرانها (١) حواجباً ظلت تمطّ
يصف روضة بأن غدرانها تهب عليها الرياح ، فتبدو على صفحاتها
أشكال كأنها أنصاف دوائر صغيرة ، تتوالى وتمتد امتداداً ينقص من
انحنائها حتى تكاد تستقيم ، فتشبه الحواجب التي تمط مطا متواليا ، ووجه
الشبه : الهيئة الحاصلة من توالى أقواس متحركة بحركة تمدّها ، وتقلل من
انحنائها ، فقد جمع هنا بين هيئة الحركة وبين الشكل المقوّس .

وجاءت الغرابة من هذا التفصيل وكون المشبه به نادر الوجود .
٤ - قال ابن المعتز يصف وقوع المطر من سحابة :

بكرت تعير الأرض ثوب شهاب
رحيية (٢) محمودة التّسكاب (٣)

(١) في بعض كتب اللغة أن الغدير : النهر ، وفي الصحاح والقاموس أن الغدير
- كالفدر بوزن مرد - القطعة من الماء يفادها السيل - فهو فعيل بمعنى مفاعل أو مفعّل
بفتح عينها - من غادر وأغدر ، أو بمعنى فاعل لأنه يندر وينقطع عن المحتاج إليه -
والعنى الثانى أدق وأليق بكون الروضة لها غدران .

(٢) الرحيية : نسبة إلى الرحبة - بالتحريك وبسكون الحاء - وهى من المكال
ساحته ومتسعه ، ومن الوادى مسيل الماء من جانبيه إليه ، ولا أدرى كيف استظهر الشيخ
أحمد المرائى أن الكلمة « رحيية » وأنها منسوبة إلى رجب بمعنى أنها تنضج فى شهر
رجب !! وهل لرجب علاقة بما يموئيد الزرع ؟ وإذا كان له ذلك فما معنى نضج السحابة
فى رجب ؟ ! ، وبعد فلعلها زلة قلم .

(٣) الرواية فى الاسرار ص ١٥٩ « الاسكاب » فلعلها جمع سكب - كقدر =

نُثِرَتْ أَوْ أُلْهِمَ حَيًّا فَكَانَ نَقْطَ عَلَى عَجَلٍ بِيْطَنٍ كِتَابٍ

شبه أولا حال السحابة وقد أمطرت الأرض في بكرة فاكستت الأرض ثوب النبات الدال على خصبها وقوتها ، بحال شخص يعير آخر ثوبا - والشباب الخصب - واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه استعارة مركبة ، ثم شبه وقع قطرات الماء على الأرض في تتابع وغير نظام بالنقط في بطن كتاب على عجل ، ووجه الشبه : هيئة الحركة من أعلى إلى أسفل ، في تتابع وكثرة وغير نظام ، فقد اقترنت هيئة الحركة بالشكل غير المنتظم ، وجاءت الغرابية من هذا التفصيل ، مع كون المشبه به لا يحضر في الذهن عند بداية النظر إلى المشبه لبعدهما بين جنسيهما .

أمثلة الضرب الثاني - وهو التشبيه في هيئة الحركة مجردة عن الاقتران بغيرها من أوصاف الجسم :

إعلم أنه إذا كان الغرض ذلك لا يعتبر التشبيه غريبا إلا إذا كان في الحركة نوع تركيب ، بأن يكون هناك حركات إلى جهات مختلفة ، وكلما كان تفاوت جهات الحركة أكثر كان التشبيه أغرب ، فحركة الرمح والدولاب والسهم لا تركيب فيها ، لأن جهة الحركة واحدة ، أما حركة المصحف في قول ابن المعتز :

وكان البرق مصحف قار . . . البيت

ففيها تركيب ، لأنه يتحرك في إحدى الحالتين إلى جهة غير جهته في الحالة الأخرى ، وقد سبق تقرير هذا التشبيه مرتين ، ورجحنا أنه من الضرب

= وأقدار - ، يقال ماء سكب - بفتح آوله - أي منسكب ، ولما « الاسكاب » أي البرق الذي يمتد إلى جهة الأرض ، ومع هذا فلما أظهرنا

الأول الذي جمع بين الحركة واللون .

ومن التشبيه الذي قصد به إلى هيئة الحركة وحسدها ، ثم كان لطيفاً غريباً لما فيه من كثرة التركيب والتفصيل قول الأعشى (١) يصف السفينة ، وفعل الأمواج بها :

تقص السفين بجانيه كما ينزو الرباحُ خلاله كرع

تقص : كتثب وزنا معنى . الرباح - بالضم (٢) - : الفصيل (٣) . الكرع

بفتحين - ماء السماء .

شبه هيئة حركة السفينة وقد تقاذفها المروج فأخذت تمجد وتترفع وتمحرك حركات مختلفة : بهيئة حركة الفصيل في ماء المطر إذا خالاه وقد عراه من المرح ما يعتري صغار الحيوان فيكثر من النزو والعدو ، ووجه الشبه : الهيئة الحاصلة من : ارتفاع بعض الأجزاء ، وانخفاض بعضها ، إلى حركات أخرى كثيرة على غير نظام .

ويرى الشيخ أن المشبه به هنا لا يرى إلا نادراً ، فقد اجتمع سبباً الغرابة في هذا التشبيه .

(١) أي الأعشى الأكبر ميمون بن قيس بن جندل ، انتهى نسبه إلى قيس بن ثعلبة من بكر بن وائل ، من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، أشعر شعراء الجاهلية ، وأثبتهم في الشعر أوتاداً . وأكثرهم طوالاً جياداً ، وأول دراهة عليه أدبه لحياته وشعره . هي كتابتنا عنه في كتاب « أعلام الشعر الجاهلي » الذي ألفته في العام الماضي بالاشتراك مع أستاذ :

(٢) أي مع تخفيف الباء وتشديدها .

(٣) ومن معانيه أيضاً الجدى والقرود وإرادة أحدهما هنا أنسب .

٣ - ومثل هذا قول الآخر (١) يصف الفصيل وهو يثب على أمه الباركة لتثور فير تضعها :

يقتناعها كل فصيل مكرم كالحبشي يرتقى في السلم
يقتاع وزنه يفتعل ، من قاع البعير الناقة إذا نزا عليها ، شبهت هيئة
حركة الفصيل وهو يثب على أمه بهيئة حركة الحبشي وهو يرتقى السلم لما
يكون له عند صعوده من ارتفاع بعض أعضائه وتسفل بعضها مع اضطراب
شديد ، وغثارة (٢) مفرطة ، ووجه الشبه : ما تقدم في التشبيه السابق :
وكذلك سبب الغرابة في هذا ما قاله الشيخ .

ولذا رأيت أن الحبشي لا يخالف غيره في صعود السلم ، فلعل الشاعر
قصد إلى حبشي معين ، كان به لونه (٣) أو آفة جسمية تجعله على هذا الوصف
إذا ارتقى سلكها (٤) .

ومن ذلك قول أحمد بن سليمان بن وهب (٥) :

(١) هو المعجاج الراجز المشهور ، قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء - ص ١٤١
« أولى - وكان يكنى أبا الشعثاء وسمى المعجاج بقوله :

« حتى يبعج عندها من عجمجا » وهو عبد الله بن ربيعة بن ليبد بن صخر بن كنيف
التميمي وقيل إنه ابن ربيعة بن أسد بن صخر بن كنيف بن عميرة من زيد مناة ، وقد ولد
في الجاهلية ونظم الشعر فيها ثم أسلم وبقي إلى أن فُلج في زمن عبد الملك بن مروان ،
ثم مات سنة ٩٠ هـ ، سنة ٧٠٨ م ، راجع أخباره في الأغاني ص ١٢٤ ج ١٨ ، المؤلف
ص ١٢١ ، والأعلام ص ٥٥٦ وفي أخبار ابنه في معاهد التنصيص ص ٦ ج ١ ، وتراجع
التي تقدمت مراجعها في ص ٣٦ .

(٢) الفتارة : الحق والتخليط .

(٣) بضم الأول : من جنون .

(٤) هذه دقة من الأستاذ المؤلف لم يفتن لها عبد القاهر ولا من جاء بعده .

(٥) ابن سعيد بن عمرو ، وسليمان وأخوه الحسن من أعلام التاريخ العباسي في
جميع نواحيه وفيهما يقول أبو تمام :

حُفَّتْ بِسُرْوٍ كَالْقِيَانِ تَلَحَّفَتْ خَضِرَ الْحَرِيرِ عَلَى قَوَارِمِ مَعْتَدِلٍ
فَكَأَنَّهَا وَالرَّيْحَ جَاءَ يُمِيلُهَا تَبْغِي التَّعَانُقَ ثُمَّ يَمْنَعُهَا الْخَبْجَلُ
شبهه في البيت الأول السرو، في ورقه الأخضر بالقيان ، أى الجوارى
التي اتخذت الحرير الأخضر لحفاً على قوامها المعتدل ، ثم شبه السرو مرة
أخرى حين يميل بعضه على بعض بفعل الريح ، ثم يعود إلى الاعتدال بعاشقين
يظنان أنهما بمنأى عن أعين الرقباء ، فيميل كل منهما إلى الآخر يبغي
أن يعانقه فتبدولهما عين الرقيب ، فيرجعان إلى الاعتدال في سرعة
من الخبجل .

ففي البيت الثاني تشبيهه لهيئة الحركة مجردة عن سائر أوصاف الجسم ،
وفيه تفصيل دقيق ، فقد راعى الحركتين : حركة للدنوّ للعناق ، وحركة
الرجوع إلى الافتراق ، وأدى ما يكون في الحركة الثانية تأدية لطيفة تصويراً
للشبه كما هو ، وذلك أن حركة الشجرة في حال رجوعها إلى اعتدالها أسرع
من حركتها عند إمالة الهواء لها ، وكذلك حركة من يدركه الخبجل فيرتدع ،
أسرع أبدأ من حركته إذا هم بالتقيل ، لأن إزعاج الخوف أقوى من
إزعاج الرجاء ، لهذا كله كان التشبيه غريباً .

وقول امرئ القيس :

مَكْرٌ مَقْرٌ مَقْبِلٌ مَذْبِرٌ مَعَا
كَيْلُودٍ صَخْرٍ حَطَّاهُ السَّيْلُ مِنْ عَلٍ

شبهه هذا الفرس لفرط نشاطه ، وسرعة انقياده ، وأنه يتحرك إلى كل

== كل شئ كنتم به آل وهـ فهو شعبي وشعب كل أديب
وأخبار آل وهـ أشهر من أن تذكر ، تولى سليمان سنة ٥٢٧٩هـ ، والحسن سنة ٥٢٥٠هـ

الجهات في خفة ويسر ، بجهد صخر حطه السيل من مكان عال ، فانهدر في قوة ، فهو لسرعة تقلبه يكاد يرى أحد وجهيه حين يرى الآخر ، ووجه الشبه : الهيئة الحاصلة من سرعة حركتهما إلى الجهات المختلفة حتى تكاد جميع الجوانب ترى في وقت معاً .

التشبيه في هيئة السكون : إنما يكون غريباً إذا كان فيه تركيب وتفصيل :

١ — قال ابن المعتز (١) :

فلساً طفا مأؤه في البلاد وغصاً به كل وادٍ صدى (٢)
ترى الشور في متنه طافياً كضجة ذي التاج في المرقد (٣)

شبه الشور وهو طاف ساكن فوق متن السيل مضطجع على جنبه بصاحب التاج المضطجع في مرقده ، في هيئة السكون ، وموقع كل عضو فيه ؛ وجاءت الغرابة من التفصيل المذكور ، وقلة تكرار المشبه به على الحواس .

٢ — وقال المتنبي (٤) — يصف كلب صيد (٥) باليقظة والتنبه :-

(١) يصف سيلاً .

(٢) طفا — كقال وتعب ونفع — طفوا — بفتح الأول وضمه — وطنى — كفتى — ، وطنياتا — بضم الأول وكسره — ، وطنوانا — بضم الأول — . بمعنى ارتفع وجاوز الحد في السكثرة ، والفصه — بضم الأول — : الشجا وما اعترض في الحلق فأشرق ، والماضى بفتح العين وكسرها ، والمضارع بالفتح فقط وفيه لغة من باب قتل — راجع المصباح — والثلاثى لازم يتعدى بالألف فيقال : أغصصته بكذا والوصف منه : غاص وغصان ، والصدى : الظامى ، والفعل كرضى ، والوصف صد وصاد وصديان للمذكر ، وصدية وصادية وصديا للدؤث ، والجمع صداء — كمطاش —

(٣) الشور : الطلح ، وكل ماء لا ماء ، والمتن : الظهور ، ومن الأرض ما صلب وارتفع ، والمد ، المقابل للجزر ، ولعله المراد هنا .

(٤) من أرجوزة قوية — قالها مرتجلاً — وتبلغ ٥٦ بيتاً ، وهي في شرح العكبرى لديوانه من ص ٢٠١ — ٢٠٨ ج ٣ (٥) أرسله أبو علي الأوراجي على ظني

* يقضي جلوس البدوي المصطلي (١) *

إقعاء السكب : جلوسه على أليتيه وقدميه ، معتمداً على يديه ، شبه بجلوس البدوي المصطلي ، فإنه يجلس عند ذلك على أليتيه وقدميه ، رافعاً ركبتيه ، ماداً يديه بينهما ، منخفضتين إلى النار ، وهو قريب من إقعاء السكب ، ووجه الشبه : الهيئة الحاصلة من وقوع الأعضاء المختلفة في مواقعها وجاءت الغرابة من أن مواقع تلك الأعضاء في حكم أشكال مختلفة تؤلف فيجىء منها صورة خاصة .

٣ - ومن لطيف ذلك : قول شاعر محدث يدعى الأخطيل الأهوازي (٢)
- في وصف مصلوب - :

كأنه عاشقٌ قد مدَّ صفحته
يوم الوداع إلى توديع مرتحل (٣)
أو قائمٌ من نعاسٍ فيه لوثة
مواصلٌ ليمطيه من الكسل
الصفحة هنا : جانب العنق . ولوثة النعاس : بقيته واسترخاؤه .

(١) وأولها ومترن ليس لنا بمنزل ولا يعثر الفاديات الهطل
وقبل البيت قوله : « إذا تلا جاء المدى وقد تلى »
وبعده قوله : « بأربع مجدولة لم تجدل »
وفي الجزء الثاني من ديوان المعاني ص ١٣١ - ١٣٥ كثير من الشعر في وصف الصيد
وأدواته وحيواناته فراجع .

(٢) قال الشيخ رشيد رضا ص ١٦٣ : « إن بعض شراح الشواهد نسب الأخطل »
ولعل هذا البعض خدع بقول المبرد : « وقال أعرابي - في صفة مصلوب - وهو الأخطل » ،
والصحيح - كما قرر أبو الحسن الأفش - أنهما للأخطيل الأهوازي كما ذكر المؤلف
وكان يعرف ببرقوفا ، قال أبو الحسن : وكان المبرد يدلس به أي يومه من يحدث أنه
الأخطل التغلبي الشاعر الأموي المشهور « راجع ص ١٧٢ ج ٦ من الكامل مع
رغبة الآمل » .

(٣) رواية الكامل « يوم الفراق » .

شبهه المصلوب في البيت الأول بالعاشق الذي مد عنقه ليتمكن من رؤية من يودعه ، والوجه : هيئة امتداد العنق وسكونه ، وقيل : إنه قد لاحظ مع العنق وسكونه لون الصفرة في كل منهما .

وشبهه في البيت الثاني تشبيها غريباً لطيفاً ، بقائم من نعاس ، مواصل لتمطيه ، وذلك لما فيه من كثرة التفصيل ، فقد راعى ثلاث جهات : التمتطي ، ومواصلته ، وسبب المواصلة - وهو اللوثة والكسل - ولو اقتصر على تشبيهه بالتمططي لكان قريب التناول ، لأن هذا القدر يقع في نفس الرائي للمصلوب ابتداء ، لأنه من حد الجملة :

٤ - ونظير هذا التشبيه قول دِعْبِل بن علي (١) الخزاعي :

لم أرَ صفّاً مثل صفِّ الرُّطِّ تسعين منهم صلّبوا في خطِّ

من كلِّ عالٍ جذعُه بالشَّطِّ كأنه في جذعِ المشتطِّ

أخو نعاسٍ جدِّ في التمتطي قد خامر النّوم ولم يَغِطِّ

الرط (٢) - بالضم (٣) - : طائفة خرجوا على المعتصم في سنة ٢١٩ هـ ،

(١) ابن رزين بن سليمان أحد الشعراء الهجائيين الحنينيّ الساسانيّ الذين لم يسلم من لسانهم خليفة ولا سوقه وكان متشيعاً غالباً وعمر حوالي المائة ، من ١٤٨ - ٢٤٦ هـ ، ٧٦٥ - ٨٦٠ م وكان من المبرزين في الشعر ، وأخباره : في الاعلام ٣٠٩ ، والأغاني ٢٩ ج ١٨ ومعاهد التنخيص ص ١٩٩ - ٢٠٨ ح ١ ، ووفيات الاعيان ص ٢٤٢ - ٢٧٤ ج ٥ ، ومعجم الادباء ص ٩٩ - ١١٢ ج ١١ « دار المأمون » وجهرة الانساب ص ٢٢٩ وغيرها ، وقد وفي ابن خلكان وياقوت نسبة وذكر أmafه من خلاف ، وتوجد هذه الايات في الكامل مع الرغبة ص ١٧٦ ج ٦ ، وفي الايضاح ص ٢٨ ج ٣ مع البغية (٢) جيل من الهند أو السند ، والكلمة معرب « جت » بفتح أوله .

(٣) قال في القاموس : « والقياس يقتضي فتح معربه أي كلمة الرط (٢) »

كان له في الجو حبلا يبوعه إذا ما انقضى حبل أتيح له حبل (١)
يعانق أنفاس الرياح مودعاً وداع رحيل لا يحط له رحل
التشبيه في البيت الأول للمصلوب بالذي يظل يبوع حبلا بعد حبل ،
شبيهه بالتشبيه الأول ، لأنه لما اشترط أن يكون كلما انتهى من حبل هيء
له حبل آخر يبوعه كان كقول الأول : « مواصل لتمطيه من السكسل » في
التنبيه على مواصلة مد الباع ، لأنه إذا كان لا يزال يبوع حبلا بعد حبل لم
يقبض باعه ، وفي ذلك بقاء شبه المصلوب (٢) مع بيان سببه وهو : بوع
الحبل .

أما البيت الثاني ففيه استعارة بالسكنية ، شبه المصلوب وهو مادّ ذراعيه
للرياح ، براحل يمد ذراعيه لعناق محبوب يودّعه وداع من لا عودة له من
رحلته ، ودل على هذا التشبيه بإثبات العناق له ، وهذا الإثبات :
استعارة تخيلية .

فرق آخر بين التشبيه التمثيلي والتشبيه غير التمثيلي :

هذا فرق آخر بين الضربين ، من جهة « العكس » ، أي جعل الفرع
« المشبه » أصلاً « مشبهاً به » ، والأصل « المشبه به » فرعاً « مشبهاً » على
الحقيقة ، أي أن يكون الغرض بعد العكس بيان حال المشبه أيضاً كما
كان قبله .

حكم التشبيه غير التمثيلي : أنه يحى فيه هذا العكس مجيئاً حسناً ، وينقاد

(١) البوع - بفتح أوله - « الباع بالشيء » ، كالتبوع ، ومعنى يبوعه

يقيسه بباعه . انظر في ديوان المعاني ص ٧١ ج ٢ بعض أبيات في وصف المصلوب فراجعها

(٢) في ديوان المعاني ص ٧١ ج ٢ بعض أبيات في وصف المصلوب فراجعها

إن شئت .

انقياداً لا تعسف فيه ، ولا يمتنع إلا في حالة واحدة :
بيان ذلك : أننا إذا استقر بنا التشبيهات الصريحة وجدنا ذلك العكس
يكثُر ويستمر فيها ، فإن البلغاء يشبهون النجوم بالمصابيح ، والمصابيح بالنجوم
والخُد بالورد ، والورد بالخُد ، والروض المنور بالوشى ، والوشى بالروض ،
والعيون بالترجس ، والترجس بالعيون ، والسيف بالبرق ، والبرق بالسيف
إلى غير ذلك مما لا حصر له ، وقد أطنب الشيخ في الاستشهاد له (١) ،
وغرضهم في كلا الحالين : بيان حال المشبه .
وسر ذلك : أن وصف المشبه به الذى قصد مشاركة المشبه له فيه
متحقق فيهما ، من حيث الجنس والحقيقة ، وتجده العين في هذا كما تجده
في ذلك ، فأنت ترى مثلاً فى السيوف : لمعانا ، مستطيلاً ، سريع
الحركة ، وتجده ذلك بعينه ، أو قريباً منه فى البرق ، وتجده فى الخُد من اللون
والصفة ما تجده فى الورد ، وفى العيون من ذلك ما تجده فى الترجس وهكذا
وإذا كانت العين ترى من هذا ما ترى من ذاك ، لم يكن تشبيه أحدهما
بالآخر إلا كتشبيه الآخر به ، فأيهما أراد المتكلم بيان حاله جاز له أن يجعله
مشبهاً ، ويجعل الآخر مشبهاً به ، ويكون الأول فرعاً ، والثانى أصلاً على
الحقيقة ، وفى ظاهر الأمر وباطنه ، ويكون التشبيه مطرداً فى الحالين .

متى يمتنع عكس التشبيه الصريح (٢) ؟

لا يمتنع عكس التشبيه الصريح على الحقيقة إلا فى صورة واحدة ،
وهى أن يكون بين الطرفين تفاوت كبير فى الوصف الذى جرى بالتشبيه من

(١) راجع أسرار البلاغة من ص ١٧٧ - ١٩٠ « الطبعة الثالثة » وسيدكر

الأستاذ المؤلف كثيراً من شواهد فيما بعد

(٢) راجع كلام عبد القاهر فى هذه المسألة من ١٩١ - ١٩٦

أجله ، ثم يكون غرض المتكلم منه إلحاق الناقص بالكامل مبالغة ، ودلالة على امتيازها عن غيره في ذلك الوصف . مثال ذلك ، قولك : هو كخافية الغراب الأسحم ، أو كالقار ، أو كالليل ، تريد المبالغة في وصفه بالسواد ، وأن تثبت له سواداً زائداً على المعهود من جنسه . لا يصح أن تعكس هذا التشبيه فتقول خافية الغراب ككذا في السواد ، تريد أن تبالغ في وصف الخافية بالسواد .

وسر الامتناع ، أمران :

- ١ -- أن المفروض أن « خافية الغراب » أقوى شيء في السواد ، فإذا شبهت بغيرها لبيان شدة سوادها ، دل على أنها أضعف منه ، وهو تناقض
- ٢ -- أن قياس القوى على الضعيف للمبالغة خلاف المعقول ؛ ولذلك عابوا على الباحثرى تشبيهه الليل بالمداد ، للدلالة على شدة سواده حين قال (١) :

على بابِ قنَّسرين والليلُ لاطخُ جوانبه من ظلمةٍ بمدادٍ
فإن قوله : « من ظلمة بمداد » تشبيه للظلمة بالمداد ، بين فيه المشبه به بالمشبه ، وهو غير سديد ، لأن الليل - بالسواد وشدة - أحق وأحرى أن يشبه به ، وليس المداد بأقوى منه في ذلك ، فرب مداد قد نضاً لونه وذهب ، وفي : « لاطخ جوانبه » استعارة . والجيد تشبيه ابن الرومي « الحبر » بالليل للمبالغة في سواده حين قال :

حبرُ أبي حفصٍ لعابُ الليل (٢) يسيلُ للإخوانِ أيَّ سيلٍ

(١) من قصيدة في مدح الأمير العربي أبي مسلم البصري ، وقوله
وما بلغ النوم السامح لذة سوى أرقى في جنبها وسهادى

(٢) بعد هذا في الديوان قوله : - « كأنه ألوان دهم الليل » يسيل إلخ .

بغير وزنٍ وبغير كيلٍ

هذا، وهناك أشياء هي أصول في بعض الأوصاف، كالشمس في الظهور والنور والشهرة، والقمر في الحسن، والمسك في الطيب، والعسل في الحلاوة، والصاب في المرارة، والبحر في الغزارة، والأسد في الشجاعة «وحاتم» في الكرم، «ومادر» في البخل، إلى غير ذلك مما لا يحصى، فإذا شبه بواحد منها للمبالغة لم يصح العكس مع كون الغرض المبالغة أيضا في وصف المشبه، لأن ذلك غير معقول، ومؤدًى إلى التناقض - كما سبق - .

اعتراض، قد يقال: إن البلغاء شبهوا غرة الفرس الأدهم بالصبح، ثم عادوا فشبهوا الصبح بغرة الفرس الأدهم، مع أن البياض في الصبح أقوى وأكمل منه في الغرة، فالقول بأنه إذا كان المشبه به أقوى في الوصف لا يصح العكس، باطل؟

والجواب: أن العكس إنما يكون باطلا إذا كان الغرض المبالغة، وإلحاق الناقص بالكمال، والبلغاء هنا لم يقصدوا إلى ذلك، وإنما قصدوا إلى اشتراكهما في الشكل والصورة، أي: حصول بياض في سواد أكثر منه، وهذا الوصف موجود في كليهما، أي في غرة الفرس الأدهم، والصبح أول ما يبدو في الليل، فإذا عكس لم يكن هناك تناقض.

ونظير ذلك قول ابن المعتز:

نقلتُ الدُّجَى والفَجْرُ قد مدَّ خيطه (١)

رداءً مُوشًى بالكواكب مُغفلا

(١) هذا الأسلوب مأخوذ من قوله تعالى «حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من

الخيط الأسود من الفجر» .

وقوله : « ... »

والليل كالحلّة السوداء لاح به من الصباح طراز غير مرقوم (١) يشبه في الأول الليل - وقد بدا فيه عمود الصبح - برداء أسود موشى معلم ، أى ذى أعلام ونقوش ، وفى الثانى . الليل - وقد بدا فيه الصبح أيضاً - بحلة سوداء ، مطرزة بطراز أبيض ، فالعلم فى الرداء ، والطراز فى الحلة فى مقابلة الصبح ، مع أن التفاوت فى المقدار والياض شديد ، ولكنه صح لأنه لم يقصد إلى مبالغة ، وإنما قصد ظهور شيء أبيض فى جوانب شيء أسود منبسط ، وهذا وصف موجود فى الطرفين جميعاً .

ومثل ذلك . تشبيه الشمس بالمرآة المجلوة ، وبالدينار الخارج من السكة كقول ابن المعتز .

وكان الشمس منيرة دينا رتجلته حديدية الضرب (٢) مع التفاوت الشديد فى اللعان والجرم ، لأنهم لم يقصدوا إليهما ، وإنما قصدوا إلى الشكل واللون ، وأن كلا منهما مستدير يتلأأ ، فأما مقدار الجرم والتلأؤ فلم يلتفت إليه .

(١) الطراز : علم الثوب وما يوشى به وفى القاموس أنه معرب وقال الجوالقي من ٢٢٣ من « المعرب » بفارسي معرب ، وقد تكلمت به العرب ، قال حسان :
بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الانوف من الطراز الاول
ومثله فى ذلك الطرز : وهو بفتح الطاء فقط ، وقد ضبط فى اللسان - بالقلم - بالسكس مراراً وهو خطأ ، قال روبة :
فاخترت من جيد كل طرز الفدا جواد الخرز البياض
والمزقوم المخطط .
(٢) الذى فى أسرار البلاغة طبعته الشيخ رشيد من ١٩٣ ، والمرادى من ٢٥٦ « حقائق » وهو خطأ لأن الحقائق لا محل لها فى موضعنا هذا ، ورواية الأيضاح من ٤٣ ج ٣ « حقائق » ، والفراب : الذى يغرب النقود ويحكمها (٢)

إذا تقرر هذا أمكننا ضبط ما يصح عكسه وما لا يصح بما يأتي :

الضابط :

١ - كل تشبيه صريح كان الغرض منه الجمع بين المشبه والمشبّه به في الصورة ، أو الشكل ، أو اللون ، أو هيئة ملتزمة من أمرين فأكثر ، على وجه يوجد في الفرع على حده في الأصل ، أو قريباً منه ، ولم يقصد فيه إلى مبالغة وإلحاق ناقص بكامل ، فإن العكس فيه يستقيم على سبيل الحقيقة .

٢ - وكل تشبيه قصد فيه إلحاق الناقص بالسكامل مبالغة في امتيازه على غيره في الوصف ، فإن العكس لا يستقيم فيه على سبيل الحقيقة ، وقد تقدمت الأمثلة والأدلة .

جواز عكس ما قصد فيه إلحاق الناقص بالسكامل على سبيل « التخييل » .

قلنا . إن نحو . هو كلك الغراب في السواد ، وزيد كالأسد ، ووجهه كالشمس ، لا يجوز عكسه على سبيل الحقيقة - لما تقدم .

ونقول الآن . إنه يجوز عكسه على سبيل « التخييل » ، وذلك أن يخیل المتكلم أن الشيء الناقص في الوصف قد كمل وازداد حتى فارق السكامل المعروف ، وصار جديراً بأن يجعل أصلاً « مشبهاً به » ، والسكامل فرعاً « مشبهاً » كما فعل محمد بن وهيب (١) حين قال (٢) .

(١) هو أبو جعفر محمد بن وهيب الجبلى أحد الشعراء المشهورين بالمعاني الجديدة والأساليب السليمة في العصر العباسي ، نشأ في البصرة ورحل إلى بغداد ، ثم اتصل بالمأمون ومن بعده بالعتصم وكان من مداحيهما ، على أنه كان يتشيع ويمدح آل البيت النبوي ، وله فيهم آثار خالدة ومراث كثيرة ، وله ترجمة في معاهد التنصيص من ٧٤ - ٨٠ ج ١ ، ومجموع الشعراء من ٤٢٠ .

(٢) من قصيدة يمدح بها المأمون ، وقبل البيت :

وبدا الصبح كأن غرته وجه الخليفة حين يمدح
فقد خيل بتشبيهه هذا أن وجه الخليفة قد زاد في الضياء ، وانتهى منه
إلى أبعد غاية حتى صار أولى من الصبح بأن يكون أصلا فيه ، فصح له بناء
على هذه الدعوى أن يشبه به الصبح ، فظاهر هذا التشبيه . أنه يبالغ في وصف
الصبح بالضياء بقياسه على وجه الخليفة ، وحقيقته ، أنه يبالغ في بياض وجه
الخليفة ، فالغرض في الحقيقة بيان حال وجه الخليفة لبيان حال الصبح ، فلم
يخرج الفرع - بحله أصلا في الظاهر - عن كونه فرعاً في الحقيقة . وهذا ما سماه
المتأخرون ، « التشبيه المقلوب » ، وقالوا : إن فائدته عائدة على المشبه به - كما أوضحنا -
وقس على ذلك . الأسد كزبد ، و « حاتم » كفلان ، والشمس كوجه إلخ .
أما التشبيه الذي تعود فائدته على المشبه فيسمى : « التشبيه المطرد » ، وهو
الأصل الغالب .

تنبيه : عهد الشيخ موازنة (١) بين قول ابن وهيب . « كأن غرته وجه
الخليفة » ، وقولهم . وجه الخليفة أضوأ من الصبح ، ونور الضبح مسروق من
ضوء جبينه ، وما شاكل ذلك . وخلاصتها . أن الأسلوبين يتفقان في أن في
كل منهما ادعاء أن الناقص في الوصف قد فاق الكامل فيه ، على جهة الإغراق
والمبالغة ، ويفترقان في أن الأسلوب الأول تشبيه ، والثاني ليس بتشبيه ،
وفي أن أسلوب التشبيه فيه خلافة ، وشيء من السحر ، لأنه يوقع المبالغة في
نفسك من حيث لا تشعر بها ، ويفيد كما من غير أن يظهر ادعاؤه لها ، وذلك
أن الأصل في التشبيه إذا قصد به المبالغة أن يكون المشبه به أقوى في وجه

= مازال يلحنى مرأشه

ويلحن الأبريق والقوح

حتى استرد الليل خلته

وبدا خلل سواده وضع

(١) ص ١٩٥ من أسرار البلاغة

(١) ص ١٩٥ من أسرار البلاغة

الشبه وأتم، وأن يكون ذلك أمراً متفقاً عليه بين المتخاطبين، فإذا قلت: كأن الصبح وجه الخليفة، فقد وضعت كلامك وضع من يقبس على أصل متفق على كماله في الوصف. لا حاجة به إلى دعوى، ولا خوف من خلاف مخالف، وأوقعت في وهم مخاطبك أنك قد اجتهدت في طلب شبيه للصبح تفخم به أمره، فلم تجد أقوى وأخف من وجه الخليفة، فيقع في نفسه كمال هذا الوجه في الإشراق والبياض على أنه أمر محقق، لا دعوى مدع ولا تخيل مخيل، والمعاني إذا وردت هذا المورد كانت النفس بها أفرح، وأشد سرورا، لأنها تكون كالنعمه لا تكدرها المنه. « لان المتكلم إذا أخفى غرضه كنت كأنك استفدته من غير متكلم، كما تستفيد النعمه من غير أن يكون لأحد يد فيها. »

ونكتة أخرى: وهي أنك تستفيد الربح في صورة رأس المال، وتملأ يدك من الفائدة من حيث تحسبها جازتك (١). « الربح والفائدة: المبالغة في كمال المشبه به ورأس المال: ظاهر التشبيه، وهو تفخيم المشبه. »
ملاحظة: هذه الموازنة تجرى في كل تشبيه مقلوب نحو: الأسد كفلان، والبدر كوجهه ونحوهما.

وهاك لطيفة أخرى تخص قول محمد بن وهيب: وهي أن الممدوح حين يصغى إلى المدح يقف بين أمرين يصعب الجمع بينهما:

١- الإصغاء إلى المادح، والارتياح له، والدلالة بالبشر والطلاقة على حسن موقعه عنده.

٢- ملك النفس حتى لا يغلبه السرور عليها، ويخرج بها إلى العجب المذموم، وهذا موقف تزل فيه الأقدام، ولا يسلم من ضعف النفس فيه إلا أفراد الرجال الذين حالفهم التوفيق، فإذا كان المدح كقوله: « وجه الخليفة حين يمدح، فقد حط عنه الشطر من تكاليف هذه الخصلة. »

هذا ملخص عبارة الشيخ . وفي الجملة الأخيرة غموض ؛ فهل أراد : أنه حط عنه عبء الأمر الأول ، بإثبات تهلل وجهه عند المدح ؟ أم أراد : أنه حط عنه عبء الخروج إلى العجب والكبر ، لانه أوهم أن المدح للصحيح لاله ؟ لا يزال الأمر غامضا .
وقد لخص صاحب « الإيضاح » (١) هذه النقطة فقال : « وفي قوله : « حين يمتدح ، فائدة شريفة ، وهي الدلالة على اتصاف الممدوح بما لا يوجد إلا فيمن هو كامل الكرم ، من معرفة حق المادح (٢) بالإصغاء إليه ، والدلالة بالبشر والطلاقة على حسن موقعه عنده ، ولم يذهب الشيخ إلى هذا ؛ وأغفل الرازي في « نهاية الإيجاز » هذه اللطيفة فأحسن (٣) .

حكم التشبيه التمثيلي

امتناع عكسه على التحقيق : إن قليلا من التأمل يدلنا على أن التمثيل ، يخالف « التشبيه الصريح » في جواز « العكس » ، وجعل الفرع أصلا ، والأصل فرعاً على سبيل التحقيق ، وأن يكون الغرض في حال العكس بيان حال المشبه من غير اعتبار تخيل في الكلام .

وسر ذلك : أن جواز « العكس » في « الصريح » مبني على أن وصف المشبه به موجود في المشبه بحقيقته وجنسه ، فتشبيه أحدهما بالآخر كتشبيه الآخر به ، لا يؤدي إلى تناقض ، ولا مخالفة للعقول - كما سبق - .

أما « التمثيل » فوصف المشبه به ليس موجوداً في المشبه بحقيقته وجنسه

(١) راجع ص ٤٠ ج ٣ « مع بنية الأيضاح » .
(٢) هناك كلام محذوف ، لعل الأستاذ المؤلف تركه لكونه غير ذي بال هنا ، ونصه « على ما احتشده من تزيينه » وقصده لتفخيم شأنه في عيون الناس بالأصغاء الخ .
(٣) راجع ص ٧٦ منه « فصل في الأغراض العائدة على المشبه » .

ولذلك يحتاج في الجمع بينهما إلى التأول ، وبيان أن الاشتراك في مقتضى الصفة لا في نفسها ، فلا يمكن أن يجيء فيه العكس كما جاء في الصريح .

وأیضا : يكثر في التمثيل تشبيه المعقول بالمحسوس وانتزاع الوجه للأول من الثاني ، فلو عكس كان في ذلك مخالفة للعقل من جهتين :

الأولى : أن اتصاف المعقول بوصف المحسوس إنما جاء من طريق تشبيهه بالمحسوس ، فلو شبهنا المحسوس به كان معنى ذلك : أننا نستفيد وصف المحسوس من المعقول ، وهو تناقض .

الثانية : أن المحسوس أظهر وأقوى من المعقول ، وأسبق حصولا للنفس ، فلا يكون هناك معنى لقياسه عليه .

مثال للتوضيح : ألفاظه كالعسل في الحلاوة ، الغرض من هذا التمثيل
بيان أن ألفاظه مرضية ، فلو قلنا . العسل كالألفاظ في الحلاوة ، وأردنا بيان حال المشبه ، لكان ذلك محالا ، لأن وصف الألفاظ بالحلاوة إنما جاء من تشبيهها بالعسل ، وسبق معرفتنا بحلاوته ، ثم من استعارة الحلاوة من الألفاظ بناء على هذا التشبيه ، ولولا سبق معرفتنا بذلك ، وجرى العرف بالتشبيه المذكور ، لما كان لهذه الاستعارة معنى ، لأن كل مجاز أو مبالغة لابد أن يستند إلى حقيقة ، فلا بد من معرفة حلاوة العسل أولا ليتمكن وصف الألفاظ بالحلاوة ، فلو عكسنا ، وأردنا معرفة حلاوة العسل من الألفاظ كان ذلك مخالفا للمعقول .

جواز عكس التمثيل ، على طريق التخيل .

نعم يجوز عكس التمثيل على طريق « التخيل » ، وبيان ذلك في هذا المثال . أنه لما جرت العادة بتشبيه الألفاظ بالعسل ، واستعارة الحلاوة لها في نحو . ألفاظ حلوة ، فقد يخيل الشاعر أو الناثر - على عادتهم في المبالغة

والاغراق - أن ألفاظه حلوة حقيقة ، ثم إنها أكمل في الخلاوة من العسل ، فيصح له بناء على هذه الدعوى أن يجعل الالفاظ أصلا ، والعسل فرعاً ، لكن لا يكون الغرض من هذا التشبيه بيان حال العسل على التحقيق . وإنما الغرض المبالغة في وصف المشبه به بالقبول ، فالغرض في هذا المثال عائد على المشبه به . ويتبين من هذا : أن حكم التمثيل حكم ما قصد فيه المبالغة ، والحق الناقص بالكمال من التشبيه الصريح ، وهو أنه لا يجوز عكسه إلا على سبيل « التخييل » .
لكن يوجد فرق بين التخييل هناك . والتخييل هنا ، في « الصريح » تخييل واحد ، وهو إيهام أن الناقص في الوصف قد كمل فيه حتى فاق الكامل المعروف ، وفي « التمثيل » تخيلان :

أحدهما : إيهام أن المعقول موصوف بوصف المحسوس حقيقة .
ثانيهما : إيهام أنه أعرف من المحسوس بهذا الوصف .
وهاك أمثلة كثيرة على هذه القاعدة ، عكس فيها « التمثيل » : قال القاضى التنوخى (١) :

وكان النجوم بين دجاء سُننٍ لاح بينهنَّ ابتداءً (٢)
الأصل : أن تشبّه السُنن والبدع التي هي أمور معقولة بالنجوم

(١) تقدم التعريف به وذكر مواطن ترجمته ص ٣١ .
(٢) هذا البيت من قصيدة ذكر منها ستة أبيات في ص ٣١٠ ج ١ من اليتيمة ، وه في ص ١٣٥ ج ١ معاهد التخصيص وسيأتى بعضها ورواية الايضاح ص ١٥ ج ٣ وكذلك التلخيص وبعض شروحه « بين دجاها » ، قال السعد : « الضمير في دجاء ليل ، وفي دجاها للنجوم » وراجع ص ٣٢٢ ج ٣ من شروح التلخيص ، وما هنا رواية اليتيمة وأسرار البلاغة وهي أصح .

والدجى التى هى محسوسة ، ووجه الشبه عقلى ، آت من طريق « التأول » ، وإرادة مقتضى وصف المشبه به ، وهو أن كلاً من السنن والنجوم سبب الاهتداء والنجاة ، وكلاً من البدع والدجى سبب الضلال والهلاك ، ولكن الشاعر عكس ، على طريق التخيل ، فخيّل أولاً أن السنن موصوفة بالبياض حقيقة ، بناء على أنه شاع وصفها بالبياض على سبيل الاستعارة المبنية على تشبيهها بما هو أبيض كما فى قوله صلى الله عليه وسلم : « أتيتكم بالحنيفية البيضاء » ، وأن البدع موصوفة بالسواد لما شاع من وصف البدعة والكفر بالسواد ، بناء على تشبيهها بما هو أسود ، ثم خيل ثانياً - بناء على ذلك - أن السنن أعرف بالبياض والسواد من النجوم والدجى ، فصح له - بناء على هذه الدعوى - أن يعكس ، ووجه الشبه على هذا : ظهور أشياء بيضاء مشرقة بين أخرى سوداء مظلمة .

هذا ، والمراد من « السنن » ما ثبتت موافقته للشريعة الغراء ، ومن « البدع » : ما ادعى أنه من الشريعة وليس منها . وفى قوله : « سنن لاح يبينن ابتداع » قلب ، والمعنى : سنن لاحت بين الابتداع ليتفق الطرفان ؛ ونسكتة القلب - على ما قيل - : الإشارة إلى قلة البدع فى جنب السنن ، هذا معنى للبيت .

ويمكن أن يكون معناه : إن النجوم قد ازدادت حسناً وبهاء ، بسبب اقترانها بسواد الليل ، كما أن السنن تزداد نبلا فى النفس ، وحسناً فى مرآة العقل إذا قرنت بالبدع القبيحة ، والشبه المفضوحة ، كما فعل البحرى فى وصف خلائق ممدوحه حين قال (١) :

وقد زادها إفراط حسن جوارها خلّاق أصفار من المجد خيب
وحسن درارى الكواكب أن ترى طوالع في داج من الليل غيب
أراد : أن خلّاق الممدوح السكرية قد ازدادت حسنا وجمالا بمجاورتها
لخلّاق قوم خالين من المجد خائنين ، كما أن الكواكب تزداد حسنا وإشراقا
إذا طلعت في ليل داج ، شديد الظلمة .

(١) والتفيل في البيتين غير معكوس ، فقد شبه فيهما المعقول بالمحسوس .
أما البيت الذى معنا فهو على هذا الوجه أيضاً « تمثيل معكوس ، جعل
فيه الحسى مشبها بالعقلى ، فبك حاجة لأن تتخيل في السنة والبدعة لونى
البياض والسواد ، ومنظر المشرق المبتسم ، والأسود الأقم ، حتى يكون
لون السواد يزيد في بريق البياض ، ثم تدعى بعد ذلك أن المعقول أعرف
من المحسوس ، وتجعله أصلا يقاس عليه ، وهذا البيت من قطعة يقول فيها :

رُبَّ ليلٍ قطعته كصدود (١) وفراقٍ ما كان فيه وداعُ
موحش كالثقل تقضى به العين ، وتأبى حديثه الأسماك
وكان النجوم بين دُجَاهُ ... البيت وبعده :
مشرقات كأنهنَّ احتجاج فيه للخضم والظلام انقطاع (٢)

تشبيه الليل المحسوس بالصدود ، والفراق المعقولين ، عكس للتمثيل
على طريق « التخيل » ، فحيل أولا : أن للصدود والفراق سواداً ، وثانياً :
أنهما أعرف به من الليل .

(١) رواية أسرار البلاغة ص ٢٠٠ « كالصدود » وهى خطأ .

(٢) رواية البيتة « حجاج تقطع الخضم » وكذلك فى معاهد التنصيص ، وفى
تعليق الشيخ المرائى ص ٣٦٠ « حجاب » وهو خطأ لعله مطبوع ، ورواية أسرار البلاغة
« حجاج بقطع » .

وكذلك تشبيه النجوم المشرقة ، بالحجة القاطعة للخصم ، خيل أولاً :
 أن للحجة إشراقاً ، وثانياً : أنها أعرف به من النجوم .
 أما تشبيه الليل بالثقل في الإحاش ، والنسفرة منه ، وعدم استطابته ،
 فهو تشبيه محسوس بمحسوس في وجه عقلي ، لا عكس فيه ، وهو تمثيل .
 وقال أبو طالب الرقي :

ولقد ذكرتكَ والظلام كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يعشق (١)
 الأصل : أن يشبه يوم النوى بالظلام بطريق التأول ، واسكنه عكس ،
خيل أولاً : يوم النوى له سواد ، بناء على أن الأوقات المكروهة توصف
 بالسواد على سبيل الاستعارة ، بناء على تشبيهها بالشيء الأسود ، كما يقال
 أسودّ النهار في عيني ، وأظلمت الدنيا في وجهي ، ثم خيل ثانياً : أنه أعرف
 من الليل بالسواد فجعله أصلاً ، والظلام فرعاً .

وأما تشبيه الظلام بفؤاد لم يعشق فهو من عكس التمثيل أيضاً على سبيل
 التظرف ، والجرى على عادة الغزلين الذي يدعون أن من لم يعرف العشق
 قاسى القلب كما قال الأحوص (٢) :

إذا أنت لم تعشق ولم تدري ما الهوى

فكن حجيراً من يابس الصخر جليداً

والقلب القاسى يوصف بالسواد على سبيل الاستعارة ، خيل أولاً : أن
 قلب الخالى أسود ، وثانياً : أنه عرف بالسواد من الظلام - ومن هذا القليل

(١) البيت من قصيدة تقدم بيت منها وذكر مرجعها وترجمة الشاعر ص ٤٠ .

(٢) تقدم البيت .

قول العامة : « ليل كقلب المتناق » - ولا يخفى أن المشبه به هنا ، وهو قلب من لم يعشق ، جسم قابل للسواد عقلا ، بخلاف : البدعة ، أو الالفاظ ، ونحوها مما لا يقبل اللون .

وقال آخر (١) :

كَأَنَّ انْتِضَاءَ الْبَدْرِ مِنْ تَحْتِ غَيْمِهِ
نَجَاءٌ مِنَ الْبِأْسَاءِ بَعْدَ وَقُوعِ (٢)

فإن النجاء من البأساء أمر معقول ، وخروج البدر من الغيم أمر محسوس وقد جرت العادة أن يشبه المتخلص من البأساء بالبدر الذي ينحسر عنه الغيم تشبيها تمثيلا مر كبا ، ووجه الشبه الظاهر : أن كلا قد انجذب عنه الظلام الذي كان يحجب ضوءه ، فظهر أبهى وأضوأ ، والحقيقى لازم ذلك ، وهو أن كلا قد فارقه الأمر المسكروه الذى يخفى مجاسنه ، وقد عكس الشاعر ذلك ، مخيلا أن للبأساء ظلاما ، ولأن أصابته ضياء ، والأول يغطى الثانى ، وأنهما أعرف فى ذلك من الغيم والبدر .

وأوضح من ذلك قول ابن طباطبأ (٣) :

(١) ينسبه بعضهم لابن طباطبأ الآتى ذكره .

(٢) انتفى السيف : سله — كتنضاء ، مخففة — وانتضاء البدر : ظهوره من دائرة الغيم ، والبأساء — كالبؤس — : الداهية .

(٣) يوجد أربعة أعلام بهذا الاسم هم بحسب تاريخ الوفاة « ١ » محمد بن إبراهيم ابن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب ، ثار فى الكوفة أيام المأمون وقوى أمره ولكنه توفى فجأة سنة ١٩٩ هـ ، ٨١٥ م وقيل مات مسموما وترجمته فى الأعلام ص ٨٣٩ .

« ب » أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل المتقدم ، ولد بأصبهان وكان شاعرا مقلعا وأديبا كبيرا ، وهو المراد هنا وصاحب البيت السابق فى رواية وله مؤلفات كثيرة ذكرها مترجوه وقد توفى ببلده سنة ٣٢٢ هـ ، ٩٣٤ م وترجمته وسبب تلقيبه بهذا القب فى معاهد التصبىص : ١ ، ١٧٩ ، الأعلام ٨٤ ، معجم الأدباء ١٧ .

صحو ، وغيم ، وضياء وظلم مثل سرور شابه عارض غم^١
 فالأصل : أن يشبه الغم بالظلام وبالغم ، والسرور بالصحو والضياء ،
 بطريق التأول ، فعكس الشاعر ، وجاء بهذا التشبيه المركب يشبه اختلاط
 الصحو بالغم ، والضياء بالظلمة ، باختلاط السرور بالغم ، بخيلا أن للسرور
 نوراً ، وللغم ظلاماً ، وأنهما أعرف في ذلك من الصحو والغم .
 ومن عكس التمثيل قول القاضى التنوخى :

فانهض بنار إلى غم كأنهما في العين ظلم وإنصاف قد انفق
 خالف الأصل هنا أيضاً ، فشبه المحسوس « النار مع الفحم » بالمعقول
 « الظلم مع الإنصاف » ، بخيلا أن للظلم سواداً ، وللإنصاف بياضاً ، إذ يقال
 للحق : منير واضح ، بناء على تشبيهه بالشيء المنير ، وللظلم : مظلم أسود ،
 بناء على تشبيهه بالشيء الأسود ، ثم خيلا أنهما أعرف بالإشراق والإظلام
 من النار والفحم ، وبعد البيت (١) :

جاءت ونحن كقلب الصب حين سلا
 برداً ، فصرنا كقلب الصب إذ عشقا

١٤٣ ، معجم الشعراء ٤٦٣ ، الفهرست ١٦٩ ، أدب العرب ١٠١ « د » أبو القاسم
 أحمد بن محمد بن اسماعيل أخى محمد المذكور فى رقم « ا » ، كان تقيب الطالبين بمصر
 ومن أكابر رؤسائها وله شعر غزير اشتهر فى الزهد والفول ، توفى سنة ٣٤٥ هـ ، ٩٥٦ م
 وترجمته فى الأعلام ٩٢ ، ووفيات الاعيان ١ : ٢٧٧ « دار المأمون » النتيجة ١ : ٣٦٩
 وغيرها . « د » محمد بن على بن طباطبا المعروف . بابن الطقطقى - بكسر الطاءين - ،
 وهو من أهل الموصل ، ومؤلف كتاب « الفخرى » فى التاريخ ، توفى سنة ٧٠٢ هـ ،
 ١٣٠٢ م والثانى منهم هو المراد .
 (١) هذان البيتان من أربعة ذكرت فى أسرار البلاغة ص ٢٠٠ ، ومما هـد التمهيد
 ١ : ١٣٧ ، والنتيجة ٢ : ٣١٣١ فراجعهما إلى شئت . وميقتاً له له فى سقا الشم خبطة

لما كان يقال لقلب العاشق : « إنه حار » ، على سبيل الاستعارة ، لزوم من ذلك أن يقال لقلب السالى : « إنه بارد » ، كذلك ، فخل الشاعر أن لقلب العاشق حرارة ، ولقلب السالى برداً ، فشبه نفسه ومن معه بهما قبل الدفء وبعده والمشيبه به محسوس قابل للحرارة والبرد .
وقال ابن بابك :

وأرضاً كاخلاق الكرام قطعتها وقد كحل الليل السماء فابصر (١)

السعة والضيق من أوصاف الأماكن المحسوسة حقيقة ، وصفت الأخلاق بهما على سبيل الاستعارة ، بناء على تشبيهها بالمكان ، وقد عكس الشاعر هنا ، فشبه الأرض بأخلاق الكرام فى السعة ، على سبيل التمثيل ، إذ خيل أولاً : أن أخلاق الكرام واسعة حقيقية ، وثانياً : أنها أعرف بذلك من الأرض ففعلها أصلاً ، والأرض فرعاً .

ومعنى الشطر الثانى - فى رأى - : أن الليل قد اشتدت حلوكته ، حتى لمع فيه السماء ، وظهر ضوءه ، وذلك أن السماء لا يظهر إلا فى الليالى الخالكة والسكلام - حينئذ - استعارة مركبة ، شبهت حال الليل مع السماء ، وقد أثرت حلوكة الأول وسواده فى الثانى ، فزال ضعف ضوءه ، وظهر جلياً ، بحال رجل معه كحل أسود وضعه فى عين مريضة فزال مرضها ، وقوى بصرها ثم استعيرت ألفاظ المشبه به للشبيه .
وقال أبو طالب المأمونى (٢) :

(١) السماء كان - - - - - الأعزل والرامح - - - - - نجمان نيران يلفت نورهما النظر ، راجع إذا أردت ما كتب عن ابن بابك ص ١١٠ .

ورواية أسرار البلاغة ص ٢٠١ « كاخلاق الكرم » وما هنا أشهر .

(٢) هو كما يقول الثعالبى - - - - - أوحده أفراد زماته شرف نفس ونسب ، وبراعة فضل وأدب ، واسمه عبد السلام بن الحسين - - - - - أولاد أمير المؤمنين المأمون ، اتصل بالضاح بن عباد وصار من قدمائه وشعرائه ، ثم أصابته عين حساده ففرق شملهما بعد - - - - -

وفلا كما مال يضيق بها الفتي لاتصدق الأوهام فيها قيلا (١)
أفريتها بشمالة تقرأ الفسلا عنقا وتقرئها الفلاة نحو لا (٢)
السعة حقيقة « الفلاة » ، مجاز بالاستعارة المكنية في « الآمال » بناء
على تشبيهها بالمكان الواسع ، فتخيّل الشاعر أن الآمال واسعة حقيقة ، إذ
يقال : آمال واسعة ، وآمال طوال لا آخر لها ، ثم خيل أنها أعرف من
الفلاة بذلك .

ومن عكس التمثيل ، قول ابن طباطبغا (٣) :

رُبَّ لَيْلٍ كَأَنَّهُ أَمَلِي فِيهِ لَكَ وَقَدْ عَدْتُ مِنْكَ بِالْحَرَمَانِ
جَبْتُهُ وَالسُّجُومَ تَنْعَشُ فِي الْأَفْ ق ، وتطرفن كالعيون الزَّوَانِي (٤)

== أن استأذنه في العودة إلى بغداد ، ويقال إنه طمع في الخلافة ولكنه مات سنة ٣٨٣ هـ
٩٩٣ م ، وأخباره في اليتيمة ٤ : ١٤٩ — ١٧٩ ، الاعلام ٥٢٠ ، قوات الوفيات ١ :
٢٧٣ وغيرها .

(١) الفلا = بوزن الفتي = جمع فلاة ، وهي الأرض القفر أو المقاعة لأماء
فيها ، أو الصحراء الواسعة .

(٢) أفريتها — بالفاء — : قطعها وكذلك فريتها — بتخفيف الراء — وفريتها
— بتشديد هاء — وفي « تقرأ الفلا » استعارة تبعية أو مكنية ، وكذلك في « تقرئها
الفلاة » . والشملة — بكسر الشين والميم وتشديد اللام — الناقة السريعة ، كالشمان والشملاء
والشمليل — بكسر الشين فيها جميعا — ، والعنق : نوع من الصير السريع ، وفي نسختي
الشيخين رشيد والمراغي ص ٢٠١ ، ٢٦٧ « أفريتها » بالقاف وهو خطأ صوابه ما هنا
والقري ما يقدم للاضياف .

(٣) هو السابق ص ٢١٣ .

(٤) جبته : قطعه ، وتنعش : ترتفع ، وتطرفن : تبدو وتختفي ، من طرف بعينه
إذا أطبق أحد الجفنين على الآخر ، ثم حركة وضبط الشيخ المراغي كلمه الزواني —
بالراء — جمع رانية ص ٢٦٧ والرنو — كعتو — إدامة النظر مع سكون الطرف ، وهذا
المعنى يضعف هذا الضبط . ويرجع روايتها بالزاي كما فعل عبد القاهر — ص ٢٠٢ — لأن
الدين الزانية أي الفاجرة — كما في القاموس — هي التي تأتي هذه الحركات المعروفة .

هارباً من ظلامِ فِعْلِكَ في نَحْوِ ضِيَاءِ الْفَقِي الْأَعْرَجِ الْهَجَّانِ (١)
شبه هنا الليل المحسوس بالآمل ، لا في الطول والسعة ، ولكن في
الظلام ، والظلام في الليل حقيقة ، وفي الآمل مجاز ، فإنهم يشبهون الأمر
الذي لا يرجى نجاحه بالشئ المظلم الملتبس ، ولكن الشاعر هنا خيل أن
سواد الآمل حقيقة ، وأنه أقوى من سواد الليل ، فشبه الليل به ، مبالغة
في ذم المخاطب ، كأنه يقول : فكرت فيما أعلمه من الأشياء السود فرأيت
سواد أملِي فيكَ زائداً على جميعها ، فجعلته أصلاً أقيس عليه ظلمة الليل .
وفي البيت الثاني يشبه النجوم بالعيون الرواني في الانطباق والانفتاح ،
إذ معنى « تنعش » : تنفتح ومعنى « تطرف » : تنطبق ، وهو تشبيه صريح .
وفي البيت الثالث استعارة بالسكنابية في « ظلام فعلك » و « ضياء الفقي » ، شبه
الفعل بالشئ المظلم ، والفقي بالقمر المضيء ، وإثبات الظلام والضياء للدلالة
على هذا التشبيه .

ومن ذلك ، قول ابن المعتز :

لا تَخْلَطُوا الدُّشَابَ في قَدَحٍ بِهِنَاءٍ ماءٍ طيبٍ البردِ
لا تَجْمَعُوا بالله - ويحكم - غَلْظَ الوَعِيدِ ورَقَةَ الوَعْدِ
الدُّشَابُ : نبيذ التمر ، وهو غليظ القوام ، نهاهم أن يخلطوه بالماء الضافي
الرقيق إذ يكونون في عملهم هذا كمن يخلط الوعيد الغليظ بالوعد الرقيق .
الغَلْظُ في الدُّشَابِ ، والرققة في الماء حقيقيان ، وهما في الوعد والوعيد
مجازيان ، بناء على أنهم يشبهون القول المسكروه بالشئ الغليظ ، والقول

(١) الاغر الذي في وجهه غرة ، والمراد ذو الفعالة الغر ، والهجات من
الرجاء : الحسب .

(٢) في نسخة أخرى : لا تجمعوها بالله

الجميل بالشئ الرقيق ، فيقال : أغلظ له القول ، وكلمه كلاما رقيقا ، فإثبات الغلظ والرقه دليل على التشبيه ، لكنه هنا عكس ، فشبه النبيذ الغليظ بالوعيد والماء الرقيق بالوعد ، مخيلا أن غلظ الوعيد ، ورقة الوعد حقيقة ، وأنهما أعرف بذلك من النبيذ والماء .

قال الشاعر :

شربت على سلامة أفتسكين (١) شراباً صفوه صفو اليقين

يقول الشيخ : « إن الصفو في اليقين حقيقة كالصفو في الشراب ، فإن معناه : خلو الشئ عما يغيره ، فهو صالح للحس والعقل ، لكن لما غلب في العرف استعماله فيما له بصيص وبريق صار كأنه حقيقة في المحسوس ، مجاز في المعقول ، وعلى هذا يكون تمثيلا معكوساً كسابقه ، وأما قول .
جحظة (٢) :

ورق الجو حتى قيل : هذا عتاب بين جحظة والزمان (٣)

(١) أفتسكين : قائد من قواد الدولة البويهية ، كان أصله من الغلمان الأتراك ثم طهر أمره وتولى دمشق لمز الدولة من بويه ، ثم اغتفرج ليحارب جيش العزيز الفاطمي تزار بن معد « المزعز لدين الله » المتوفى سنة ٣٣٦ هـ ، فهزمه المصريون هزيمة منكرة وأخذ أسيراً مربوطاً عنقه بحبل ، ومع هذا أكرمه العزيز وأطلقه فظل بمصر حتى توفى سنة ٣٧٢ هـ ، ورواية الاسرار ص ٢٠٣ « فتكين » ولعل الهمزة سقطت عند الطبع .

(٢) هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي ، وابن المعتز هو الذي لقبه بجحظة لتوء كان في عينيه كما كان الجاحظ ، وكان الخليفة المعتمد يلقبه « بخنيناكر » - بفتح الحاء وسكون النون - كلمة فارسية معناها الغنى ، وقد كان شاعراً أدبياً ومنادماً ظريفاً كثير الرواية للاخبار متصرفاً في كثير من العلوم وتوفى سنة ٣٢٦ هـ ، ٩٣٦ م ، وترجمته وأخباره في الاعلام ٣٥ ، زهر الآداب ٢ : ١٥٧ والوفيات ١ : ١٨٦ ، ومجمع الادباء ٢ : ٢٤١ - ٢٨٢ وكذلك في الاغانى وتاريخ بغداد وغيرها .

(٣) يوجد هذا البيت في الوفيات وهو من أبياته السائرة .

وقولهم : هواء أرق من تشاكي الأحباب ، فمن التمثيل المعكوس على وجه التخييل ، لأن الرقة في الهواء حقيقة وفي العتاب والتشاكي مجاز ، على أن المثال الثاني ليس تشبيها اصطلاحيا .

وكذلك قول أبي نواس :
عَتَقْتُ فِي الدَّنِّ حَتَّى هِيَ فِي رَقَّةٍ دِينِي (١)
لأن الرقة حقيقة في الأجسام ، مجاز في المعاني كالدين .
وكذلك قول المتنبي :

يترشفن من فن وشفات هن فيه أحلى من « التوحيد »
وإن لم يكن تشبيها اصطلاحيا ، لكنه أشرك الرشفات والتوحيد في الخلاوة وهي حقيقة في الأول ، مجاز في الثاني ، وهو بما أخذ عليه (٢) .
ومن عكس التمثيل قول « الصاحب » (٣) ، وقد أهدى عطرا للقاضي أبي الحسن المجرجاني :

(١) يصف الخمر التي عبر عنها بالقهوة في قوله - قبل البيت :

قهوة غيب عنها ناظرا ريب المنون

(٢) قال ابن جنى في شرحه لديوان المتنبي : إنه أنشد في « هن فيه خلاوة التوحيد » .
وبحث ابن القطاع استعمال « أفعل » وذهب إلى أنها خمسة ، ثم حكم بأن المعنى هنا على المقاربة في التشبيه لا التفضيل كقولك الأمير أكرم من حاتم وأشجع من عنتره ، أو على المبالغة كقوله صلى الله عليه وسلم : « ما أقلت الفراء » ، ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر » ،
راجع تفصيل ذلك في ١ : ٣١٥ وما بعدها من التبيان . وقد دافع عنه بعض الأدباء بأن « التوحيد » المذكور في هذا البيت نوع من الخمر العراقي كان والد أبي حيان التوحيدي يبيعه وإليه نسب ، راجع رسالتي من ٣٢٦ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٧٩ طبعة بولاق سنة ١٢٩٩ هـ .

(٣) إسماعيل بن عباد المتقدم ذكره .

يأتيها القاضي الذي نفسى له مع قرب عهد لقائه مشتاقه
أهديت عطراً مثل طيب ثنائه فكانما أهدى له أخلاقه
فالأصل أن يشبه الثناء بالعطر تشبيها تمثيلاً ، محتاجاً إلى التأويل ، وإرادة
لازم صفة المشبه به ، ثم قد يستعار وصف المشبه به للمشبه ، بناء على هذا
التشبيه ، فيقال : ثناء عاطر ، ولكنه هنا قد عكس على التخيل ، وادعاء أن
الثناء عاطر حقيقة ، وأنه أعرف وأقوى في ذكاء الرائحة من العطر ، حتى
وجب أن يكون أصلاً في ذلك ، بحيث إذا قيس به نوع من العطر كان ذلك
مبالغة في وصفه بالطيب ، وتفضيلاً له على غيره .

تنبيه : ما كان من أمثلة عكس التمثيل مقصوداً في أصله الحاق الناقص
بالكامل والمبالغة ثم عكس لإيهام أن الناقص في الوصف فاق الكامل فيه
يعد المتأخرون من قبيل « التشبيه المقلوب » الذي تعود فائدته على المشبه به
مثل : العسل كالفاظه ، رب ليل كأنه أملئ فيك ، هواء مثل تشاكي الأحباب
أهديت عطراً مثل طيب ثنائه . وما ليس كذلك مما يظهر أن الغرض منه
بيان حال المشبه لم يعدوه من المقلوب ، وجعله صاحب « الإيضاح » من
« المطرد » وجعل وجه الشبه فيه مخيلاً في المشبه به .

ورأى الشيخ : أن كل تمثيل يكون الوجه فيه لازم صفة المشبه به إذا
جعل فيه الفرع أصلاً ، والأصل فرعاً كان « معكوساً » على اعتبار التخيلين
اللذين بينهما في كل مثال مما تقدم ، والله أعلم .

لطيفة . أنت : « التمثيل » في حكم من يرى صورة واحدة ، ولكنه يراها
تارة على حقيقتها ، وأخرى في المرأة ، ولكنك في « التشبيه الصريح » ترى
صورتين حقيقيتين .

تفسير ذلك : أنك حينما تقول : خذه كالورد في الحمرة ، ترى حمرة
الحد حقيقة ماثلة ، وحمرة الورد كذلك . لا تتوقف معرفة إحداهما على
وجود الأخرى بجوارها ، حتى لو فقدت إحداهما لم يؤثر ذلك في
العلم بالأخرى .

وأما نحو : كلامه كالعسل في الخلاوة ، فإنك وإن أثبت الخلاوة للطرفين
فليس هناك في الحقيقة إلا صورة واحدة تراها على حقيقتها في العسل ،
وأما خلاوة الكلام فهي صورة معكوسة لخلاوة العسل ، وليس لها وجود
في ذاتها ، حتى لو ارتفع العسل وفرضنا أنه لم يوجد أصلا لم يتصور فهم
الخلاوة في الكلام ، فلا تجد إلى وجودها فيه سيلا ، ولا تستطيع لها
تحصيلا ، لاجملة ولا تفصيلا ، وذلك بسبب الاختلاف بين الضربين من جهة
العكس - لو تأملت - والله أعلم .

شواهد على جواز عكس التشبيه الحسي

يشبهه البلاغ : النجوم بالمصابيح ، كقول حنيد المري (١) يصف

ليلا بالطول :

نجومه رُكَّدَ ليست بزائفة كأنما هنَّ في الجوِّ القناديل (٢)

(١) تقدم ذكره والبيت ، من قطعة تبلغ ثمانية أبيات في الحماسة ص ٢٢٥

ج ٤ ، وقد سبق منها بيت آخر .

(٢) ركد - كركم - جمع راكد ، أي واقفه لا تتحرك ، والبيت في معنى قول

امريء القيس :

فياك من ليل كان نجومه بكل منار الفتل شدت يذبل

ويعكسون ، فيشبهون « المصاييح بالبحوم » كقول السري الرفاء (١) ،
يمدح الوزير المهلب ، وقد ركزت له رماح ، عليها شمع عند إقبال الليل ،
فأضاء المكان وحسن :

لقى الشجوم وقد طلعتن بمثلها فأعاد جنح الليل وهو ضحاؤ (٢)
ويشبهون : « الخد بالود » كقول ابن المعتز :

غلالة خدّه وزد جنى ونون الصّدغ معجمة بحال
ويعكسون ، فيشبهون « الورد بالخد » كقول خالد الكاتب (٣) :

عشية حياني بورد كأنه خدود أضيفت بعضهم إلى بعض (٤)

(١) هو أبو الحسن السري بن أحمد بن السري السكندی الرفاء الموصلی الشاعر المشهور ، كان في صباه يرفو الثياب ويطرزها في دكان بالموصل ، ثم أولع بالأدب وفتقت شاعريته عن طبع سليم وشعر رصين رفعه إلى مصاف مداح سيف الدولة ثم انتقل إلى بغداد ومدح الوزير المهلب وسواه ، فنفق شعره وراج. وخصومته مع الخالدين أشهر من أن تذكر ، وقد ساء في معاهد التنصيص أحمد ، وتوفي سنة ٣٦٢ هـ وترجمته وأخباره في معجم الأدباء ١١ : ١٨٢ ، وفيات الأعيان ٦ : ١٠٥ ، معاهد التنصيص ٢ : ٩٦ ، البيهقي ٢ : ١٠٣ - ١٦٥ ، الفهرست ٢٤١ وغيرها .

(٢) الجنح : بالكسر أو الضم : الجانب أو الناحية أو الطائفة من الليل ، والضحاء - بفتح أوله - قرب منتصف النهار ، أي ساطعا مضيئا .

(٣) هو أبو الهيثم خالد بن يزيد - أو زيد كما في ياقوت - البغدادي ، شاعر مشهور رقيق الشعر كان كاتباً في الجيش ثم ولاء محمد بن عبد الملك الزيات بعض الأعمال في أحد الثغور ، وانتهى أمره بالهرم وتوفي سنة ٢٧٠ هـ ، ٨٨٣ م ، وترجمته وأخباره في معجم الأدباء ١١ : ٤٧ ، قوات الوفيات ١ : ١٤٩ ، زهر الآداب ٢ : ١٥٨ ، الاعلام ٢٨٧ ، الوافي بالوفيات ج ٤ قسم ٢ .

(٤) يوجد هذا البيت في الوساطة ص ١٥١ منسوخ بالخط بن الجهم كما يوجد ثانياً أربعة أبيات في زهر الآداب منسوبة لخالد ، وقوله :

رأت منه عيني منظرين كما رأت من الشمس والبدر المنير على الأرض

ويشبهون : « الروض المنور بالوشى » كقول ابن المعتز :
وكان الروض وشى بالغت فيه التيجار

ويعكسون ، فيشبهون « الوشى بأنوار الربيع » .
كقول بعض المعاصرين (١) :

ويبرزن فى وشى أنيق كأنه رياض جلت أزهارهن القطر
وقوله (٢) :

كان على طنائفسها رياضاً أجادت حوكها أيدي السحاب (٣)
ويشبهون : « النرجس بالعيون » كقول أبي نواس :

لدى زجس غض القطاف كأنه إذا مامنخاه العيون عيون (٤)
ويعكسون ، فيشبهون « العيون بالنرجس » ، كقول ابن الرومى :

لو كنت يوم الوداع حاضراً وهن يطفين غلة الوجد (٥)

(١) لعل القارئ الكريم ، قد أعجب أيماء إعجاب ، وعجب كل العجب من تذوق
الاستاذ المؤلف لتواحي الجمال الأدبى فى دراسته للايات الكثيرة التى مرت ، ولعله الآن
يزيد إعجابه ويؤكد عجبه اذا علم أن « بعض المعاصرين » الذى قال هذا البيت الجميل :
هو الاستاذ نفسه ، وقد أبى تواضعه الجمل إلا أن يحق نفسه تحت هذا السطر الاسلوبى .
(٢) هذا البيت أيضاً للاستاذ المؤلف ، وهو كسابقه من بدائع الشعر الوصفى .
(٣) الطنائفس . جمع طنفه - مثلثة الطاء والفاء ، وبكسر الطاء وفتح الفاء ،
وبالعكس - البساط والثوب والخميرة .
(٤) النمنم : الطرى الناعم ، والقطاف - كالتطف - مصدر تطف أى جنى ، أو القطف
اسم للقطوف .

(٥) يطفين أصلها يطفن أى يذهبن ، والفلة - بالضم كالفل والفلل « محركة »
والفليل - : المعش أو شدته أو حرارة الجوف .

لم نر إلا الدموع ساكبة تقطر من مقلة على خد (١)

كأن تلك الدموع قطر ندى يقطر من نرجس على ورد

التشبيه في البيت الأخير مركب ، شبهت صورة الدموع تنهل من العين على الخد ، بصورة قطر الندى يقطر من النرجس على الورد ، والعين فيه مقابلة للنرجس ؛ ووجه الشبه بين النرجس والعيون : الاتحاد في الشكل ، فكل منهما دائرة بيضاء ، تحيط بأخرى أصغر منها ، مخالفة لها في اللون ، وذلك أن زهر النرجس ورقه أبيض ، ووسطه أصفر ، كما أن ذلك أبو نواس في قوله بعد البيت السابق :

مخالفة أشكالهن ، فصفرة مكان سواد ، واليباض جفون (٢)

وقد يكون وسطه أحمر ، كما يؤخذ من تشبيهه بمداهن در حشوهن عقيق — فيما تقدم .

ويشبهون : « الشجر » وهو مقدم الأسنان « بالاقحوان » (٣) وهو زهر ذو ورق أبيض صغير ، يشبه الأسنان في لونه وشكله ، قال البحترى :

كانما يبسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقاح (٤)

(١) ساكبة — من سك مطاوع سكب سكباً وتسكباً فسكب سكوباً وانسكب — أى منصبة .

(٢) مخالفة : أى مختلفة .

(٣) هو المروف بالابونج — كما في القاموس — ووزنه « أفعلان » يضم الاول والثالث . ومثله القحوان — يضم الاول — والجمع أقاحى — كتمايل — ، وأقاح — كما ياد — .

(٤) المنضد — كالمنضود والنضيد — : المروصوف بضمه إلى بعض ، والبرد — محركة — : قطع الثلج الصغيرة .

ثم يعكسون : فيشبهون الآقحوان بالثغر ، كقول ابن المعتز :
والآقحوان كالثنايا الغرّ قد صقلت أنوارُهُ بالقطر (١)

وقول القاضي التنوخي :

أقحوانٌ معارقٌ لشقيقٍ كثغورٍ تعضُّ وزدَ الحدودِ
وعيونٌ من زرجسٍ تترامى كعيونٍ موصولٍ بالتسديد

ووصفها في البيت الثاني بالتسديد : إما ليدوم انفتاحها ، وإما لأنه أراد
تشبيه الزرجس بها في الذبول ، فقد قيل : إن في نوره انكسارا وفتورا ،
لا ترى فيه ورقة قائمة .

قال ابن المعتز :

وسننٌ قد خدع النعاسُ جفونه فحكي بمقاتته ذبولَ الزرجس (٢)

ويشبهون : « السيف بالبرق » كقول عنتره :

حسامٌ كالعقيقة فهو كمي سلاحي لا أفلٌ ولا فطار (٣)

العقيقة : البرق : المنعق ، أى المنشق . والسكع ، كحمل : الضجيع .
والأفل : المنثلم . والفطار ، بضم أوله : المنشقق .

ثم يشبهون « البروق بالسيف » كقول ابن المعتز :

وسارية لا تملُّ البكا جرى دمعها في خدودِ الثرى

(١) الثنايا : جمع ثنية - كعطية - وهى الأضراس الأربعة التى فى مقدم الفم تتناوب
من أعلى ، وثلثان من أسفل . ٢٨٢ ج ٢ فى قبلة الدنيا المربعة (٢)

(٢) الموشق - محركة - وبالتاء ، وبسكون السين ، وكمد ، شدة النوم أو أوله .

(٣) السكع - بكسر أوله - ومثله السكيع ، وهن معانيه : القباء ، وقد تقدم

شرح العقيقة .

سرت تقدح الصبح في ليلها ببرق كهنديّة تنبتضى (١)

السارية : السحابة ، واستعار البكاء للأطمان استعارة تصريحية أصلية ،
والدمع ترشيح ، والحدود ، جمع خد وهو : الحفرة المستطيلة كالأخدود ،
وهو تورية ، إذ يتوهم من ذكر البكاء والدمع أنه خد الوجه . ومعنى
« تقدح الصبح ببرق » : أنها تظهر برقاً شديداً بالصبح ، وهو من التجريد ،
المعتبر من التشبيه عند الشيخ ، ووجه الشبه بين البرق والسيوف : البياض ،
واللمعان ، والاستطالة ، والاضطراب .

وقال السّلامى (٢) يصف « نار السّدق » (٣) ، وهو عيد للفرس ، يكثرون
فيه النيران :

وما زال يعملو عجاج الدُّخانِ إلى أن تكوّن منه زُحُل (٤)

(١) الهندية : السيوف ، وتنبتضى : تسيل من أمحادها .
(٢) هو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد الخزومي ، من ولد الوليد بن الوليد
ابن المنيرة الخزومي أخى خالد بن الوليد بن المنيرة رضى الله عنه ، وسمى السّلامى نسبة
إلى دار السلام « بغداد » ولد في بغداد سنة ٣٣٦ هـ ٩٤٨ م ورحل إلى الموصل ثم أصهان
فانصل بالصاحب بن عباد الذى رفع منزلته وأحلّه مكاتته ، وبعد السّلامى من أشعر أهل
العراق ، لأنه رضع الشعر من ثدى أمه - وكانت شاعرة - ولهذا قاله وهو ابن عشر سنين
وله ترجمة في البيّمة ٢ : ٣٦٤-٣٩٨ ، الأعلام ٩٢٧ ، وفيات الأعيان « الطبعة القديمة »
١ : ٢٤٤ وغيرها ، توفى سنة ٣٩٣ هـ ١٠٠٣ م ولعلها تحريف .

(٣) قال في القاموس : « السّدق محرّكة - لية الوقود ، معرب سذ » بالتحريك
أيضا ، وهى فارسية ، لاشده كما قال الشيخ رشيد ص ١٧٨ .

(٤) قبل هذا البيت في البيّمة ص ٣٨٦ ج ٢ قوله : « زحُل »

و « زحُل » بالفتح ، ولم ينجرى بالعقا ، ولا ذهباً صيغ منه جبل
إلى أن جرت دجلة في الشعلة ، ع. وطنب. بالنون أعلى القلل
سحاب الدخان وبرق الشرار ورعد الملاهى وغيت الجدلية

وكنّا (١) نرى الموج من فضة فذهّبه النور حتى اشتعل
شرار أبحاكي انقضاض النجوم وبرقا كإيماض بيض تسلي

معنى تسكون زحل من الدخان : أن الدخان انقلب لها أحمر يشبه زحل
في اللون ، وقيل : إن صحتها « تلون » (٢) وذلك كناية عن شدة ارتفاع
الدخان ، وكان الموج شديدا بالفضة ، فصيره النور شديدا بالذهب . « حتى
اشتعل » أي صار شديدا بالنار المشتعلة . أو « حين اشتعل » النور بعد
الدخان ، ووجه الشبه بين الشرار والنجوم المنقضة : الاشتراك في اللون
والسرعة ، والشاهد في الشطر الأخير .

ومن تشبيه البرق بالسيوف ، قول علي بن محمد بن جعفر الحماني (٣) :

دِمن كان رياضها يكسين أعلام المطارف (٤)

(١) رواية التبعة « فكنّا » .

(٢) وهي رواية التبعة .

(٣) هو الشاعر السكوفي علي بن محمد الأصغر بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي
ابن الحسين بن علي بن أبي طالب ، قال ابن حزم : المعروف بالحماني ، وقد ضبط الأستاذ
« بروفسال » كلمة « الحماني » بفتح الحاء وتشديد الميم ، راجع « جهرة أنساب العرب »
لابن حزم من ٥٢ طبعة سنة ١٩٤٨ ، وفي القاموس « حمان بالكسر حتى من تميم » ،
ويظهر أن الأمر للتبس على الشيخ أحمد المراغي فنسب شاعرنا هذا إلى « بني حمان
ابن كعب بن سعد » ، وهذا لا يتفق مع كلام المحقق ابن حزم فإنا قال هو الصواب ، ومن
المؤكد أن الأستاذ لم يطلع على جهرة الأنساب لأنه طبع لأول مرة في ١٥ ديسمبر
سنة ١٩٤٨ ، وكذلك أخطأ التوفيق حين قال « المتوفى في أواخر القرن الثالث عشر »
فإن استشهاد عبد القاهر بشعره يعني ذلك ، ولعل كلمة « عشر » زائدة سهوا ، راجع
هامش طبعته ص ٢٣٥ .

(٤) أثبت الشيخ رشيد « ص ١٧٩ » كلمة « يكسين » بحرفه فجعلها « تسكين »
ثم أخذ يصححها تارة إلى « يسكين » أي يسكنة على التصغير ، وتارة إلى « تشكيل »
وهذا وذاك خطأ صوابه ما هنا .

وكانما غدرَناها فيها عشورٌ من مصاحفٍ
وكانما أنوارها تهتز في نكباءٍ عاصفٍ
طررُ الوصائف يلتقي ن بها إلى طررِ الوصائف (١)
باتت سوارِها تمخَّض في رواعدها القواصف
ثم انثت سحًا كبا كية بأربعة ذوارفٍ
وكان لمع بروقها في الجوّ أسيافُ المثاقفِ

الدمن هنا : المواضع القريبة من الديار ، وهي ما نسميه بالضواحي .
والمطارف ، جمع مطرف كعجم أو منبر : الشياح المنقوش أطرافها .
وعشور المصاحف : العلامات المستديرة ، المشار بها إلى التقسيم المعلوم ،
يشبه بها الغدير في استدارتها ، وبياض وسطها . والطرر هنا : النواصي .
والسوارى : السحب السارية . وتمخض تتحرك . والمثاقف : المجالد بالسيف
والأربعة الذوارف : جوانب العينين ، والشاهد في البيت الأخير .

ويشبهون « الجوشن - وهو الدرع - بالغدير » تحركة الريح ، فيتكسر

ماؤه ، ويظهر فيه ذلك الشنج المعروف ، كقول أوس بن حجر (٢) :

وبيضاء زَغَف نثلة سُلَيْمِيَّةَ هارفر فوق الأنامل مرسل (٣)
وأشبرَنيها الهالِكِي كأنها غدير جرت في مَتْنِه الرّيح سلسل

(١) الوصائف جمع وصيفة وهي الخادمة .

(٢) هو أوس بن حجر بن مالك بن حزن بن عقيل بن خلف بن نعيم ، ينتهي نسبه
إلى تميم بن مرة مع اختلاف فيه ، هكذا في معاهد التنصيص ، وقال ابن حزم : أوس
ابن حجر - بضم أوله بالقلم - بن عتاب بن عبد الله بن عدي بن نعيم بن أسيد - مصفرا -
ابن عمرو بن تميم ، والأول موافق لما في الأغاني نقلا عن الأصمعي وهو شاعر تميم في
الجاهلية غير مدافع ، توفي سنة ٢ ق ٥ ، ٦٢٠ م ، وترجمته في الأغاني ص ٦ ج ١٠ ،
الشعر والشعراء ٢٥ « أولى » ، ٥٤ ج ١ بتحقيق شاكر ، وجمهرة أنساب العرب ص ٢٠٠
الأعلام ١٣٣ ، خزنة الأدب ص ٢٣٥ ج ٢ شاهد ٣١٤ .

(٣) رواية الاسرار ص ١٨٠ « من عل » وهي خطأ .

الزغف : الدرع الواسعة المحكمة . والنثلة : الطويلة ، والسلبية :
المنسوبة إلى سليمان عليه السلام بتحريف الاسم (١) ، كما قال الآخر (٢) :

* من نسج سلام (٣) *

وهو خطأ من جهتين : لذلك التحريف ، ولأن صنائع الدروع هو
داود عليه السلام . وأشهرها : أعطانها . والهايكى : الحداد ، ومن ذلك
قول عبد القيس بن خفاف البرجمي (٤) :

وسابغة من جواد الدُرُوع تَسْمَعُ للسيف فيها صليلاً (٥)
كمتن الغدير زهته (٦) الدُّبُورُ يَجْرُ المدجج منها فضولا

(١) هذا مذهب من مذاهب العرب يعرف « بالثنيير » ويلجأ إليه في الضرورة
ومنه قول حسام :

إلى الزمري فإن القوم حاله أو الاحاديث من أولاده مبود
أى من أولاد عابدين ، راجع رغبة الآمل ٣ : ٨٠ .
وقول النابغة :

وكل صموت نثلة تبعيه ونسج سليم كل قضاء ذائل
راجع هذا الموضوع وكثيراً من أمثله في تعليقاتنا وتحقيقاتنا « مع الاستاذ الشيخ محمد
الطنطاوى » على كتاب « نقد الشعر » لقدامة بن جعفر « باب عيوب اللفظ والوزن »
وسيطر قريباً إن شاء الله .

(٢) هو الخطيئة .
(٣) هذه كلمة من البيت :

فيه الرماح وفيه كل سابغة جدلاء محكمة من « نسج سلام »
(٤) شاعر جاهلي معاصر لحاتم الطائي وسماه المرزبانى « قيس بن خفاف » وكنيته
أبو جيبيل ، راجع معجم الشعراء ص ٣٢٥ وسمى « عبد قيس » في الاغانى ٧ : ١٤٥ ،
٩ : ١٥٨ والمفضليات ٢ : ١٨٣ رقم ١١٦ ، وفي الحماسة ٢ : ٢٥٨ كما هنا ، وزعم السيوطي
في شرح شواهد المفنى ٩٥ أنه إسلامي وهو غير صحيح .

(٥) البيتان من قصيدة ، ذكرت أبياتها في الحماسة والمفضليات ٢ : ١٨٦ .

(٦) رواية المفضليات « زفته » بمعنى دفنتمه وطرده .

زهرته : حركته : والدبور : ريح تقابل الصبا . والمدجج : لابس
السلح : (١) .

ومنه قول البحترى : (٢) :

يَمْشُونَ فِي زَغَفٍ كَأَن مُتُونَهَا فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ مُتُونُ نِهَامِ

الزغف : يقال المفرد كما سبق ، وللجمع كما هنا . والمتون : الظهور .
والنهام : بكسر النون جمع نهى بفتحها أو كسر ها : الغدران .

ثم يهكسون ، فيشبهون « الغدران والبرك بالدروع » ، قال البحترى
يصف بركة :

إِذَا زَهَتْهَا الصَّبَا أَبْدَتْ بِهَا حُبُّكَ مِثْلَ الْجَوَاشِينِ مَهْقُولًا حَوَاشِيَهَا (١)

زهرتها : حركتها . والحبك ، بضمين ، من الماء والشعر : الجعد المتكسر
منهما (٢) ، ومن ذلك قول أبي فراس (٣) :

(١) رواية الديوان « عاتها » .

(٢) هذه عبارة القاموس ، وهي توهم أنه مفرد ، والحقيقة أنه جمع . مثل حبك كهرد
وحبيك . والمفرد حباك أو حبيكة ، ومعناها الطرائق ، كالتى تحدثها الريح فى الماء والرمل ،
قال الزمخشري : وجبك الشعر آثار تثنيه وتسكسه ، قال زهير :

مَكَلَّلَ بِأَصُولِ النِّجْمِ تَسْجَعُ رِيحُ خَرِيقٍ لَصَاحِي مَاءِهِ حَبْكُ

وقرىء فى الآية « والسما ذات الحبك » بضمين ، وكقفل ، وسك ، وجبل ،
وبرق ، وعنب ، ولبل ، راجع كتب اللغة خاصة أساس البلاغة ١ : ١٥٠ ، والكشاف ٤ :
٢٦ ، ٢٧ .

(٣) تقدم اسمه وبعض مراجعه فى ص ١٠ ، وترجم له أيضا فى وفيات الأعيان
٤ : ١٠٢ — ١١٤ « دار المأمون » وفوات الوفيات ٢ : ٨١ ، والأعلام ٢ : ٢٠٢ ، وقد
ولد سنة ٣٢٠ هـ ٩٣٢ م ، وتوفى قتيلا سنة ٣٥٧ هـ ٩٦٨ م .

أنظر إلى زَهر الربيع والماء في بَرَك (١) البديع،
وإذا الرياح جَرَّتْ عَيْثُ في الذَّهَاب وفي الرجوع
نثرت على بِيض الصِّفَا نَحْ بَيْنَا حَلَقَ الدَّرُوع

البديع : بستان ، عين (٢) . والصفائح : السيوف العريضة ، استعيرت
لصفحة الماء . وحلق الدروع : استعارة للتكسر الذي يظهر على وجهه ،
ووجه الشبه بين الدروع والماء الذي حركته الرياح : هو ذلك التكسر
والتجمع مع البياض واللبان .

ويشبهون « أنوار الرياض بالنجوم » كقول البحترى يصف روضة :

بَكَتِ السَّمَاءُ بِهَارِ ذَا ذَمُوعِهَا فغَدَتِ تَبَسُّمٌ عَنْ نَجْمِ سَمَاءِ

بكت : استعارة تبعية بمعنى أمطرت . والدموع : ترشيح . وتبسم :
استعارة تبعية أيضا بمعنى تنفتح أكلها . والنجوم : استعارة أصلية
للأزهار ، مبنية على تشبيه الأزهار بالنجوم ، وهو محل الشاهد .

ثم يعكسون ، فيشبهون « النجوم بالنَّوَرِ » قال البحترى :

قد أَقْدَرَفَ العِيسَ فِي لَيْلِ كَأَن بِهِ
وَشَيْئاً مِنَ النَّوَرِ أَوْ رَوْضاً مِنَ العُشْبِ

الوشى : النقش : وكان : للظن ، والمشبّه به اسمها ، لأن التشبيه معنوي

(١) البرك - بفتح الباء وكسرها مع سكون الراء - الحوض ، ورواية عبد القاهر
« البرك البديع » وهي في رأي أجود مما هنا . لأن البديع هو الجليل ، ولم يسم به مكان
إلا قصر بناء المتوكل المتوفى سنة ٢٤٧ .

(٢) هكذا قال الشيخ المراءى هامش من ٢٣٨ .

(١) وجهه صبح ولم يكن سائر الجسم ظلام (١)
وقول ابن نباتة (١):

وأدهم يستمدُّ الليلُ منه وتطلعُ بين عينيهِ الثريا (٢)

المتعار الثريا لغرة الفرس بعد تشبيها بها.
ثم يعكسون ، فيشبهون النجم أو الصبح بغرة الفرس ، كقول
ابن المعتز :

والصبحُ في طرَّة ليلٍ مسفرٍ كأنه غرَّة مهرٍ أشقر

المأمون وأهل الفضل والبراعة والشعر منهم وفي تعليق الشيخ المراغي ٢٣٩ أنه دمر ،
ولعله تحريف وأخباره مفرقة في كتب الادب والتاريخ ، وقد ترجم له في معجم الأدباء
١٦ : ١٢٧ . والفهرست ٢٣٦ ، والأعلام ٧٣٩ كما ترجم له في وفيات الأعيان وغيره
وتوفي سنة ٢١٧ هـ ٨٣٢ م .

(١) هذا بيت من سبعة ذكرها ياقوت ص ١٣٠ ج ١٦ ، وذكر عبد القاهر
أربعة منها في وصف فرس جواد كان له عمرو ، وبلغ المأمون خبره ، تخاف أن يأمر الخليفة
بإرساله إليه دون أن يكون له فضل في ذلك ، فأرسله ومعه الايات ، وأولها :
يا إماما لا يدانيد به - إذا عد - إمام
وقبل بيتنا قوله :

فرس يزهي به لك حسن سرج ولجام

دونه الخيل كما دو نك في الفضل الانام

وبعده وهو آخرها - قوله :

والذي يصلح للمو لي على العبد حرام

(٢) أي السعدي عبد العزيز بن عمر المتقدم ذكره ص ١٠٠ والمتوفى سنة ٤٠٠ هـ

وله ترجمة في وفيات الاعيان ٢ : ٢ - الطبعة القديمة - والبيضة ٢ : ٢٤٩ - ٣٦٤ ، وفيها
أنه عبد العزيز بن محمد ، والأعلام ص ٢٧٠ .

(٣) البيت في البيضة ص ٣٦٢ ج ٢ وبعده :

سرى خلف الصباح طير مشيا ويطوى خلفه الافلاك طيا

فما خاف وخك القوت منه تشبت بالقوام والحيا

أراد بالطرة: طرف الليل وآخره. والمسفر: الداخل في الإسفار (١)
والأشقر: الأحمر، ووجه الشبه: الهيئة الحاصلة من ظهور بياض في
حمرة منبسطة.

ويشبهون: «الجواري بالسرو، وبالريح، وبالعيدان - بفتح العين،
وهي أطول ما يكون من النخل -» كقول ابن مقبل:

يَهْزُؤْنَ لِلشَّيْ أَوْصَالاً مَنْعَمَةً هَزَّ الْجَنُوبُ ضَمْحِي عِيدَانِ «يرينا» (٢)
أَوْ كَاهْتِزَّازٍ رَدِيئٍ تَدَاوَلَهُ أَيْدِي التَّجَّارِ فَزَادُوا مَتْنَهُ لَيْسَا

ويعكسون، فيشبهون: «السرو بالجواري» كما في بيتي أحمد بن سليمان
ابن وهب السابقيين في تشبيه هيئة الحركة، وكقول ابن المعتز:

لَدَى نَرْجِسٍ غَضٌّ وَسُرُورٍ كَأَنَّهُ قُدُودُ نِسَاءٍ مِلَنَ فِي أَرْزِ (٣) خَضِرٍ

ويشبهون: «ثدي السكواغب بالرمان» كقول السلاحي (٤):

رَبِّمَا تَبَيَّتْ أَنَا مِلِّي يَجْنِينِ رَمَّانِ النُّهْودِ (٥)

- (١) أي ظهور ضوء الصبح.
- (٢) يبرين أو أبرين، من أصقاع البحرين، ويبرين أيضاً قرية من قرى حلب
راجع مادتي أبرين ويبرين في معجم البلدان ج ٨٠١.
- (٣) الأزر: جمع إزار وهو الملحفة أو كل ماستر البدن.
- (٤) تقدمت ترجمته قريبا.
- (٥) روى هذا البيت في أسرار البلاغة من ١٨٣ «رمان النور»، وقال
الشيخ أحمد المراغي في تعليقه من ٣٤٢، إن البيت من القصيدة التي مطلعها:
عدل الحبيب فن يحور ودنا فأين بنا يسير؟
وقد رجعت إلى هذه القصيدة في اليتيمة ٣٨٤ ج ٢ فلم أجد هذا البيت.

إضافة « رمان » إلى « النهود » من إضافة المشبهة به إلى المشبهة ، و « يحنين » ترشيح للتشبيه ، أو استعارة تبعية .

وقول المتنبي :

وقابلني رمانتا غصن بانة يميل به بدر ، ويمسكه حقف (١)
استعار الرمانتين للتدوين ، وغصن البانة للقد ، والبدر للوجه ، والحقف للردف ، استعارة تصريحية أصلية .

ومن ذلك قول النابغة (٢) في أسيرات :

يخططن بالعيدان في كل منزل ويحنان رمان الثدى النواهد
« التخطيط بالعيدان » كناية عن الهم والحزن ، قال ذو الرمة :

عشية مالى حيلة غير أنى

بلقط الحصى والخط في الأرض - مولع

أخط وأمحو الخط ، ثم أعيد بكفى ، والغربان في الدار وقع

ثم يعكسون ، فيشبهون : « الرمان بالثدى » كقول أبي النصر سعيد

ابن الشاه (٣) :

ورمانه شبهتها إذ رأيتها بشدى كعاب أو بحقة (٤) مرامر

(١) الحقف : - كثير - الموجع من الرمل جمعه احقاف وحقاف وحقوف وجمع الجمع حقائف وحقفة .

(٢) أى الديباني

(٣) من شعراء القرن الرابع .

(٤) الكعاب - كسجاب - الفتاة الزاهية والحقة - وعاء من الخشب جمعه كقفل وقلوب

وكمثل وأبواب ورجال

منمنمة ، صفراء ، تضد حولها
يواقيت حمر في ملاء معصفر

أليت الثاني في وصف الخبات الحمر المنتظمة حول لب الرمانة الأصفر
المغطاة بالقشرة الرقيقة الصفراء ؛ استعار اليواقيت الحمر للخبات ، والملاء
المعصفر - أى المصبوغ بالعصفر - للقشرة الرقيقة
ويشبهون : ه الجداول والأنهار بالسيوف ، كما قال ابن المعتز :

أعددت للجار وللغداة كوم الأعلى مة اميات
روازقاً في المحل مطعمات (١) تسقى بأنهار مفجرات
على حصى الكفور فائضات مثل السيوف المتفريات

أراد بكوم الأعلى : نخلا كثيرة السعف ، تشبهاً لها بالكوم ، جمع
كؤماء ، وهى الناقة العظيمة السنام ؛ وأراد بالسيوف المتفريات :
المسألة ، من تفرى البرق : انشق ولمع ، ووجه الشبه بين الأنهار والسيوف :
هيئة البياض الصافي مع البصيص والاستطالة .
ومن ذلك قول ابن بابك :

فما سبيل تخلّصه المحاني كما سلّت من الخيل المناصل

المحاني ، جمع مخنية ، بوزن تورية : وهى منعطف الوادى ، والخلل
بكسر أوله ، جمع خلة : وهى جفن السيف المغشى بالأدَم ، والمناصل ،

(١) بين الثلاثة الإبيات السابقة والثلاثة اللاحقة آيات أخر ، فهمي ليست متواليه
كما ترى وقد أشار عبد القاهر إلى ذلك ص ١٨٥ .

جمع منصل ، بضم الميم والصاد : وهو السيف .

وقول أبي فراس الحمداني (١) :

والماء يفصل بين زهر الروض في الشطين قصلا

كسباط وشى جرّدت أيدي القيون عليه نصلا (٢)

يشبه هيئة الماء يفصل أزهار الروض ، الواقعة على شطيه بهيئة نصل - أي سيف - جردته القيون - أي صياقلة السيوف - على بساط موشى منقوش ، ووجه الشبه : هيئة ذلك البياض المستطيل البراق ، بين تلك الألوان المختلفة المنتظمة ، على وجه بديع .

وقول النابغة الجعدي (٣) :

وفي الجداول أسيافٌ محدثة والطير تسجع أهزاجاً وأرمالاً (٤)

المحدثة : المصقولة .

(١) من قصيدة من روميّاته قالها في الأسر يسب الشامتين به ويحن إلى وطنه « منبج » وهي في ديوانه وفي البيتة ١ : ٦٢ ، وراجع ما قيل في وصف منبج وآثارها في خلق الشاعر في ص ٣٩٢ - ٣٩٤ من رسالتنا « الباب الخامس ، الفصل الثاني » .

(٢) رواية الأسرار ص ١٨٥ « أيدي العيون » وهو تحريف بلا شك .

(٣) اختلف الناس في اسمه فقيل : قيس بن عبد الله بن عدس ، وقيل عبد الله وقيل حيان بن قيس ، وفي القاموس أنه قيس بن عبد الله ، وفي شواهد المغني والاقاني : حسان بن قيس بن عبد الله شاعر مخضرم أسلم وكانت له محبة وعمر طويلاً ثم توفي سنة ٥٠ هـ ٦٧٠ م ، وأخباره وترجمته في جبهة الانساب ٢٧٢ ، الاقاني ٤ : ١٢٨ ، الاصابة ٢ : ٢١٨ برقم ٨٦٣٩ الاستيعاب ٣٢٠ ، أسد الغابة ٥ : ٢ - ٤ ، المعرّين ٦٤ ، الخزانة شاهد ١٨٦ ، اللآلئ ٢٤٧ المؤلف ص ١٩١ ، معجم الشعراء ٣٢١ وغيرها : (٤) الهزج والرمز نوعان من الالحان .

❦ التقديم والتأخير ❦

فضل التقديم : وصفه الشيخ بأنه باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، لا يزال يفتر لك عن بدیعة ، ويفضی بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شعرا يروقك ، ويلطف لديك ، ثم تنظر فتجد سبب ذلك : أن قدّم فيه شيء ، وحول اللفظ من مكان إلى مكان (١).

تقسيمه : قسمه إلى قسمين :

تقديم على نية التأخير ، وهو ما يبقى المقدم فيه على حكمه الذي كان له قبل التقديم ، نحو قولك : منطلق زيد ، وعمرأ ضربت ، وراكبا جئت ، فلا يزال الأول خبراً ، والثاني مفعولاً ، والثالث حالاً .

وتقديم لأعلى نية التأخير ، وهو ما ينقل فيه المقدم من حكم إلى حكم ، ومن إعراب إلى إعراب ، مثل قولك : زيد ضربته ، أصله : ضربت زيدا ، فقدمت المفعول به ، وجعلته مبتدأ ، وأعربته بالرفع بعد أن كان منصوباً . وكذلك قولك : زيد المنطلق ، والمنطلق زيد ، إذا جعلت المقدم في كل منهما مبتدأ ، لاقتضاء المقام ذلك ، فقد تقرر أنه إذا كان معك اسمان معرفتان ، فأيهما كان معلوماً ، يطلب الحكم عليه ، فهو المبتدأ ، وأيهما كان بحيث يطلب الحكم به ، فهو الخبر ، فإذا عرف المخاطب « زيدا » ورأى شخصاً منطلقاً ، فإن كان مستشرفاً لأن تحدّثه عن « زيد » فقل له : زيد المنطلق ، وإن كان مستشرفاً لأن تحدّثه عن « المنطلق » فقل له : المنطلق زيد ، فالمقدم في كل منهما مبتدأ ، والمؤخر خبر ، فلم يبق على حاله الذي كان عليه قبل .

(١) ص ٨٣ من دلائل الإعجاز .

ملاحظة : هذا التقسيم بيان للواقع من أمر التقديم ، والأحكام الآتية عامة في كليهما ، فسيذكر حكم تقديم المفعول ، وهو من القسم الأول وحكم تقديم الفاعل ، وهو من الثاني .

سبب التقديم وأثره : لم يعن أحد من المتقدمين — فيما يبدو — بأمر التقديم ، ولم يبينوا ماله من أثر في معنى الكلام على النحو الذي نحاه الشيخ ، وكان عمدتهم في بيان سبب تقديم ما قدم أن يقولوا : قدم للعناية به ، ولأن ذكره أهم ، قال سيديده — وهو يذكر الفاعل والمفعول — : « كانوا إجماعاً يقدّمون الذي بيانه أهم لهم ، وهم بشأنه أعنى — وإن كانوا جميعاً يهملون ويعيناهم (١) — » ولم يبين لم يعنون بهذا دون ذلك ، وما سر كون أحدهما أهم من الآخر ؟

وقد فسر النحويون ذلك : بأنه قد يكون غرض الناس معرفة وقوع الفعل على المفعول ، ولا يهتمهم من فعله ، كما إذا عاث خارجي (٢) في الأرض فساداً ، ثم قتل ، فينبغي أن يقال لهم : قتل الخارجي فلان ، بتقديم المفعول ، لأنه الذي يعينهم . فإذا كان هناك رجل جبان ، لا يتصورون منه القتل ، فقتل إنساناً ، فينبغي أن يقال : قتل فلان فلاناً ، بتقديم الفاعل ، لأن الذي يعنى الناس من هذا القتل طرفته ، وإنما جاءت هذه الطرافة من وقوعه من الفاعل ، لا من وقوعه على المفعول .

وقد رضى الشيخ هذا البيان ، وقال (٣) : « إنه جيد بالغ ، ولكن ينبغي

(١) « الكتاب » (١ : ١٥) . طبعة بولاق .

(٢) أى أحد الخوارج ، وهم الذين خرجوا على على رضى الله عنه عقب حادثة التحكيم المشهورة ، ثم تمت قوتهم ولقيت الدولة الاموية منهم كل عناء .

(٣) ص ٨٥ دلائل الانجاز ، وعبارة عبد القاهر : « فهذا جيد بالغ الا أن الشأن في أنه ينبغي أن يعرف في كل شيء قدم في موضع من الكلام الخ » .

أن يعرف مثل ذلك في كل شيء قدم في الكلام . . .
 « على أن تقديم الفاعل على المفعول ، أو عكسه ليس ذا أثر كبير في مغزى الكلام ، فأين هو من تقديم المسند ، وتقديم المسند إليه ، وتقديم معمولات الفعل في الخبر المثبت والمنفى ، والاستفهام بأنواعه ، بماله شأن في تقويم المعنى ، ونقله من حال إلى حال تحقيقاً لغرض المتكلم ؟ » .
 وقد بسط الشيخ ذلك بسطاً وافياً يدل على رسوخ قدم ، ونفاذ بصيرة ، وسعة إحاطة بأسرار العربية .

وقد عاب من يكتفى بقوله : « قدّم للعناية ، أو لأن ذكره أهم » من غير أن يبين من أين جاءت تلك العناية ، ولم كان ذكره أهم ؟ وذهب في النعي عليهم كل مذهب ، لأن ذلك قد صغر في نفوسهم أمر التقديم والتأخير وغيرهما من أنواع الفروق ، وذهب بهم عن معرفة البلاغة ، وصرّفهم عن إدراك سر الإعجاز ، وذلك خيانه منهم لعقولهم ودينهم .

* * *

« إعلم أن من الخطأ أن يقسم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين : فيجعل مفيداً في بعض الكلام ، وغير مفيد في بعض ... الخ » (١)
 يريد الشيخ أن يقول : إن كل تقديم لابد أن يكون لغرض معنوي ، أي أن يفيد فائدة ترجع إلى معنى الكلام ، وأن من يزعم أن التقديم ضربان :

أحدهما : يفيد فائدة معنوية ترجع إلى معنى الكلام .
 والآخر : لا يفيد ذلك ، بل يكون الغرض منه أمراً لفظياً ، كالتوسعة

على الشاعر والكاتب ، حتى يستقيم للأول وزنه ، وتطرد قافيته ، ويتأتى
للثاني سجمه .

من يزعم ذلك فهو مخطئ ، عادل عن سبيل الصواب .
حجة الشيخ : احتج الشيخ على دعواه هذه بأننا قد تأملنا كلام العرب
فوجدنا التقديم في مواضع شتى منه إنما جاء لغرض معنوى ، ومن البعيد أن
يكون في نظم الكلام ما يدل تارة ، ولا يدل أخرى ، فثبت أن تقديم
المفعول مثلاً على الفعل في كثير من الكلام قد أفاد فائدة لا تكون مع
تأخير عنه ، فقد وجب أن يطرد ذلك في كل شيء ، وكل حال .

وكان ينبغي لمن زعم أن التقديم قد يكون لغرض لفظي فقط - وأما من
حيث المعنى فالتقديم وتركه سواء - أن يدعى أنه كذلك في عموم الأحوال
أما جملة لفائدة معنوية تارة ، ولغرض لفظي أخرى فما لا يصح القول به
هذا تفصيل مراد الشيخ في هذه النبهة .

وقد خالفه في دعواه هذه كثير من الباحثين في هذا الشأن :

فصاحب « المثل السائر » (١) ، بعد أن نقل نحو هذا عن علماء البيان ،
وعن الزمخشري قال :

« الذي عندي أن التقديم يستعمل على وجهين - يريد تقديم المفعول
على الفعل - : أحدهما إفادة الاختصاص ، والآخر مراعاة نظم الكلام ،

(١) هو ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم
الموصلى المعروف بابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٧ هـ ، وله أخوان ، أحدهما المؤرخ النقة
أبو الحسن عز الدين بن الأثير صاحب « الكامل » في التاريخ ، والمتوفى سنة ٦٣٠ هـ ،
والثاني مجد الدين بن الأثير ، أحد كبار المحدثين وصاحب كتابي « جامع الأصول في أحاديث
الرسول » و « النهاية في غريب الحديث » ، وقد توفي سنة ٦٠٦ هـ .

وذلك أن يكون نظم الكلام لا يحسن إلا بالتقديم، وإذا أخّر المقدم ذهب ذلك الحسن، وهذا الوجه أبلغ، وآكد في الاختصاص، وساق من الأمثلة قوله تعالى: «خذوه فغلوه، ثم الجحيم صلوه»، فإن تقديم «الجحيم» على «التصلية» ليس للاختصاص، وإنما هو للفضيلة السجعية، ولا مرأ أن انظم على هذه الصورة أحسن من قولنا: ثم صلوه الجحيم، ومثل ذلك: «ثم» في سلسلة ذرعتها سبعون ذراعاً فأسلكوه، وعليه قوله تعالى: «فأمّا اليتيم فلا تقهر» وأمّا السائل فلا تنهر» إنما قدم المفعول لمكان حسن النظم السجعي (١)، وعلى ذلك جرى علماء البلاغة المتأخرون. قال السعد (٢): «إن تقديم المفعول به قد يكون لأغراض آخر، منها ضرورة الشعر، ورعاية السجع والفاصلة، وذكر بعض الأمثلة السابقة. مسائل التقديم والتأخير: شرع الشيخ بعد ذلك يأتي بمسائل لا يشك أحد أن تقديم الاسم فيها على الفعل، أو تقديم الفعل على الاسم إنما كان لغرض معنوي، ثم أخذ يبين ذلك الغرض، ويفرق بين التقديم والتأخير، وهذه المسائل هي:

الاستفهام حقيقياً كان، أو تقريرياً، أو إنكارياً.

والخبر مثبتاً كان، أو منفياً، ومنه: «مثل، وغير».

(١) من ١٧٨ من المثل السائر «طبع المطبعة الهيئة سنة ١٣١٢ هـ»، وراجع

مبحث التقديم والتأخير فيه من ١٧٧-١٨٣.

(٢) راجع شروح التلخيص من ١٥١ ج ٢ «مختصر السعد». وراجع أيضاً

من ٢٠٠ من المطول.

الاستفهام الحقيقي

نحب قبل تلخيص كلام الشيخ أن نذكر بما هو معلوم من باب الإنشاء في « الإيضاح (١) » فقد يكون فيه فائدة .
علم هناك :

١ — أن الاستفهام : « هو طلب الفهم بأداة مخصوصة (٢) » . والمستفهم عنه ضربان : تصديق ، وتصور ، لأنه إن كان نسبة ، أى ثبوت أمر لأمـر أو انتفاءه عنه : فتصديق ، وإلا فتصور ، فالأول كقولك لمن أخبرك أنه سيتزوج « هل تزوجت ؟ » ولمن لا تعلم أنه متزوج ، « أتزوجت ؟ » . والثاني كقولك : « ما الإنسان ؟ من عندك ؟ متى تحضر ؟ أزيد عندك أم عمرو ؟ »
٢ — وأن أدوات الاستفهام إحدى عشرة كلمة : حرفان وهما : الهمزة وهل ، وتسعة أسماء ، وهى : « من ، وما ، ومتى ، وأيان ، وأين ، وأنى ، وكيف ، ومـم ، وأى » .

فالهمزة تكون تارة لطلب التصديق ، وتارة لطلب التصور ، و « هل » مختصة بطلب التصديق ، والباقي مختص بطلب التصور ، وسنتكلم عن الهمزة فقط ، لأن الشيخ لم يذكر غيرها ، ولأنها هى التى يظهر فيها الفرق بين التقديم والتأخير .

الهمزة - :

تكون الهمزة لطلب التصديق إذا كان المطلوب بها ثبوت شىء أو نفي شىء ،

(١) راجع بحث الاستفهام كله هناك « بنية الإيضاح ٢ : ٥٥ — ٧٢ » .

(٢) راجع شرح هذا التعريف بتفصيل فى « عروس الأفراس » ص ٣٠٧ ج ٢

شرح التلخيص » .

أو انتفاءه عنه ، مثل : « أنت متزوج ؟ ألك ولد ؟ أفهمت المسألة ؟ » فانت لا تقصد في ذلك إلا أن تعرف ثبوت الخبر للبتدأ ، أو الفعل للفاعل ، أو انتفاءهما عنهما .

ومن ذلك : « أبنت الدار التي كنت على أن تبنيها ؟ أقلت الشعر الذي كان في نفسك أن تقوله ؟ أفرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه ؟ » فإن المطلوب هنا أيضاً معرفة ثبوت الفعل للفاعل ، أو انتفاءه عنه .

ومن خصائص الهمزة إذا كانت للتصديق :

(١) أنه لا يؤتى لها بمعادل ، لا لفظاً ولا تقديرأ ، ولذلك لا يصح بلاغة أن تقول : « أفهمت المسألة أم لا ؟ » ، لأن ذكر « أم لا » عبث ، إذ هو معنى الاستفهام ، فهو مفهوم منه .

(٢) أن الجواب عنها يكون بنعم ، أولاً ، وذلك ظاهر في الأمثلة المارة .

التصور :

وتكون الهمزة لطلب التصور إذا كان المطلوب بها شيئاً آخر غير الثبوت والانتفاء ، بأن تكون النسبة معلومة ، والمطلوب : تعيين المسند أو المسند إليه ، أو الحال ، أو المفعول ، أو الظرف ، أو غير ذلك من المتعلقات ، نحو : « أأكرمت ريداً أم أهنته ؟ أشرت هذا الكتاب أم استعرتنه ؟ أشاعر أنت أم كاتب ؟ أنت بنيت هذه الدار أم أبوك ؟ أنت قلت هذا الشعر أم أخوك ؟ أزيد عندك أم عمرو ؟ أزيداً رأيت أم عمرأ ؟ أراكباً جئت أم ماشياً ؟ أيوم الخميس حضرت أم يوم الجمعة ؟ » .

في كل هذه الأمثلة تجد النسبة معلومة ، والسؤال عن مفرد مرتبط بها ، أي أنك تعلم أن أحد الأمرين كائن ، واسكنك تجهل عينه ، فتطلب تعيينه .

ومن خصائص الهمزة إذا كانت للنصور :

(١) أن يكون لها معادل « بأم ، لفظاً - كما سبق في الأمثلة - أو تقديرًا لدليل يدل عليه كقولك : « أنت قلت هذا الشعر ؟ ، فإنك لا تقدم الفاعل على الفعل بعد الهمزة إلا إذا كنت تردد الأمر بينه وبين غيره ، وتطلب تعيين الفاعل ، فالتقدير : « أنت قلته أم فلان ؟ .

(٢) أن الجواب عنها يجب أن يكون بتعيين المستثول عنه ، من فعل ، أو فاعل ، أو غيرهما ، ولا يصح « نعم ، ولا « لا » ، فلا يصح في الأمثلة السابقة أن تقول : نعم ، أو : لا ، في الجواب ، بل يجب أن تقول مثلاً : أكرمه ، اشتريته ، شاعر ، أبي ، أنا ، زيد ، عمرأ ، راكبا ، يوم الخميس ، وهكذا .

تنبيهات :

- ١ - إذا كان للهمزة معادل بأم المتصلة لفظاً ، فهي لطلب التصور قطعاً .
- ٢ - إذا قدم بعدها فاعل الفعل ، أو مفعوله ، أو متعاق آخر من متعلقاته على الفعل ، فهي لطلب التصور أيضاً كما في الأمثلة السابقة ، سواء ذكر لها معادل أم لم يذكر ، ويكون في هذه الحال مقدرأ .
- ٣ - إذا وقع بعدها جملة فعلية بدون معادل ، ولم يتقدم على الفعل معمول من معمولاته ، فهي لطلب التصديق ، ولا يقدر لها معادل إلا إذا قامت قرينة على أن الشك في نفس المسند - وهو الفعل - لاقى النسبة ، وحينئذ تكون لطلب التصور ، ويقدر لها معادل ويكون الجواب بالتعيين ، كما إذا قلت لإنسان : « إني سأشترى كتاب كذا ، أو أستعيره ، ثم رأيته بيدك بعد ذلك فقال لك : « أشرتيت الكتاب ؟ » ، فإن الحديث السابق بينكما قرينة على

أنه يريد أن يعلم أى الأمرين حصل ؟ ، فالمعادل مقدر ، أى أشتريته أم استعترته ؟ والجواب يكون بتعيين أحد الأمرين ، والهمزة للتصور .

٤ - وهكذا إذا وقع بعدها جملة اسمية بدون معادل ، فالظاهر أنها لطلب التصديق ، إلا إذا قامت قرينة على أن الشك ليس فى النسبة ، وإنما هو فى مفرد من المفردات ، فإنها حينئذ تكون لطلب التصور ، ويقدر لها معادل ويكون جوابها بالتعيين .

حكم المسئول عنه بها : يجب أن يلى الهمزة المسئول عنه فى الاستفهام وأن يقدم على ما عداها بما هو مسلم معلوم غير مسئول عنه ، فإذا علمت أن عندى رجلا ، وترددت فى أنه زيد أو عمرو ، فقل : « أزيد عندك أم عمرو ؟ » وإذا علمت أن زيدا موجود ، وترددت فى أنه فى البيت أو فى المسجد ، فقل : « أفى البيت زيد أم فى المسجد ؟ » وإذا رأيت معى كتابا ، ولم تعرف سبب حصوله عليه ، فقل : « أشتريت الكتاب أم استعترته ؟ » وإذا رأيت دارا ، ولم تدر من بناها ، فقل : « أزيد بناها أم عمرو ؟ » وهكذا إذا ترددت فى المفعول ، أو الظرف ، أو الحال ، أو غير ذلك ، فإنك تقدم المسئول عنه .

تنبيه : إنما يظهر تقديم المسئول عنه إذا كان المطلوب بالهمزة التصور ، لأن المسئول عنه يكون حينئذ مفردا ، يمكن إيلاؤه الهمزة . أما إذا كان المطلوب بها التصديق فلا يظهر ذلك فيها ، لأن التصديق نسبة بين الطرفين ، وليس أحد الطرفين أولى بهذه النسبة من الآخر ، ثم هى أمر معنوى ، ليس له لفظ يدل عاياه حتى يمكن تقديمه ، بل هى ارتباط بين الطرفين . وإذا فالحكم السابق - وهو وجوب إيلاء المسئول عنه الهمزة - لا يتأتى إذا كانت لطلب التصديق ، فهو خاص بما إذا كانت لطلب التصور .

فإن قلت : وكيف يؤتى بالجملة بعدها إذا كانت لطلب التصديق .
فالجواب : أنه يؤتى بها على ما ينبغي أن تكون عليه قبل الاستفهام ،
 تقول : « أقلت شعراً ؟ أزيد عندك ؟ أعندك رجل ؟ » ، لأنك هكذا تقول
 بدون استفهام : « قلتُ شعراً ، زيد عندي ، عندي رجل » .
 هذه خلاصة وجيزة مما قرره علماء البلاغة في هذا الموضوع ، قدمناها
 توطئة وتمهيداً لبيان ما أراده الشيخ في الفرق بين التقديم والتأخير في الاستفهام
 الحقيقي ، والله الموفق .

* * *

ولنشرع الآن في شرح كلام الشيخ رحمه الله :
 أعلم أن الفرق بين تقديم الفعل ، وتقديم الاسم عقب الهمزة في الاستفهام
 الحقيقي يتلخص في أن الذي يلي الهمزة هو المشكوك فيه والمستول عنه (١) .
فإذا بدأت بالفعل بعد الهمزة ، أفاد ذلك أنك شاك في الفعل على
أحد وجهين :

(١) إما من جهة ثبوته للفعل ، أو انتفائه عنه ؛ وذلك إذا كانت الهمزة
 لطلب التصديق نحو قولك : « أبليت الدار التي كنت على أن تبنيها ؟ أقلت
 الشعر الذي كان في نفسك أن تقوله ؟ أفرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه ؟ »
 فإنك لا تطلب إلا أن تعرف ثبوت الفعل للفعل أو انتفائه عنه ، لأنك
 شاك في ذلك ، ولذلك يكون الجواب : نعم ، أو لا .

(٢) وإما من جهة ثبوته أو ثبوت فعل آخر مكانه ، وذلك إذا كان
 المطلوب بالهمزة تصور الفعل المسند نحو قولك : « أخرجته أم قتلته ؟ أبعت

(١) راجع هذا البحث ص ٨٧ وما بعدها من «دلائل الإعجاز» .

ساعتك أم أصاحتها؟ أكرمه أم أهنته؟ أشرت هذا الكتاب أم استعرتة، فإنك لا تقصد إلى النسبة، لأنك تعلم أن أحد الأمرين حاصل، وإنما تريد بسؤالك تعيين الحاصل منهما، لأنك لا تعلمه، ولذلك لا يصلح الجواب إلا بتعيين أحدهما. وهذا الوجه لم يذكره الشيخ.

وإذا بدأت بالاسم بعد الهمزة، أفاد ذلك أنك شاك في المقدم فقط، أما الفعل نفسه فمعلوم الثبوت لا شك فيه، وإنما تريد أن تعرف فاعله أو مفعوله أو غير ذلك، ويتعين أن تكون الهمزة حينئذ للتصور، وأن يكون لها معادل بأم المتصلة، مذكور أو مقدر، نحو: «أأنت بنيت هذه الدار أم أبوك؟ أنت قلت هذا الشعر أم أخوك؟ أزيد أرايت أم عمر؟ أيوم الخميس جئت أم يوم الجمعة؟ الخ» فالفعل في كل هذا مسلم معلوم، غير مشکوك فيه، وإنما الشك في فاعله، أو مفعوله، أو وقته، أو غير ذلك وأنت تطلب بسؤالك تعيينه، وهكذا الحكم إذا لم تذكر «أم» وما بعدها كأن تقول: «أأنت بنيت هذه الدار؟ أنت قلت هذا الشعر؟ الخ» فإن «أم» تكون منوية مقدرة، بدليل تقديم الاسم على الفعل، فإنك لا تقدمه إلا إذا كنت تعلم أن الفعل حاصل، لا شك فيه عندك، وإنما الشك في فاعله مثلاً، وتطلب تعيينه من بين من يظن أن الفعل مرتبط به.

إذا تقرر هذا، وتبين منه أن المستول عنه بالهمزة هو ما يليها من فعل أو اسم، ظهر لك فساد وضع أحدهما في موضع الآخر، أي أن يكون الشك في الفعل فتقدم الاسم، أو يكون الشك في الاسم فتقدم الفعل.

ففسد أن تقول: «أأنت بنيت الدار التي كنت على أن تبنيها؟» فإن تقديم الاسم يشعر أنه هو المشكوك فيه، وأن الفعل ثابت لا شك فيه، مع أن الشك إنما هو في ثبوت الفعل لا في الفاعل، وكذلك لا يصح أن تقول: «أأنت جرحت فلانا أم قتلته؟» لهذا السبب نفسه، فإن تقديم الاسم يشعر

أنه هو المشكوك فيه ، والمعادل يدل على أن الشك في الفعل لا في الفاعل .
ولا يستقيم أيضاً أن تقول : أبليت هذه الدار ؟ ، لأن تقديم الفعل
يفيد أنك شاك في بنائها ، مع أن الإشارة إليها تدل على أنها مبنية مشاهدة ،
ولمّا الشك في الباني .

وهكذا لا يصح أن تقول : « أقلت هذا الشعر ؟ » إذ يفيد أنك شاك
في القول ، مع أنه لا شك فيه .

دليل على ثبوت هذا الفرق : وما يؤيد الفرق بين تقديم الاسم على
الفعل ، وتقديم الفعل على الاسم بعد الهمزة - وهذا الفرق هو أن المقدم
هو المشكوك فيه دون المؤخر - : أنه يصح عند البلغاء والعلماء بالأساليب
العربية أن تقول : « أقلت شعراً ؟ أرايت اليوم إنساناً ؟ » فيكون كلاماً
مستقيماً ، لأنه من الجائز أن تشك في قول المسئول الشعر ، وفي رؤيته هذا
اليوم إنساناً ، فتسأل عن الفعل ، لتعلم ثبوته له ، أو انتفاء عنه ، ولا يصح
عندهم أن تقول : « أنت قلت شعراً ؟ أنت رأيت إنساناً ؟ أنت بنيت داراً ؟
أنت زرت أحداً ؟ » وسبب الفساد : أن مثل هذا التركيب يكون المطلوب
فيه تعيين فاعل الفعل : أما الفعل نفسه فهو مسلم ، غير مسئول عنه كما مر -
ففي الكلام معادل محذوف ، أي : أنت قلت شعراً أم فلان أم فلان ، وهكذا ،
وتعيين الفاعل هنا محال ، لأن الفعل المذكور - وهو قول شعر على الجملة ،
ورؤية إنسان ، وبناء دار - عام ، لا يختص به فاعل دون فاعل ، فطلب
تعيينه طلب لما لا يمكن ، فيكون فاسداً ، وما جاء هذا الفساد إلا من تقديم
الاسم ، ولو كان تقديمه وتأخيرهما سواء في الدلالة لوجب أن تصح هذه
التركيبة كما صح ما قبلها ، لكن فساده دليل على أن تقديم الاسم يفيد فائدة
لا يفيدها تقديم الفعل ، وذلك واضح .

ملاحظة :

قلنا إن الأفعال العامة التي لا يختص بها فاعل معين ، لا يصح طلب تعيين فاعلها ، إنما يصح طلب تعيين الفاعل في الأفعال الخاصة التي يمكن أن يكون لها فاعل معين نحو : « أنت بنيت هذه الدار ؟ أنت قلت هذا الشعر ؟ أنت زرتني اليوم ؟ » وما شابه ذلك ، إذ في مثل هذا يمكن تعيين الفاعل .
وقد يقال : ألا يصح أن نعتبر تقديم الاسم في مثل : « أنت قلت شعرا ؟ » للتقوية ، وتكون الهمزة في التقدير داخلة على الفعل ، فيصح التركيب ؟
والجواب : أنه متى كان المقام مقام استفهام حقيقي ، والسائل شاكا في النسبة ، فلا محل للتأكيد والتقوية ، فيجب أن يلي الفعل نفسه الهمزة إذا أريد الاستفهام عن الفعل ، ويكون تقديم الاسم خطأ ، مفسدا للسلام .
تنبيه : ظاهر كلام النحويين أن تقديم المسئول عنه بعد الهمزة ليس بواجب - إذا كان هناك معادل له ، إذ يكون هذا المعادل دليلا عليه - فيصح أن تقول مثلا : « أجاءك زيد أم عمرو ؟ » لكن لا يخفى أن نظرهم منصرف إلى صحة التركيب (١) ، وأما نظر الشيخ فمتجه إلى بلاغته ، وكم من كلام صحيح غير بليغ !!

(١) الواقع أن كلام النحويين هنا كلام منطقي لاعلمي ، والأساليب المعروفة تؤيد المذاهب البلاغية ، كقوله تعالى : « أقرب أم بعيد ما توعدون ؟ » ، « أأنتم أعلم أم أمية ؟ » « أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ؟ » ، « أفن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة » وكقول الشاعر :

أجهالا تقول بني لؤي لعمرو أيبك أم متجاهلينا؟

وقول الآخر :

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء ؟

وراجع وأي النحاة في كتب النحو ، وفي شروح التلخيص ص ٢٥٣ ج ٢ خصوصاً عروس الأفراح

الاستفهام التقريرى

التقرير عندهم ضربان :

أحدهما : بمعنى التحقيق والتثبيت ، ومنه قوله تعالى : « ألم نشرح لك صدرك ؟ » أى شرحناه لك بلا ريب ، وقولك لابنك ، « وقد نهيته عن أمر ففعله » : « أفعلت كذا ؟ » تريد : أنت فعلت ، ولا تطلب جوابا ، وهذا إنشاء لفظا ، خبر معنى .

والضرب الثانى : طلب الإقرار ، كقوله تعالى : « ألسنتُ ربِّكم ؟ » قالوا : بلى ، وهذا إنشاء لفظا ومعنى .

والفرق بين الضربين : أن الأول لا يستدعى جوابا ، وأن الثانى يستدعيه والضرب الثانى هو ما يريده الشيخ هنا .

والتقرير أحد المعانى التى يخرج الاستفهام عن حقيقته إليها ، فإن الاستفهام لا يكون حقيقياً إلا إذا كان المتكلم جاهلاً بالمسئول عنه ، أما فى التقرير فإن المتكلم عالم به ، ولكنه يريد من المخاطب أن يوافق لغرض من الأغراض ، كالحكم عليه بإقراره ، والتشهير به ، وإظهار أمره للناس ، وقد يقرر بأمر مدوح إظهاراً للنعمة عليه ، أو رفعاً من شأنه .

قالوا : وإذا استعمل الاستفهام فى معنى التقرير بالشئ ، أى طلب الإقرار به ، كان مجازاً مرسلاً ، علاقته « الإطلاق والتقييد » ، وذلك . أن حقيقة الاستفهام . طلب الجواب مع سبق جهل المستفهم ، أطلق عن القيد الأخير ، ثم قيد بقيد آخر ، هو سبق علم المستفهم
وأما إذا استعمل فى التقرير بمعنى التحقيق ، فهو مجاز أيضاً ، علاقته « اللزوم » ، لأن الاستفهام عن الشئ يستلزم تحقيقه .

ورأى ابن السبكي (١) أنه إذا أريد بالاستفهام « التحقيق » فهو من قبيل استعمال الانشاء في الخبر مثل : « ألم نشرح لك صدرك ؟ . هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ؟ » وهو مجاز مرسل علاقته « السببية » ، لأن الاستفهام يكون سبباً في الخبر .

وأما إذا أريد به « طلب الإقرار » فإنه يميل إلى جعله « حقيقة » ، فإن المتكلم ، وإن كان عالماً ، فإنه يريد أن يعلم غيره ممن لا يعلمون ، فيتوسع في تفسير « الاستفهام » ، ويعرفه بأنه : طلب الفهم ، أى فهم المستفهم أو السامع .

حكم : قال الشيخ (٢) : « إن التقرير كالاستفهام ، يجب أن يلي المقرر به الهمزة ، فإذا أردت أن تقرّر بفعل كالسرقة مثلاً ، فقل : « أسرقت ؟ » ، وإذا أردت أن تقرّر بالمفعول ، فقل : « أخمراً شربت ؟ » مثلاً ، وهكذا .

وجعل الشيخ من التقرير قوله تعالى حكاية عن قوم نمرود (٣) : « قالوا أنت فعلت هذا بالهتاف إبراهيم ؟ » فإنهم أرادوا أن يقرروه بأنه هو الفاعل لا بأن الفعل قد حصل ، لأن الفعل - وهو الكسر - ظاهر مشار إليه ، فلا معنى للتقرير به . وأمر آخر : وهو أنه لو كان الغرض التقرير بالفعل لكان الجواب « فعلت أو لم أفعل » ، ولكنه أجاب بنسبة

(١) راجع عروس الأفراح ص ٣٠٧ ج ١ لحشود التلخيص .
(٢) العبارة الآتية هي معنى كلام الشيخ الذي نصه : « واعلم أن هذا الذي ذكرت لك في الهمزة وهي للاستفهام قائم فيها إذا هي كانت لتقرير » راجع ص ٨٨ دلائل الإعجاز
(٣) هو نمرود بن كنعان بن سنجاريب بن كورش بن حام بن نوح ، راجع ص ٤١ من كتاب « العرائس » في قصص الأنبياء للشمس .

الفعل إلى « كبيرهم » نفياً لما طلبوه . من نسبة الفعل إليه دون غيره ، فدل ذلك على أن المطلوب التقرير بالفاعل لا بالفعل .

واعترض صاحب « الإيضاح » على هذا المثال (١) ، بأنه يجوز أن يكون استفهاماً حقيقياً ، لأنه لم يقم دليل على أنهم كانوا يعلمون أنه هو الفاعل ، وشرط التقرير العلم - كما مر .

وقد رد عليه (٢) : بأن قوله تعالى : « قالوا : سمعنا قتيلاً كرم ، يقال له : إبراهيم » وقوله : « تالله لا يكذب أصدانكم بعد أن تولوا مدبرين » يدلان على أنهم كانوا يعلمون أنه هو الفاعل .

شبهة ، قد يقال : أى فرق بين التقرير بالفعل ، والتقرير بالفاعل فى المعنى ؟ فإن الظاهر أن : « أسرقت كذا ؟ وأأنت سرقت ؟ » معناهما واحد وهو التقرير بأن السرقة حصلت منه ؟؟ .

والجواب : أن هنا فرقاً ، فإنك إذا قدمت الفعل فقلت : « أسرقت ؟ » فإنك تقرره بحصول السرقة منه ، من غير تعرض لغيره ، فجاز أن يكون غيره سرق ، وجزاء ألا يكون ، ثم إن الصورة بحسب أصل الاستفهام صورة شك فى الفعل ، أحصل أم لم يحصل ، فكأنك توهمه أنك شك فى الفعل .

وإذا قدمت الاسم فقلت : « أأنت سرقت ؟ » فأنت تقرره أنه السارق دون غيره ، ففى هذه الصورة نفى عن الغير ، ثم إن الصورة - بحسب أصل الاستفهام - صورة علم بالفعل وحصوله ، وتردد فى فاعله ، فليس فيها إيهام

(١) ص ٦٧ ج ٢ بنية الإيضاح .

(٢) راجع الرد عليه فى ص ٢٩٠ ج ٢ من شروح التلخيص عروس الأفراس .

شك في الفعل كالسابقة ، فيبينها بون بعيد .
تنبيه . التقرير يكون بالماضي - كما سبق - وبالحال كما نقول لمن هو
 متلبس بالأمر : « أتفعل كذا ؟ » مقررًا بالفعل ، و : « أنت تفعل كذا ؟ »
 مقررًا بالفاعل ، ولا أرى مانعا من التقرير بالمستقبل أيضاً ، كما نقول لمن
 اتفقوا على فعل أمر في المستقبل : « أتفعلون كذا ؟ » ولذلك لم يقيد المتأخرون
 بقيد ، خلافا لما يوهمه كلام الشيخ هنا (١) .

تنبيه آخر : كثيراً ما يجعل العلماء من الاستفهام التقريرى نحو :
 « ألم نشرح لك صدرك ؟ . الست بر بكم ؟ . » « الستم خير من ركب المطايا ؟ » (٢)
 « ألم نربك فينا وليدا ؟ » ويقولون التقرير ليس بما ولى الهمزة - وهو
 النفى - بل بما بعد النفى ، فمثل هذا مما يل المقرر به الهمزة فهو مخالف
 للحكم السابق .

وقد يقولون تارة أخرى : إن الاستفهام في هذه المثل للانكار بمعنى
 النفى ، ونفى النفى إثبات .

وقد جعلوا أيضاً من التقرير قوله تعالى : « أنت قلت للناس اتخذوني
 وأمي إلهين من دون الله ؟ » مع أن المقرر به هو نفي الفعل ، وهو غير
 وال للهمزة ، بل غير موجود في الكلام .
 فالظاهر أن الحكم السابق - وهو إيلاء المقرر به الهمزة - ليس كلياً ،

(١) ص ٩١ دلائل الإعجاز ، فانه قصر أمثلة المستقبل على معنى الانكار ، ولم
 يمثل للتقرير .

(٢) شعر بيت لجرير في مدح عبد الملك بن مروان ، وتماهه :

« وأندى العالمين بطون راح »

بل أغلبي، حتى عدل بعضهم (١) عن قولهم: «إن الهمزة قد تكون للتقرير بما يليها، إلى قوله: «إنها قد تكون للتقرير بما يعلمه المخاطب، سواء أولها أم لا».

الاستفهام الإنكاري

من المعاني التي يخرج الاستفهام عن حقيقته إليها «الإنكار» وهو ضربان :

١ - إنكار تكديبي، بمعنى النفي، أي «لم يكن»، إن كان الفعل ماضياً «ولا يكون»، إن كان مضارعاً.

٢ - إنكار توبيخي، بمعنى «ما كان ينبغي» إن كان ماضياً، و«لا ينبغي» إن كان مضارعاً.

والاستفهام الإنكاري: إنشاء لفظاً، خبر معنى، وهو مجاز مرسل على ما قبل - وقالوا: إن علاقته بالزوم، وذلك: أن الاستفهام عن الشيء يستلزم جهله، وجهل الشيء يستلزم إنكاره ونفيه، ويستلزم أيضاً كراهته والنفرة منه، وقيل: ليس مجازاً بل كناية (٢)، وقيل: ليس مجازاً ولا كناية، وإنما يفهم النفي أو التوبيخ على أنه من مستتبعات التركيب، بمعنى أن الكلام مستعمل في حقيقته، وهذه الأمور تفهم تبعاً، والتركيب غير مستعمل فيها، ومثال ذلك قولهم: إن الخبر المؤكد مثل: إن زيدا قائم، يفيد دفع الإنكار، فليس هذا

(١) هو ابن يعقوب في مواهب الفتح، راجع ص ٢٩٨ ج ٢ شرح التلخيص، وعبارته هناك «فإن الهمزة فيه للتقرير بما يعلمه نبي الله عيسى الخ» ثم قال: «وهذه الآية مما خرج عما تقدم من أنه يلي المقرر به الهمزة الخ».

(٢) بمعنى أنه مستعمل في لازم معناه.

الحبر مستعملاً في دفع الإنكار ، بل هو مستعمل في معناه - وهو إثبات القيام لزيد على سبيل التأكيد - وأما دفع الإنكار فهو مفهوم تبعاً ، من غير أن يستعمل فيه اللفظ .

حكم : يجب في ضرب الإنكار أن يلي المنكر الهمزة ، سواء أكان فعلاً أم فاعلاً أم مفعولاً أم غير ذلك ، كاستفهام الحقيق والتقرير .

أمثلة الإنكار التوكيدي :

من أمثلة إنكار الفعل الماضي قوله تعالى : « أفأصفاكم ربكم بالبنين » ، واتخذ من الملائكة إناثاً ؟ ، « أصطفى البنات على البنين ؟ » فهذا تكذيب للمشركون ، ورد لما يفترونه ، مما يؤدي إلى هذا الجهل العظيم ، فإنهم يزعمون أن الملائكة إناث ، وأنهم بنات الله ، وهذا يستلزم أن الله اصطفاهم واختصهم بالبنين الذين هم الصفوة ، واختار لنفسه النوع الأدنى ، وأنه تعالى قد فضل البنات على البنين ، فكذبهم في كلا الأمرين ، أي لم يكن هذا ولا ذلك .

ومن أمثلة إنكار الفعل المضارع ، قول امرئ القيس (١) :
أَيْقُتُنِي وَالْمَشْرِفِ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةُ زُرْقٍ كَأَنْيَابِ أَغْوَالٍ (٢)

(١) من قصيدته التي أولها .

أَلَا عَمَّ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلُّ الْبَالِي وَهَلْ يَحْمَنُ مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي

(٢) الفاعل يعود على زوج معشوقته المتقدم في قوله قيل هذا البيت :

فَأَصْبَحْتُ مَعْشُوقاً وَأَصْبَحَ بَعْلُهَا عَلَيْهِ الْقَتَامُ سِمْيَ الظَّنِّ وَالْبَالِ

يُفْطِ غَطِيطَ الْبَكْرِ شَدَّ خَنَاقَهُ لِيَقْتُلَنِي وَالْمَرَمُ أَيْسَ بَقْتَالِ

والمشرف : السيف ، منسوب إلى مشارف الشام ، والمسنونة الزرق : الرماح ، والأغوال

جمع غول : وهو حيوان لا وجود له .

فهذا تكذيب لإنسان (١) تهدده بالقتل ، وإنكار أن يحصل منه ذلك ، وقولك : أرضى عنك فلان وأنت مقيم على ما يكره ؟ ، وقوله تعالى في سورة هود : قال : يا قوم أرأيتم إن كنتم على بيشة من ربى ، وآتاني رحمة من عندي فعدت عليكم ، أنزل مكموها وأنتم لها كارهون ؟ ، أى أنكرهكم على الاهتداء بها ، والمراد بالرحمة : النبوة ، والمعنى : لا يكون ذلك .

ولما كان الغرض فى المثل المتقدمة إنكار الفعل ، مُقدم الفعل على الاسم ، فإذا أريد إنكار الاسم ، أى الفاعل أو المفعول أو غيرهما ، وجب تقديمه أيضاً ، مثال إنكار الفاعل قولك لمن ينتحل شعراً : أنت قلت هذا الشعر ؟ كذبت ، فأنت لا تنكر الفعل - وهو قول الشعر - ولكنك تنكر أن يكون هو القائل له ، وترى أن القائل غيره ، وتقول : أنت تمنعنى حق ؟ تريد : أن غيرك هو الذى يستطيع ذلك ، أما أنت فلا .

لماذا يوجه الإنكار إلى الفاعل ؟ :

يكون ذلك لأسباب تقتضى نفى الفعل عنه ، منها :

١ - أن يكون عاجزاً عن الفعل ، وليس فى رصعه أن يفعله ، كما فى المثالين السابقين .

٢ - أن يكون أبعدهم ، وأعلى شأننا من أن يفعله ، نحو : أهو يرتشى ؟ أهو يسأل فلانا ؟ ، أهو يمنع الناس حقوقهم ؟ ، تريد أن تقول : إن غيره من لا خلاق لهم هو الذى يفعل ذلك ، أما هو فلا .

٣ - أن يكون أصغرهم ، وأحط شأننا من أن يفعله ، تقول : أهو يسمح بمثل ذلك ؟ ، أهو يرتاح للجميل ؟ ، أهو يعطف على المسكين ؟ ، أهو يبني مدرسة ؟ أى هو أقصرهم من ذلك ، وأقل رغبة فى الخير مما تظن . إلى غير ذلك .

ومثال إنكار المفعول ، قولك : أليباي نخدع ؟ . لا تنكر أن يحصل من المخاطب خدع ، وإنما تنكر أن تكون أنت المخدوع ، لأنك لست بمن يجوز عليه ذلك في زعمك ، وقولك : أزيداً تضرب ؟ . لا تنكر أن يصدر من المخاطب ضرب ، وإنما تنكر أن يكون المضروب « زيداً » ، لأنه ممن لا يصح أن يجترأ عليه ، وقوله تعالى : « أغير الله أخذك ولياً ؟ » ، « قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله ، أو أتتكم الساعة ؟ » ، أغير الله تدعون ؟ ، ليس الإنكار موجهاً إلى اتخاذ الولي ، أو إلى الدعاء ، وإنما هو موجه إلى أن يكون غير الله بمثابة أن يتخذ ولياً أو يدعى ، فإن ذلك لا يرضى به عاقل .

ولو قدم الفعل في ذلك لتوجه الإنكار إليه ، وكان المعنى نفى حصوله ولم يقد في المفعول ذلك المعنى الذي أفاده تقديم المفعول ، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى : « أبشراً منا واحداً نتبعه ؟ » أنكروا أن يكون البشر ممن يصح اتباعه ، وتجب طاعته ، وأن يكون مبعوثاً من عند الله ، فإنهم كانوا يشكرون ذلك ، ويرون أن الرسول يجب أن يكون ملكاً بديل قولهم : « إن أتمم إلا بشرٌ مثلنا » ، « ما هذا إلا بشرٌ مثلكم يُريد أن يتفضل عليكم ، ولو شاء الله لأنزل ملائكة » .

تنبيه : لإنكار الفعل بطريق الاستفهام إنكاراً تكذيبياً صورتان :

علينا ما سبق أن طريق إنكار الفعل بالهمزة أن يقع عقبها كأمثلة

السابقة ، ومثل (١) :

(١) البيت لمادة بن عقيل بن بلاك بن جرير بن عطية الخطفي ويكنى أبا عقيل ، شاعر مجيد من سكان بادية البصرة ، وكان له اتصال قوى بخلفاء بني العباس ، كما كانت له مكانة عظيمة عند النحويين وعباءة اللغة ، وطالما أخذوا عنه ، ولد سنة ١٨٢ هـ ٧٩٨ م —

أَنْزُرُكَ أَنْ قَلَّتْ دِرَاهِمُ خَالِدٍ زيارته ؟ إِنْ إِذَا لِلنِّيمِ (١)

أى لا يكون ذلك منى ، فهذه صورة .

وهناك صورة أخرى لإنكاره (٢) لا يكون الفعل فيها واليا للهمزة .

وضابط هذه الصورة أن ينحصر فاعل الفعل أو مفعوله أو غيرهما من متعلقاته في واحد أو أكثر ، فيؤتى بذلك الفاعل أو المفعول أو غيرهما من المتعلقات عقب الهمزة ، ويعطف عليه : « أم » إن وجد في وجه الإنكار إلى الاسم المقدم بحسب الظاهر ، فيلزم من إنكاره إنكار الفعل ، لأن الفعل إذا نفى فاعله الذى لا فاعل له غيره ، أو مفعوله الذى لا مفعول له غيره ، أو ظرفه الذى لا ظرف له غيره ، لزم انتفاؤه حتما .

وهذه الصورة أبلغ من سابقتها ، لأن نفي الفعل فيها بطريق السكناية واللزم ، فهي بمثابة دعوى مع دليلها .

أمثلة : إذا قال لك قائل : بعثنى فلان إليك ، وأردت تكذيبه ، لأنك تعلم أن فلانا هذا لم يبعثه ، فلك أن تقول : أبعثك فلان إلى ؟ فتأتى بالفعل عقب الهمزة ، تريد أن تقول له : لم يبعثك ، وهذه هي الصورة الأولى ، ولك أن تقول : أفلان بعثك إلى ؟ . تنكر بحسب ظاهر العبارة أن يكون

== وتوفى سنة ٨٢٣٩ ٨٥٣ م وترجمته في الأعلام ص ٧٠٩ ، وجمهرة الأنساب ص ٢١٤ .

والأغانى ٢٠ : ١٨٣ - ١٨٨ ، وشرح الحماسة ٤ : ١٤ ، ومعجم الشعراء ٣٤٧ وغيرها .

(١) البيت في خالد بن يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني أحد الأولاة المشهورين بالبطولة

والجود في العصر العباسى من أيام المأمون إلى زمن الواثق وتوفى سنة ٢٣٠ ٨٤٥ م .

ولمبارة فيه - كما لأبى تمام ومعاوية من الشعراء - مدائح كثيرة ، ومن أبياته فيه قوله :

تأبى خلائق خالد وفعله إلا تجنب كل أسري عائب

وقوله : أرى الناس طرا حامدين لخالد وماكلهم أقصت إليه صنائعه

(٢) ص ٨٩ ، ٩٠ دلائل الإعجاز .

فلان هو الباعث موهما أنه غلط وأن غيره هو الباعث ؛ وبما أنه لا باعث غيره يلزم إنكار البعث من أصله .

وإذا زعم زاعم أنه سابق أحد ابنك في أمر فسبقه ، وأردت أن تشكر ذلك ، فلك أن تقول له مكذبا : أسبقت أحدهما . أى لم يحصل ذلك ، لأنك أعجز من أن تفعل وهذه هي الصورة الأولى ؛ ولك أن تقول : أعلياً أسبقت أم محمداً . تشكر بحسب الظاهر أن يكون أحدهما مسبوقاً له ، ولعل المسبوق غيرهما ، وبما أن السبق لم يتعلق بغيرهما ، يلزم انتفاؤه ، وإنكاره من أصله وإذا قال لك قائل : زرتك أمس فلم أجدك ، وأردت تسكذيته ، فلك أن تقول : أزررتي أمس ؟ بإيلاء الفعل الهمزة ، وهي الصورة الأولى ؛ ولك أن تقول : أليلاً زرتني أم نهرا ؟ تشكر أن يكون الليل والنهار وقتاً لزيارته ، فيلزم نفى هذه الزيارة لأنها إن وقعت فلا بد أن تكون في ليل أو نهار ، وهذه هي الصورة الثانية .

وكذلك إذا قلت : أراك يا زرتني أم ماشياً ؟ تشكر الحالين بحسب الظاهر فيلزم انتفاء الزيارة ، لأنها إن حصلت لا بد أن تكون على إحداهما . ومثل ذلك إذا قلت له : أفي البيت زرتني ؟ وكان معلوماً أنك لم تبرح منزلك وقت الزيارة ، تشكر بحسب الظاهر أن يكون البيت موضعاً للزيارة وبما أنه لا مكان غيره فيلزم انتفاء الزيارة من أصلها .

وإذا رأيت رجلاً في مكان لا يدخله أحد إلا بإذنك ؟ فزعم أنك أذنت له ، فلك أن تقول له مكذبا : أأذنت أنا لك . بإيلاء الفعل الهمزة . أى لم أذن ، ولك أن تقول : أنا أذنت لك . تنفى بحسب الظاهر أن تكون أنت الآذن ، وتوهم أن غيرك هو الآذن ، وبما أنه لا آذن غيرك ، يلزم انتفاء الإذن من أصله .

وبما قصد فيه نفى الفعل على الطريقة الثانية ليكون أبلغ ، قوله تعالى :
 « قل : أرايتم ما أنزل الله لكم من رزقٍ ، فجاءتم منه حراماً وحلالاً ؟ قل :
 آتاه الله آذنين لكم ؟ » المقصود نفى الإذن من أصله ، فإنه لا آذن في التحليل
 والتحرير إلا الله ، فإذا نفى أن يكون الله آذناً ، فقد انتفى الإذن ، وأخرج
 الكلام على هذه الصورة - أى صورة نفى الفاعل لا الفعل - ليكون أبلغ
 كما قررنا .

وكذلك قوله تعالى : آتاه كريناً حراماً أم الاثنين ، أم ما اشتملت عليه
 أرحامُ الاثنين ؟ المقصود نفى الفعل - وهو التحريم لشيء مما ذكر - ولكن
 لم يقدم الفعل عقب الهمزة ، بل أخرج الكلام في صورة نفى المفعول دون
 الفعل ، ليكون أبلغ في نفى الفعل ، فإن نفيه حينئذ يكون بطريق الكناية
 واللزم ، وذكر الدعوى مع دليلها ، كأنه قيل لو كان هناك تحريم لكان
 متعلقاً بواحد من هذه الأمور ، لكن واحداً منها ليس بمحرم ، فليس
 هناك إذاً تحريم ، وذلك أنهم كانوا تارة يحرمون ذكور الأنعام ، وتارة
 إناثها ، وتارة مافي بطون الإناث ذكوراً كانت أم إناثاً أم مختلفة ، وينسبون
 ذلك إلى الله . فرد الله عليهم إفسكهم بإنكار محل التحريم .

عسى أن تكون هذه الصورة قد وضحت .

شبهة : قد يقول قائل : إن الإنكار في قول امرئ القيس :

أبقتلى والمشرقي مضاجعي ؟

موجه إلى الفاعل لا إلى الفعل ، معتمداً في توهمه هذا على

البيت السابق .

وهو قوله :

يَغِطُ غَطِيطَ الْبَكْرِ شَدْخَاقُهُ لِيَقْتَلَنِي ، والمَرءُ لَيْسَ بِقَتَالٍ (١)

فإن قوله : « والمَرءُ لَيْسَ بِقَتَالٍ » ظاهر في أنه يريد أن ينفي عنه القدرة على القتل ، ويقصده هو الإنكار ، ويتهمة بالعجز ، ويقول : إن غيرك هو الذي يقدر على قتلي ، وليس مراده نفي الفعل من أصله ، وإذا صح هذا فقد توجه الإنكار لغير ما ولي الهمزة .

الجواب : أن هذا الظاهر الذي في البيت الأول غير مراد ، بدليل قوله :

... والمشرقي ضاجعي ومسنونة زرق كُنْيَابِ أَغْوَالِ

فلو كان يريد أن يتهمة بالعجز ، ويقول : إن غيره هو الذي يقدر على قتلي لما ذكر أنه مستعد كل هذا الاستعداد لدفعه ، وأن معه من السلاح ما يمنعه من تنفيذ عزمه ، فذكره : ذلك دليل على أن خصمه ليس بعاجز ، لأن السلاح إنما يحتاج إليه إذا كان الخصم قادرا على الفعل لا عاجزا عنه ، وإذا كان الأمر كذلك كان الإنكار موجها إلى الفعل لا إلى الفاعل .

أمثلة الإنكار التوبيخي :

تقول في إنكار الفعل الماضي إنكارا توبيخيا : أقاطعت صديقك ؟ أوشيت بإخوانك ؟ أعصيت ربك ؟ دلي معنى ما كان ينبغي لك أن تفعل . وتقول في إنكار المضارع كذلك : أخرج في هذا الوقت ؟ أغرر بنفسك ؟ أذهب في غير الطريق ؟ أتسى قديم إحسان فلان ؟ أتترك صحبتته

(١) غط البعير : هدر ، والنائم صوت ، وكذلك المذبح والخقوق ، والبكر - بالفتح - ولد الذقة ، أو الفتى منها أو النقي إلى أن يجذع ، أو ابن الخاض إلى أن ينقى ، أو ابن البون إذا لم يزل ، جمه أبكر وبكران وبكارة بفتح الباء وكسرها في الأخير .

لتغير الزمان ؟ والمعنى : لا ينبغي لك أن تفعل شيئاً من ذلك .
تقدم الفعل لأنك تقصد بالإنكار : إليه والتوبيخ : عليه ، وليس الإنكار
في شيء من هذا موجهاً إلى الفاعل على معنى : « لست أنت الذي ينبغي
أن تفعل بل غيرك » لأن هذا المعنى لا يريده المتكلم ، ولا يليق بالحال التي
يقال فيها هذا الكلام .

وتقول : أنت تظلم فلاناً ؟ أنت تيجدني حق ؟ تقدم الفاعل لأنك
توجه التوبيخ إليه خصوصاً ، وتقول : غيرك هو الذي يصح أن يفعل هذا
الفعل ، أما أنت فلا ينبغي لك أن تفعله .

وتقول : أأباك تشتم ؟ تقدم المفعول لأن التوبيخ من أجله هو .
وتقول : أفي الدرس تلهو ؟ أيوم العيد تظهر غير متجمل ؟ تقدم
ما كان الفعل مستهجناً من أجله ، وهكذا .

تنبية : التوبيخ يكون على فعل قد حصل ، أو على وشك الحصول ؛
والتكذيب يكون لفعل لم يحصل ، أو لن يحصل .

سؤال مهم وجوابه : - وفيه يتبين الفرق بين النفي الصريح وبين الاستفهام

الإنكارى :-

فسرنا الاستفهام الإنكارى بأنه تارة يكون تكديدياً بمعنى : ما كان ،
أو لا يكون ؛ وتارة يكون توبيخياً بمعنى : ما كان ينبغي أن يكون ، أو لا
ينبغي أن يكون ؛ فنتج السؤال الآتى : هل ترى بناء على هذا أن المعنى يتحدد
في أسلوب الإنكار بالاستفهام ، وأسلوب الإنكار بالنفي الصريح وأن معنى
قولنا : أنت قلت هذا الشعر ؟ وقولنا : أنت لم تقل هذا الشعر ، واحد ؟ ومعنى
قولنا : أتتسى إحسان فلان ؟ وقولنا : لا ينبغي أن تتسى إحسان فلان ، واحد ؟

والجواب : كلا ، لا اتحاد في المعنى بين الأسلوبين من كل وجه ، وغرضنا من التفسير المذكور بيان مآل المعنى فقط ، لكن حقيقة الأمر أن الإنكار بالاستفهام مزية بها كان أبلغ أثرا ، وأوقع في النفس من النفي الصريح ، بيان ذلك : أنك إذا قلت : أنت قلت هذا الشعر ؟ أتتسى إحسان فلان ؟ فإنك لم تفقد غرضك وهو تكذيبه بآدى ذى بدء ، بل أوقعت في روعه أنك تطلب منه جوابا ، فينتبه ، ويرجع إلى نفسه ليحجب ، فيجيب بالجواب ويخجل ، ويعلم أنك قصدت تكذيبه ، لأنه ادعى القدرة على شيء لا يقدر عليه ، أو تخطئته وتوبيخه ، لأنه هم بأمر لا يستحسب فعله ، وقد تتأدى به الغفلة ، ويظن أنك مستفهم حقا ، فيقول : نعم ، أنا قلت هذا الشعر ، فتقول حينئذ : فانظروا على غراره ، فيظهر عجزه ، ويفتضح أمره ، ويصبح موضعنا للسخرية والاستهزاء .

ومزية أخرى للاستفهام الإنكارى ، وهى : أن أسلوبه يشعر بثقة المتكلم واطمئنانه ، وأنه لا يخشى تكذيبا ولا مخافة ، لإيهامه أن السامع أعلم منه بحقيقة الأمر ، ولذلك يطلب منه الجواب بحسب الظاهر ، أما إذا أتيت بالنفي الصريح فقلت : أنت لم تقل هذا الشعر ، لمن ينتحل شعرا ، ولا ينبغي أن تتسى إحسان فلان . فقد أفدت غرضك من أول وهلة ، ولم توح للمخاطب أن يراجع نفسه ليخجل ويرتدع ويعلم أنه مخطئ ، ولم يشعر الأسلوب بثقتك واطمئنالك إلى عدم التكذيب .

هذا هو الفرق بين الأسلوبين ، ويستفاد من كلام الشيخ (١) أن هناك فرقا آخر ، وهو : أن النفي الصريح لا يقال في المستحيل ، وفيما لا يقول به

عاقِل ، فلا تقول مثلاً لمن يحاول أمراً بعيداً : أنت لا تصعد إلى السماء ، أنت لا تنقل الجبال ، ولكنك تقول : أنتصعد إلى السماء ؟ أنتنقل الجبال ؟ أتردُّ ما مضى ؟ فلو كان معنى الأسلوبين واحداً من كل وجه لصح استعمال كل منهما فيما يستعمل فيه الآخر .

ولا يخفى أن إنكار المستحيل بالاستفهام إنما يجيء على سبيل التمثيل ، وتنزيل المخاطب الذي يطلب الأمر البعيد ، منزلة من يدعى أنه يستطيع أن يصعد إلى السماء أو ينقل الجبال ، أو يرد ما مضى ، ووجه الشبه : أن كلا يطلب ما لا يستطيع .

اعتراضٌ : قد يقال : أى مانع من أن نقول لمن يطلب أمراً بعيداً : أنت لا تصعد إلى السماء ، على سبيل التمثيل ، بأن نشبهه بمن يدعى القدرة على ذلك ؟

جوابه ، وقد أجيب : بأن الشيخ أعلم منا بالأساليب الفصيحة المقبولة ، وغير الفصيحة المردودة ، وهو يرى أن المناسب هنا الاستفهام لا النفي الصريح .

ولكن لا يخفى أن هذا الجواب غير مفيد ، فلا مانع أن يقال : أنت لا تصعد إلى السماء ، على سبيل التمثيل ، والدليل على ذلك ، المثل المشهور ، وهو : « إنك لا تجنى من الشوك العنب » وجنى العنب من الشوك مستحيل ، والكلام تمثيل .

وقد قال البحترى :

فعليك الرضا قسمته لك هذى المطالبُ المجهولة

لن تبال المزوى عنك بتدبير ولن تصعد السماء بحيلة

فقد أدخل النفي الصريح على المحال .

وجملة القول : أن هذا الفرق الذي ذكره الشيخ غير مسلم .

ومن أمثلة إنكار انحال على سبيل التمثيل : قوله تعالى : وَأَفَأَنْتَ تَسْمِعُ الصُّمَّ أو تهدي العمى ؟ ، ليس الكلام على ظاهره ، لأن إسماع الصم مما لا يدعيه أحد ، بل هو على سبيل التمثيل ، وتشبيه النبي صلى الله عليه وسلم في محاولته هداية الكافرين الذين أصروا على كفرهم - بمن يحاول إسماع الصم ، وهداية العمى ، ووجه الشبه : أن كلا يطلب أمراً لا يحصل ، وقدّم الفاعل هنا لأن القصد بالإنكار إليه على معنى : أنت لا غيرك تفعل ذلك ؟ بل نحن لا أنت الذين نستطيع هدايتهم .

ويرى السكاكي : أن تقديم الضمير هنا للتوكيد ، والهمزة في الحقيقة داخلة على الفعل ، والمراد : توكيد إنكار الفعل ، ومن ذلك قول الشاعر (١) :

(١) في دلائل الإعجاز ص ٤٩ أنه لابن أبي عينية ، وهو محمد بن أبي عينية بن المهلب بن أبي صفرة وفي بعض الروايات زيادة في عدد الآباء بينه وبين المهلب بن أبي صفرة ، وقد كان شاعراً مطبوعاً غزلاً هجاء ، ويعد من أرق الشعراء في صدر العصر العباسي قال الجاحظ : والمطبوعون على الشعر من المولدين : بشار العبلي ، والسيد الجعفي ، وأبو العتاهية ، وابن أبي عينية ، وفي بعض كتاباته عدة من الرواة ، والعلاء ، والنسائي ، وكذلك كان ابنه أبو عينية شاعراً مجيداً قال فيه المرزباني : وأبو عينية هذا من أطبع الناس وأقربهم مأخذاً في الشعر وأقلهم تسكفاً ، أما ابنه الآخر عبد الله بن محمد بن أبي عينية فقد كان أشعر من أبيه وأخيه واشتهر أيام الرشيد والمأمون وعلا نجمه ، راجع في أخبارهم : البيان والتبيين ١ : ٥٨ ، ٢٨١ ، ٣ : ٢٥٠ ، ٢٦٧ ، الفهرست ٢٢٣ ، معجم الشعراء ٢٦٧ ، أدب العرب ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، المعجم الكبير ٢٨٠ ، ٢٨١ (٢)

فَدَعَ الوعيدَ فهاوِعيدُكَ ضَارِي أَطْنِينُ أَجْنَحَةُ الذُّبَابِ يَضِيرُ؟ (١)

الكلام ليس على ظاهره ، إذ لا يدعى أحد أن طنين الذباب يضير ، بل هو على التمثيل ، وتنزيل المخاطب — في دعواه أن وعيده الذي لا يؤبه له « يضير » — منزلة من يدعى أن طنين أجنحة الذباب يضير ، ووجه الشبه : أن كلا قد ادعى دعوى كاذبة .

تنبيه : قول الشيخ في آخر هذا الفصل : « فهذا هو القول في الضرب الأول (٢) الخ » . عبارة غير محررة ، ومحاولة حملها على وجه مقبول جهد صانع ، والأمثلة فيها لا يحفى المراد بها بعد الوقوف على ما سبق .

حكم التقديم في الخبر

الفرق بين تقديم الاسم على الفعل ، وتقديم الفعل على الاسم في الخبر :

بين الشيخ فيما مضى الفرق بين تقديم الاسم وتقديم الفعل في الاستفهام ، حقيقياً ، كان أو تقريرياً ، أو إنكارياً ، ويريد هنا أن يبين الفرق بينهما في « الخبر » منفياً كان ، أو مثبتاً ، وقد عرض في هذا الفصل (٣) لمسائل :

(١) الخطاب لابن عمه خالد بن يزيد ابن حاتم بن قبيصة بن المولب ، وله فيه أهاج مرة بعضها في معجم الشعراء .

(٢) تمام العبارة « وهو أن يكون « يفعل » بعد الهمزة لفعل لم يكن » ص ٩٦ دلائل الأعجاز — وهو نص في أن مراده « المضارع في المستقبل » ، ولعل الضرب الأول منه هو الذي لا يكون مطلقاً والضرب الثاني هو الذي لا ينبغي أن يكون ، والأول مستحيل الوقوع والثاني جائز .

(٣) ص ٩٦ دلائل الأعجاز . ٥٢٥ : ٢٢٣ . ٢٢٢ : ٢٢٣ . ٢٢٢ : ٢٢٣ . ٢٢٢ : ٢٢٣ .

١ - المسألة الأولى: الفرق بين تقديم الاسم الذي هو فاعل في المعنى على الفعل ، وتقديم الفعل عليه ، ولذلك صور ثلاث :

(أ) أن يكون في الخبر نفي ، ويتقدم النفي على الاسم المقدم ، مظهراً كان الاسم ، أو مضمراً نحو : « ما أنا فعلت كذا ، ما زيد فعل كذا » .

(ب) ألا يكون في الكلام نفي ، بل يكون الخبر مثبتاً نحو : « أنا فعلت كذا ، وزيد فعل كذا » .

(ج) أن يكون الخبر منفياً ، ويتأخر النفي عن الاسم المقدم ، نحو : أنا ما فعلت كذا ، وزيد ما فعل كذا » .

٢ - المسألة الثانية : الفرق بين تقديم المفعول وسائر مجملات الفعل على الفعل ، وتقديمه عليها ، وقد أدرجها في أثناء الكلام على المسألة الأولى :

٣ - المسألة الثالثة : تقديم « مثل ، وغير ، على الفعل ، وهي وإن كانت داخلة في تقديم الفاعل على الفعل ، فقد أفردت بالذكر لانفرادها بإفادة معنى خاص .

وتتلخص هذه المسائل فيما يأتي :

المسألة الأولى :

الصور الأولى منها : إذا قدمت الفاعل على الفعل ، وكان الاسم المقدم واقعاً عقب نفي نحو : « ما أنا فعلت كذا » أفاء التركيب « القصر ، قطعاً ، أي قصر نفي الفعل على الاسم المقدم ، وأفاد أن الفعل ثابت ، متفق على حصوله ، وأنه منفي عن المسند إليه المقدم ، وأنه مثبت لغيره على حسب النفي ، عموماً وخصوصاً .

والسر في ذلك : أنك لا تقول : « ما أنا قلت » ، إلا إذا كان « القول » ثابتاً ، متفقاً على حصوله بينك وبين مخاطبك ، ولكنه يزعم أنك القائل له دون غيرك ، أو أنك مشترك مع غيرك فيه ، أو يردّدُه بينك وبين غيرك فتصح له الأمر بأن تقول : « ما أنا قلت هذا » فتنتفي عن نفسك ، وتثبت لغيرك .

وكذلك لا تقول : « ما أنا ضربت زيدا » ، إلا إذا كان « زيد » مضروباً وكان مخاطبك يزعم أنك الضارب ، فتنتفي بهذا القول الضرب عن نفسك وتثبت لغيرك .

ومن أبين الأمثلة على أن هذا التقديم يقتضى ما ذكرنا ، من وجود الفعل ، ونفيه عن المسند إليه المقدم ، وإثباته لغيره : قول الشاعر (١) :

وما أنا أسقمْتُ جسمي به ولا أنا أضرمْتُ في القلبِ ناراً (٢)

« السقم (٣) » ، ثابت موجود ، ولكن الشاعر يريد أن ينفي عن نفسه أنه الجالب له ، ويثبت ذلك للهم الذي اعتراه .

ومثل ذلك قول المتنبي (٤) :

وما أنا وحدي قلتُ ذا الشعرِ كلّه ولكنّ لشعرى فيك من نفسه شعرٌ

(١) هو المتنبي راجع ص ٩٥ ج ٢ من التبيان .

(٢) الضمير في « به » يعود إلى الهم المذكور في بيت سابق هو :

ولكن حمى الشعر إلا القلب ل هم حمى النوم إلا غرارا

(٣) بوذن جبل وقيل وكسحاب : المرض ، والفعل كفرح وكرم ، والوصف سقيم والجمع ككتاب .

(٤) من قصيدة تبلغ ٤١ بيتاً في مدح علي بن أحمد بن عامر الانطاكي ، راجع

التبيان ٢ : ١٥٨ .

التقديم يدل على أن الشعر ثابت ، ولكن الشاعر يريد أن ينفي عن نفسه أن يكون القائل له وحده ، ويثبت أن محاسن المحبوب ، وصفاته الكريمة لها الفضل في كثير منه ، فإنها هي التي أوحى إليه به ، وألهمته إياه ، فكأنها هي القائلة له .

أما إذا قدمت الفعل فقلت : « ما قلت هذا ، وما فعلت كذا ، وما ضربت زيداً ، فإنك تنفي عن نفسك فعلاً لم يثبت أنه حصل ، بل يجوز أن يكون حصل من غيرك ، ويجوز أنه لم يحصل ألبتة ، فلا تعرض في العبارة لإثباته لغيرك ، ويلزم ألا يفيد « الحصر » .

ومثل ذلك ما لو قلت : « ما قلت أنا ، وما فعلت أنا كذا ، لأن « أنا » للتأكيد فقط هنا .

أدلة الشيخ على ذلك : استدل الشيخ على أن تقديم المسند إليه ، وإيقاعه عقب حرف النفي يفيد ما تقدم من المعنى : بثلاثة أدلة :-

١ - الدليل الأول : أنه يصح حين تقدم الفعل أن يكون النفي عاماً نحو : « ما قلت شعراً ، ما أكلت اليوم شيئاً ما رأيت أحداً ، ولا يصح ذلك إذا قدمنا الفاعل ، وكان خلفاً وباطلاً من القول أن تقول : « ما أنا أكلت اليوم شيئاً ، ما أنا قلت شعراً ، ما أنا رأيت أحداً من الناس ، ... »

سبب الفساد : والسبب في ذلك : (١) أن هذا الأسلوب يقتضي أن الفعل ثابت متفق عليه . (٢) وأنه منفي عن المسند إليه المقدم . (٣) وأنه مثبت لغيره على الوجه الذي نفى عليه ، من خصوص أو عموم ، فهذه الأمثلة الثلاثة تفيد أن قول شعر على العموم ، وأكل شيء على العموم ، ورؤية أحد على العموم - : أمر ثابت ، متفق عليه بين المتكلم والمخاطب . وقد أخذ العموم ، من وقوع النكرة في سياق النفي ، لأنها حينئذ تعم وأن المتكلم

ينفيه عن نفسه ، وأنه يثبت له غيره عاماً ، وذلك يقتضى المحال - وهو أن يكون هنا إنسان قد قال كل شعر في الدنيا ، وأكل كل شيء يؤكل ، ورأى كل أحد من الناس - وما اقتضى المحال محالاً .

قد يقال (١) : إن المنفى هو : « قول شعر ، وأكل شيء ، ورؤية إنسان فيكون المثبت للغير أنه : « قال شعراً ، وأكل شيئاً ، ورأى إنساناً » فيصح التركيب ، إذ لا استحالة في ذلك ، ولا داعي لاعتبار « العموم » المقتضى للفساد ؟

والجواب : أن ذلك غفلة عن قاعدة هذا الأسلوب - التي قدمناها ، والتي استنبطناها من كلام الشيخ ، الخبير بأساليب البلاغ - وهي : أن الإثبات للغير يكون على حسب النفي ، عموماً وخصوصاً (٢) .

وأما إذا تقدم الفعل نحو : « ما قلت شعراً » فإنه يكون صحيحاً ، لأنه لا يقتضى إلا نفي الفعل عن الفاعل ، أما ثبوت الفعل ، أو إثباته للغير ، فلا يقتضيه ، ولا يشعر به .

٢ - الدليل الثاني (٣) على وجود الفرق بين تقديم الفعل وتقديم الفاعل في هذه الصورة . أنه يصح أن تقول : « ما قلت هذا » ، ولا قاله أحد من الناس ، ما ضربت زيدا ، ولا ضربه غيره ، وذلك لأنك تتكلم عن فعل

(١) هذا رأى السعد ، وراجع المطول ص ١٠٩ ، ١١٠ .
(٢) لعل عذر السعد في هذا ، أن العموم في حالة النفي آت من صدق مدلول النكرة على كل فرد من الأفراد ، لا لأن مدلولها جميع الأفراد ، وحيث إن النفي كان مساطاً على الفرد . فلا ثبات يكون للفرد ، فيصدق هذا الكلام بأن غيره قال شعراً أو أكل شيئاً أو رأى أحداً من الناس ، هذا من ناحية التوجيه المنطقي ، أما من حيث الأسلوب ودلالته بوضوح على المعنى فلصير في البيان عبد القاهر الرأى الأعلى .
(٣) راجع ص ٩٧ دلائل الإعجاز .

لم يثبت وجوده ، فلك أن تنفيه عن غيرك .
 هذا إذا قدمت الفعل ، أما إذا قدمت الاسم ، فلا يصح أن تقول :
 « ما أنا قلت هذا ، ولا قاله غيري » ولا أن تقول : « ما أنا ضربت زيدا ،
 ولا ضربه أحد سواي » وذلك لأن هذا الأسلوب يقتضى أن الفعل ثابت
 متفق عليه ، وأنه منفي عن المقدم ، ومثبت لغيره ، وقولك : « ولا قاله أحد
 غيري » يفيد أنه منفي عن الغير ، وهذا تناقض ظاهر .

وجه آخر للبطلان : وهو أن هذا التركيب يفيد ثبوت القول
 والضرب « ونفيهما عنك ، وعن جميع من عداك ، فيلزم ثبوت قول من غير
 قائل ، وضرب من غير ضارب ، وهو محال .
 وجه ثالث : وهو ما ذكره الشيخ من أن هذا الأسلوب يفيد ثبوت
 « القول والضرب » مع أن نفيه عنك وعن غيرك يفيد نفيهما ، إذ لا يوجد
 فعل بدون فاعل ، وهو تناقض ، فافهم .

٣ — الدليل الثالث : أنه يصح أن تقول : « ما ضربت إلا زيدا » بتقديم
 الفعل ، لأنك تنفي عن نفسك ضرب غير زيد ، وتثبت لها ضرب زيد ،
 ولا يشعر كلامك بأن غيرك ضرب أو لم يضرب .
 ولا يصح أن تقول : « ما أنا ضربت إلا زيدا » بتقديم الاسم .

وسبب البطلان : ما تقدم من « قاعدة هذا الأسلوب » وأنه يفيد أن
 الفعل ثابت ، وأنه منفي عن المقدم ، ومثبت لغيره على حسب النفي عموماً
 وخصوصاً ، فهذا المثال يفيد أن « ضرب كل أحد إلا زيدا » ثابت ، وأنه
 مثبت لغيره ، فيلزم أن يكون هناك إنسان ضرب « كل أحد إلا زيدا » وهو
 وهو باطل ، هذا هو التعليل الصحيح لفساد مثل هذا التركيب .

وقد علل الشيخ فساد (١) : بأنه يقتضى « التناقض » ، وذلك لأن نقض النفى : « إلا » يقتضى أن تكون ضربت زيداً ، وتقديمك ضميرك ، وإلاؤه حرف النفى يقتضى ألا تكون ضربته ، فهما يتدافعا (٢) .

وقد رد « الخطيب » (٢) ، هذا التحليل ، ودفع « التناقض » : بأنا لا نسلم أن تقديم الضمير ، وإيلاؤه حرف النفى يقتضى ألا يكون زيد مضروباً ، إنما يكون الأمر كذلك إذا لم يستثن منه ، بأن يقتصر على قوله : « ما أنا ضربت أحداً » . أما بعد الاستثناء فلا شك في إفادة أنه مضروب ، سواء قدم الضمير أم لم يقدم ، لأن النفى العام - وإن تقدم - فإن الحكم به متأخر عن الاستثناء ، فالحكموم عليه ما عدا المستثنى ، فلا تناقض .

الصورة الثانية من المسألة الأولى :

وهى ما تقدم فيها المسند إليه على الفعل ، ولم يكن فى الكلام نفى ، نحو : « أنا فعلت كذا ، زيد فعل كذا » وقد بين الشيخ (٤) أن تقديم الاسم حينئذ يكون للاهتمام بالفاعل المقدم ، وبيان أن المقصد إليه ، وذلك الاهتمام سببه أمران :

١ - أحدهما جلى لا يشكك وهو أن يكون الغرض قصر الفعل على المقدم ونفيه عن واحد آخر ، أو عن جميع ما عدا المقدم ، وهو على الأول « قصر » ، إضافى ، وعلى الثانى حقيقى ، مثال ذلك أن تقول : « أنا كتبت فى معنى

(١) ص ٩٨ دلائل .

(٢) عليه السعد أيضاً - ص ١١٢ مطول - بأنه يقتضى أن يكون غيرك قد ضرب كل أحد إلا زيداً ، وهو لا يكون . وهذه علة وجيهة .

(٣) ص ١٠ ج ١ بنية الايضاح .

(٤) ص ٩٩ دلائل .

فلان - أى شأنه - وأنا شفعت فى بابيه - أى أمره - « تريد أن تدعى الانفراد بذلك ، وأن ترد على من زعم أن ذلك كان من غيرك لا منك ، فتقلب له اعتقاده ، أو على من زعم أن غيرك مشاركتك فى الأمر ، فتفرد نفسك به ، وهو على الأول « قصر قلب » ، وعلى الثانى « قصر إفراد » ، ويجوز أن يكون « قصر تعيين » (١) إذا قلته لمن ردد الأمر بينك وبين غيرك ، وكل ذلك من « الاضافى » فإذا أردت أن تثبت الفعل لنفسك ، وتنفيه عن جميع من عداك كان « قصر حقيقياً » (٢) .

٢ - الثانى من سبب الاهتمام بالاسم المقدم : أن يكون الغرض إفادة تقوية الحكم الذى هو ثبوت الفعل للفاعل وتوكيده ، ودفع الشك عنه ، لا قصره عليه ، مثال ذلك أن تقول : « هو يعطى الجزيل » ، هو يحب الثناء ، لا تريد أن تقصر الفعل عليه ، ولا أن تنفيه عن غيره ، وإنما تريد أن تحقق الحكم ، وتمكنه فى نفس السامع ، وتدفع الشك عنه ، وقد جاء الشيخ بأمثلة جاء التقديم فيها للتقوية ، وهى :

هَمْ يُفَرِّشُونَ السَّبَدَ كُلَّ طَمَرَةٍ وَأَجْرَدَ سَبَّاحٍ يُبْشِّرُ الْمَغَالِيَا (٣)

(١) قصر القلب : ما كان المخاطب معتقداً فيه العكس ، والافراد : ما كان معتقداً فيه الضم ، والتعيين : ما كان فيه متردداً متحيراً .

(٢) الاضافى ما كان بالنسبة لعدد محصور من الصفات أو الموصوفين والحقيقى ما كان بالنسبة لجميع ما عدا المقصور عليه .

(٣) البيت الممدود بن عبد الله اللببى أحد بنى قيس بن ثعلبة ، وفى معجم الشعراء « الممدود البكرى » ، وهو شاعر إسلامى ، والبيت من قصيدة ذكر منها خمسة أبيات فى الحماسة ٤ : ٢٧٥ ، أربعة فى معجم الشعراء ٣٨٨ ، وكان المهلب بن أبى صفرة يعجب بها إبعاء إعجاب ، قدم عليه مرة فقال يا معشر الأزد ، وهذا الذى يقول :

جزى الله فتيان العتيك وإن نأت
بى الدار عنهم خير ما كان جازيا

الخ الأبيات ، فهموا له خمسين وصيفاً وأعطاه المهلب مثلها ويغفرشون : من أفرش =

هُمْ يَضْرِبُونَ السَّكْبَشَ يَبْرُقُ بِيَضُّهُ

عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الدِّمَامِ سَبَابُ (١)

سَلِينَمَى أَرْزَمْتُ بَيْنَا فَأَيْنَ تَقُولُهَا أَيْنَا؟ (٢)

== أى يعملون البعد فرشاً لكل طمرة ، أو من فرش ، والسكلام على حذف حرف الجر ، أى على كل طمرة ، والبعد : المتلبد من الصوف أو الشعر ، والطمرة : الفرس السكرية ، والأجرد : القصير الشعر ، والسباح : الذى يشبه سيره السباحة فى اللبن واليسر ، والمغاليا : بضم الميم المبالغ فى عدوه وفتح الميم جمع مغلاة - بكسر ها - وهى السم يتخذ للمغلاة ويذ : يسبق وفى دلائل الاعجاز ص ١٠٠ « المغاليا » وهو تحريف .

(١) البيت للأخنس بن شهاب بن شريق بن ثمامة بن أرقم بن عدى بن معاوية التغلبى شاعر جاهلى حضر حرب « البسوس » وتوفى عقيها سنة ٧٠ ق هـ ، ٥٥٠ م وهو فارس « المصا » الفرس المشهورة ، وقد زعم صاحب القاموس ص ٢١٢ ج ٢ أنه صحابى وذلك خطأ كبير ، ولعل الأمر التيس عليه بالأخنس بن شريق الثقفى الذى اختلف فى صحابته ، هذا البيت من قصيدة تبلغ ٢٧ بيتاً ذكرت فى المفضليات كلوا وذكر منها فى الحماسة ١٨ بيتاً ، وأولها :

لابنة حطال بن عوف منازل كارقش العنوان فى الرق كاتب

وبيتنا هذا هو الثانى والعشرون منها ، والسكبش : رئيس القوة أو القائد ، والبيض جمع بيضة ، وهى : « الخوذة » الحديدية ، والسباسب ، الطراق ، جمع سبيبة ، راجع المفضليات ٢ : ١ برقم ٤١ ، والحماسة ٢ : ١٤١ ، والأعلام ٨٨ ، والمؤتلف ٢٧ وغيرها (٢) البيت لعروة بن أذينة بن الحارث بن مالك بن زحل بن يعمر بن الشداخ بن وف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة المتوفى سنة ١٣٠ هـ ، ٧٤٧ م وأذينة لقب أبيه ، واسمه يحيى . وفى اسم جده خلاف ، ولقد كان عروة عالماً ناسكاً وشاعراً حاذقاً ، وأخباره كثيرة ، راجع بعضها فى الأغاني ٢١ : ١٠٥ أو ١٥٣ طبعى بولاق والتقدم ، والأعلام ٦٣٩ ، والشعر والشعراء ١٣٨ « الطبعة الأولى » والمؤتلف ٥٤ ، وجمهرة الأنساب ١٧١ ، ووفيات الأعيان ١ : ٢١٢ « الطبعة القديمة » وشرح الحماسة ٣ : ٢١١ ، ٢٥٣ ، التنبيه على أوهام القالى فى أماليه ص ٢٦ . ٢٧ وغيرها . وتقول هنا : بمعنى تظن .

مهما يلبسانِ المجدَ أحسنَ لبسةٍ شحانٍ ما استطاعا عليه كلاًهما (١)
وقوله تعالى : « واتخذوا من دونه آلهة لا يخشون شيئاً وهم يُخلقون .
وإذا جاءوكم قالوا : آمنا ، وقد دخلوا بالكفر ، وهم قد خرجوا به » .
وقد بين الشيخ (٢) بأجلى بيان أن تقديم المسند إليه في كل ذلك لم يقصد
به « القصر » ، ولا نفي الفعل عن آخر تعريضا به ، وإنما قصد به تأكيد ثبوت
الفعل للفاعل ، ومنع السامع من الشك ، فبدى بالمسند إليه ، لتنبيهه ، ومنعه
من الشك والإنكار .

السر في إفادة تقديم المسند إليه التوكيد في هذه الصورة :

يرى الشيخ (٢) أن السر في ذلك أنه لا يؤتى بالاسم مُعرِّئاً عن العوامل
إلا لحديث قد نوى إسناده إليه ، فإذا قلت : « عبد الله » مثلاً فقد أشعرت
قلب السامع أنك أردت الحديث عنه ، فإذا جئت بالحديث وهو « الفعل »
فقلت : قام ، أو فعل كذا ، دخل على القلب دخول المأنوس ، وقبله قبول
المطمئن ، لأنك قد وطأت له ، وقدمت الإعلام فيه ، وذلك لا محالة أشد
لثبوته ، وأمنع للشك فيه ، لأن الإعلام بالشئ بعد التنبيه عليه ليس مثل
الإعلام به بغتة ، إذ الإعلام به بعد التنبيه عليه يجرى بجرى تكرير الإعلام
للتأكيد ؛ ومن هنا قالوا : إن الشئ إذا أضمر ثم فسر : كان أغنى من أن
يذكر بدون إضمار ، ولهذا تجد قوله تعالى : « فإنها لا تعصى الأبصار »

(١) البيت لعمرة الخنعمية - وهي شاعرة جاهلية مقلدة من قطعة في رثاء ابنها
أو أخويها تبلغ ١١ بيتاً ذكرت كلها في « شاعرات العرب » ص ١٠٦ ، وتسعة منها
في « شرح الحماسة » وراجع القطعة وشرحها في السكتابين تحفظ بفائدة جلية .

(٢) ص ١٠١ من « دلائل الإعجاز » وما بعدها ، وراجع أيضاً « بقية الإيضاح »
٢ : ١٠٢ وما بعدها والمطوك ص ١١٣ ، ١٨٢ ، ١٨٣ .

« إنه لا يفلح الكافرون » أغخم وأشرف مما إذا قيل : إن الأبصار لا تعمى وإن الكافرين لا يفلحون ، من غير إضمار ، وما ذلك إلا لما بيننا من أن الإعلام بالشئ بعد التمهيد له يجرى مجرى تكرير الإعلام في القوة والاستحكام .

هذا رأى الشيخ ، وقد نوقش بأنه شامل لنحو : زيد إنسان ، أى لما كان خبره مفردا ، فإن المبتدأ قد جرى به معرّى عن العوامل ، لحديث نوى إسناده إليه ، ثم ذكر الحديث وهو الخبر ، فمقتضى ذلك أنه يفيد التوكيد والتقوية ، ولم يقل بذلك أحد ؟ .

وأجيب بأنه لا بد أن يكون الخبر فعلا متحملا لضمير المبتدأ لى يتحقق أن ذكر المبتدأ كان توطئة وتمهيدا ، إذ لو كان المقصود مجرد الإعلام بقيام زيد لكان « قام زيد » ، فاما إذا لم يكن الخبر فعلا نحو : زيد إنسان فإن ذكر المبتدأ فيه أولا كان للحكم عليه ، إذ لا طريق له سواه ، ولم يكن توطئة وتمهيدا ، وهو جواب متكلف كما ترى .

فالأحسن أن يقال : إن سر إفادة التقديم التقوية في مثل : زيد قام ، أن القيام قد أسند إلى « زيد » مرتين (١) : إحداهما : إسناده إلى الضمير المستتر في « قام » والثانية : إسناده جملة « قام » إلى « زيد » ، وهو مرجع الضمير ، فهو هو بعينه ، وكذلك : « أنا قمت » فقد أسند الفعل إلى « التاء » وأسندت الجملة إلى « أنا » ، وهو عين التاء ، فكان هذا التكرار للإسناد منشأ التوكيد ، ودفع الشك .

ثم استدلل الشيخ (٢) على أن تقديم المسند إليه على الفعل يفيد تقوية

(١) راجع المطول من ١٨٢ ، والفتاح من ٩٦ .

(٢) راجع من ١٠٢ - ١٠٤ من دلائل الإيجاز ، وكذلك ١٠٢ - ١٠٤ ج ٢ من الإيضاح مع البنية .

الحكم وتوكيده ، بأن البلاغ يستعملونه في المواضع التي تحتاج إلى توكيد ، وقد ذكر منها سبعة :

١ - أنه يجيء فيما سبق فيه إنكار ، كأن يقول قائل : لا أعلم ما تقول ، فينكر عليه ، فتقول له : أنت تعلم أن الأمر على ما أقول ، فتقدم الفاعل ، وتقول : هو يعلم كذا - وإذن أنكره - ، هو يعلم الكذب فيما قال - وإن حلف عليه - قال تعالى : «ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون» أي يعلمون كذبهم ، ولا شك أنهم ينكرون الكذب ، وينكرون كذلك عليهم بكذبهم ومعلوم أن الإنكار يقتضى توكيد الحكم ، فقدم الفاعل في هذا المثل لذلك .

٢ - أنه يجيء فيما اعترضه شك ، كأن يقول لك قائل : كأنك لا تعلم ما قال فلان ، فيظهر شكك في علمك ، فتقول : أنا أعلم ما قال ، ولكنى أواريه .

٣ - أنه يجيء في تكذيب مُدَّعٍ ، كقوله تعالى : « وإذا جاءكم قالوا : آمنا ، وقد دخلوا بالكفر ، وهم قد خرجوا به » فإن قولهم : « آمنا ، دعوى منهم أنهم لم يخرجوا بالكفر ، فالموضع موضع تكذيب ، وهو أيضاً من قبيل رد الإنكار ، لأنهم ينكرون الكفر .

٤ - أنه يؤتى به فيما القياس في مثله ألا يكون ، أي فيما يقتضى العقل والمنطق ألا يكون ، نحو قوله تعالى : « واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون » ، فإنهم وإن كانوا لا ينكرون أنها مخلوقة فإن عبادتها تقتضى أنها غير مخلوقة ، لأن العقل يقتضى أن يكون المعبود خالقاً لا مخلوقاً .

٥ - وكذلك يجيء في كل خبر كان على خلاف العادة ، وفيما يستغرب

من الأمور ، كما يقولون في كتب النحو : « بقرة تسلمت » وكما تقول :
فلان صار وزيراً ، فلان يدعى العظيم ، وهو يعيا باليسير ، يزعم أنه شجاع
وهو يفزع من أدنى شيء ؛ فكل ذلك أمر مستغرب جاء على خلاف
العادة فهو في حاجة إلى التوكيد لعدم الاستعداد لقبوله .

٦- يجيء هذا الأسلوب كثيراً في الوعد والضمان ، كقول الرجل :
أنا أعطيك ، أنا أكفيك ، أنا أقوم بهذا الأمر ، وذلك أن من شأن الموعد
أن يعترضه الشك في تمام الوعد ، وفي الوفاء به ، فهو أحوج إلى التوكيد .
٧- وكذلك يكثر في المدح والفخر ، نحو : هو يعطى الجزيل هو
يقرى الضيف ، وقول الشاعر (١) :

(١) هو أبو عمرو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس
ابن ثعلبة الشاعر الجاهلي المشهور ، وسماه المرزباني في معجم الشعراء « عمراً » وسماه
أبو سعيد السكري « عبيداً » وقيل اسمه « معبد » ولقب طرفة ببيت قاله ، كما ذكر
المرزباني ، أما كنيته فأبو عمرو ، وقيل : أبو إسحاق ، وقيل : أبو سعد ، وقال الخالديان
أبو نضلة ، ويعد طرفة أشهر الناس واحدة وهي المعلقة ، مات قتيلاً وهو شاب له عشرون
أوست وعشرون سنة من سنة ٨٠ - ٦٠ ق هـ ، ٥٤٤ - ٥٦٤ م وقيل توفي سنة ٥٥٠ م ،
راجع أخباره في كل كتب الأدب ، وعلى الأخص : الشعر والشعراء ٢٦ « الطبعة القديمة »
١ : ١٣٧ « طبعة شاكر » معاهد التنصيص ١ : ١٢٢ ، والمؤتلف ١٤٦ ، معجم
الشعراء ٢٠١ ، ٢٠٢ ، جورة أنساب العرب ٣٠٠ ، الجهرة ص ٤١ ، ١٣٠ ، شعراء
النصرانية ١ : ٢٩٨ - ٣٢٠ « القسم الثالث » ، خزائن الأدب ١ : ٤١٢ شرح شواهد
المنق ٢٧٣ ، الأعلام ٤٤٦ ، مجلة المشرق ص ٢٣٢ « السنة الخامسة عشر » ، وله أخبار
متفرقة في الأغاني « الأجزاء ٢ ، ٤ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ »
راجع فهرس الكتاب إن شئت ومن مراجعه أيضاً كتب المعلقة والمجاميع الشعرية
القديمة كالعقد الثمين ومنتهى الطلاب وغيرها .

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترمى الأدب فينا ينفقر (١)
وقول الآخر (٢):

ولأنت تفسرى ما خلقت وبه ضُ القوم مخلق ثم لا يفرى (٣)
الخلق هنا : التقدير والقياس ، والفرى : الصنع ، وأصلهما في الأديم
وهو الجلد ، يقول : أنت إذا قدرت أديماً لتصنعه ، صنعة وأتمته ، وبعض
الناس يقيس الأديم ويقدره ، واسكنه لا يصنعه ، ولا يتمه ، والكلام مثل ،
يشبه الرجل الذى يعد العدة فينجزها ، أو يعزم العزم فيمضيه ، بمن يقدر
الجلد فيصنعه ويتمه ، ويشبه من يعد فيخلف ، ويعزم فلا يمضى ، بمن يقدر

(١) البيت من قصيدة تبلغ ٤٦ بيتاً وصف فيها أسفاره وترحله في البلاد ولهوه
ولعبه وأولها :

ويلاذ زعل ظلماتها كالمخاض الجرب في اليوم الحذر
والمشتاة : زمان الشتاء أو مكانه ، والجفلى : الدعوة العامة ، والآدب : الداعي
إلى الطعام ، وينفقر : يدعو النقرى ، وهى الدعوة الخاصة .

(٢) هو الشاعر الجاهلى المشهور زهير بن أبى سلمى كما في ديوانه ص ٩٤ « طبع
دار الكتب سنة ١٣٦٢ هـ ، واسم أبى سلمى : ربيعة بن رباح بن قرعة بن الحارث بن
مازن ثعلبة - وفي الأغاني بقية نسبه إلى نزار أحد جدود النبي صلى الله عليه وسلم ، ولقد
كان زهير من تحول الشعراء وحكائهم الذين لم يعرفوا الكذب في الشعر ولهذا حظي
باحترام الناس حياته ثم بعد موته ، وإليك لتقرأ شعره فتزى الحكمة تنساب من خلاله
انسياً وتلمس الشجارب العميقة تستلب القلوب استلاباً ، وكأن شعره جديد في كل حين
توفى زهير سنة ١٣ ق ٦٠٩ هـ ، وترجمته وأخباره في جميع كتب الأدب ، وبالأخص
أول ديوانه السابق ، الأغاني ٩ : ١٤٦ هـ بولاق هـ ، والشعر والشعراء ٢٣ : « القديمة »
١ : ٨٦ هـ شاكر هـ ، والفهرست ٢٢٣ هـ ، معاهد التنصيص ١ : ١١٠ هـ الأعلام ١ : ٢٣٣
الجمهرة ٣١ : ٦٧ هـ ، كتب المعانيات جميعها والهمام مع الشعرية القديمة .

(٣) البيت من قصيدة في مدح هرم بن سنان تبلغ ٢٢ بيتاً ذكرت في ديوانه
« ص ٨٦ - ٩٥ » بشرح ثعلب ، وتفرى : تنفذ ، وأخلقت : قدرت وهيات ، أى إنه
ينفذ ما قدره ولا ينكص على عقبه .

الجلد ولا يصنعه وإنما احتاج المدح إلى التوكيد ، لأن من شأن المادح أن يمنع الناس من الشك فيما مدح به ، وكذلك المفتخر .

واستدل الشيخ أيضاً (١) على أن هذا الضرب يقتضى التوكيد ، بأنه لا يجرى إذا كان الفعل لا يشك فيه ، ولا ينكر ، بل يؤتى بالفعل مقدما غير مبني على الاسم ، فإذا أخبرت عن عاداته الخروج قلت : « قد خرج » ، ولا تقول : « هو خرج » ، لأنه ليس بحاجة إلى توكيد ، وكذلك إذا أخبرت عن عزم على الركوب ، ولم يكن شك في ركوبه ، تقول : « ركب » ، ولا تقول : « هو ركب » .

تفسيه :

إذا قلت : قد أطلت في بيان سر إفادة هذا الأسلوب التوكيد ، وأيدت ذلك باستعمال البلغاء ، فهلا ذكرت سر إفادته الحصر والتخصيص أيضاً ؟ . قلت : إن الشيخ قد ذكر هناك أن ذلك جلي لا يشكل ، وذلك قياساً على تقديم الاسم في الاستفهام ، فإنه للقصر ، وليصلح الخبر حينئذ جواباً للاستفهام الذي قدم فيه الاسم ، وسيعرض الشيخ لذلك فيما يأتي ، ولعل ذلك أت أيضاً من ناحية أنه يقع في النفس - عند تقديمه - أن القصد إليه وحده ، ولا يعدل عن ذلك إلى فهم التقوية إلا بمعونة القرينة الدالة على أن القصر غير مراد ، وهذه القرينة هي سياق الكلام ، أو غير ذلك من الأحوال .

الصورة الثالثة من المسألة الأولى : وهي أن يكون الخبر منفصلاً ، ولكن يقدم الاسم على الفعل والنفي جميعاً ، نحو قولك : أنت لا تحسن كذا

وأنا لا أفعل كذا ، وهذه الصورة كسابقتها تحمل وجهين :

١ - أن يكون الغرض من التقديم قصر نفي الفعل على المقدم ، وإثباته لغيره ، وهذا الوجه لم يذكره الشيخ ، وذكر في « الإيضاح » (١) .

٢ - أن يكون الغرض تقوية الحكم وتوكيده ، فإن قولك : أنت لا تحسن كذا - إذا قصدت التقوية - أشد لنفي الإحسان من قولك : لا تحسن كذا ، ولذلك يقال الأسلوب الأول لمن هو أشد إعجاباً بنفسه ، وأعرض دعوى فتكذبه في دعواه بالتوكيد الذي يفيد تقديم الاسم ، وكذلك قوله تعالى : « والذين هم بربهم لا يشركون » ، « لقد حقَّ القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون » ، « فعميت عليهم الأنبياء يومئذٍ فهم لا يتسامحون » ، « إن شرَّ الدوابِّ عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون » ، فإن تقديم الاسم في كل ذلك يفيد من التوكيد ما لا يفيد تقديم الفعل .

هذا وكما أن : أنت لا تحسن كذا ، أبلغ من « لا تحسن كذا » هو أبلغ أيضاً من « لا تحسن أنت كذا » ، بتأخير الضمير عن الفعل ؛ وسر ذلك : أن الأسلوب الأول لتوكيد الحكم بالوجهين المذكورين في الصورة السابقة ، وهما :

١ - أن ذكر الاسم معرّئ عن العوامل لا يكون إلا لحديث قد نوى إسناده إليه ... الخ ما سبق من رأى الشيخ .

٢ - أن تقديم الاسم فيه تكرار للإسناد - وهو ما استحسناه - .

أما الأسلوب الثاني - وهو « لا تحسن أنت كذا » - فلا يفيد توكيد الحكم إذ ليس فيه ما يقتضئ توكيده من الوجهين السابقين ، والضمير المؤخر لتوكيد

المحكوم عليه لا الحكم ، فقولك : « لا تحسن » نفي للاحسان عن الضمير المستتر ، و « أنت » مؤكد لهذا الضمير ، على معنى أن المحكوم عليه هو الضمير نفسه ، وأنه لا يجوز ولا سهو .

وأما « أنت لا تحسن » ففيه تأكيد الحكم بالوجهين كما قدمنا من أن التقديم للتوطئة والتمهيد ، أو لتأكيد الإسناد ، ففرق بين الأسلوبين .

المسألة الثانية : تقديم المفعول ونحوه :

تعرض الشيخ في قوله (١) : « ويجيء لك هذا الغرض على وجهه في تقديم المفعول وتأخيره ... الخ » للفرق وبين تقديم الفعل على المفعول ، وتقديم المفعول عليه في غير الاستفهام ، وقصر كلامه على النفي .

ونحن نذكر حكم تقديم المفعول ، وتقديم الفعل مطلقاً ، فنقول : إذا قدم المفعول على الفعل كان تقديمه للقصر غالباً ، وأفاد الكلام أن الفعل ثابت ، لا خلاف فيه ، وأن الخلاف في المفعول ، فلا نقول : « زيداً ضربت » إلا إذا كان الضرب حاصلًا بلا شك ، وكان المخاطب يرى أنك ضربت غير زيد ، فترد عليه بأنك ضربت زيداً ولم تضرب غيره ، فقولك : « زيداً ضربت » يفيد ثلاثة أمور :

- ١ - ثبوت ضرب حاصل منك .
- ٢ - وقوعه على زيد المقدم .
- ٣ - نفيه عن غيره ، ولذلك لا يصح أن تقول : « زيداً ضربت وغيره » لأن التقديم يفيد نفي الضرب عن غير زيد ، والعطف يفيد وقوع الضرب عليه ، وهو تناقض . هذا في الإثبات .

ولإذا قلت : « مازيدا ضربت » أفاد أيضاً ثلاثة أمور :

١ - ثبوت ضرب حاصل منك .

٢ - نفيه عن « زيد » .

٣ - ثبوته لغيره ، لأنك لا تقول ذلك إلا إذا لم يكن هناك شك في حصول الضرب ، ولكن المخاطب يزعم أنك ضربت زيدا ، فتنتفي الضرب عن زيد ، وتثبت لغيره ، بتقديم المفعول ، وإيقاعه بعد النفي ، ولذلك لا يصح : مازيدا ضربت ولا غيره ، لأن تقديم الاسم وإيقاعه بعد النفي يفيد إثبات الضرب واقعا على الغير ، والعطف يفيد عدم وقوعه على الغير ، فيناقض ما أفاده التقديم .

وكذلك لا يصح أن تقول : مازيدا ضربت ولكن أكرمه ، لأن تقديم المفعول يفيد أن الفعل مسلم لا كلام فيه ، والكلام إنما هو في المفعول ، وقولك : ولكن أكرمه ، يفيد أن الكلام في الفعل لا في المفعول . وبعبارة أخرى : أن التقديم يفيد أن الفعل ثابت ، والعطف يفيد أنه غير ثابت ، فيتدافعان ، فالصحيح حينئذ أن تقول : مازيدا ضربت ولكن عمرا .

ويمكن إذا أن تعرف وجه فساد قولك : زيدا ضربت ولم أكرمه ، فإن تقديم المفعول يفيد أن الفعل مسلم لا كلام فيه ، وأن الكلام في المفعول ، والعطف يفيد أن الكلام في الفعل ، فيتدافعان . أما إذا قلت : هذا حكم تقديم المفعول على الفعل .

أما إذا قدمت الفعل فقالت : ضربت زيدا ، أو ماضرت زيدا ، فلا يفيد الكلام أكثر من إثبات ضرب زيد ، أو نفي ضربه ، ولا يعرض لغيره بإثبات أو نفي ، ولا يدل على أن الفعل مسلم متفق عليه بين المتكلم والمخاطب .

ولذلك يصح أن تقول : ضربت زيدا وغيره ، وما ضربت زيدا ولا غيره ، كما يصح أن تقول : ما ضربت زيدا ولكن أكرمته ، وأن تقول : ضربت زيدا ولم أكرمه ، لأن الكلام حينئذ في الفعل لا في المفعول ، وهو ظاهر . ومثل المفعول في ذلك سائر المتعلقات ، كالجارو المجرور ، والظرف ، والحال ، فإن تقديمها على الفعل يكون في الغالب لإفادة القصر على المقدم ، ونفي الفعل عما سواه ، وأن الفعل ثابت لاخلاف فيه ، وبخلاف في المتعلق .

ففي الإثبات - مثل : بهذا أمرتك ، يوم الجمعة قدمت ، في المسجد صلّيت رابعا جئت ، ماشيا حججت - يفيد التقديم ثلاثة أمور :

- ١ - حصول الفعل بلا شك .
 - ٢ - تعلقه بالجارو المجرور أو الظرف ، أو الحال المقدم .
 - ٣ - عدم تعلقه بغيره .
- وفي النفي - نحو : ما بهذا أمرتك .. الخ - يفيد ثلاثة أمور :
- ١ - حصول الفعل بلا خلاف .

- ٢ - نفي تعلقه بالمقدم .
 - ٣ - ثبوت تعلقه بغيره .
- وتستطيع إذا أن تعلم أنه لا يصح أن تقول : بهذا أمرتك وبغيره ، لأن تقديم المفعول يفيد عدم تعلق الفعل بغير المقدم ، والعطف يفيد تعلقه به ، وهو تناقض ، وأنه لا يصح أيضاً أن تقول : ما بهذا أمرتك ولا بغيره لأن التقديم هنا يفيد نفي تعلق الفعل بالمقدم وثبوت تعلقه بغيره ، والعطف يفيد عدم تعلقه بالغير ، فيتناقضان .

هذا إن قدم المتعلق ، أما إذا قدم الفعل في هذه الأمثلة ، فإنه لا يفيد إلا ارتباطه بالمتملق ، ولا يعرض لغيره بإثبات أو نفي ، ولذلك يصح أن تقول : أمرتك بكذا وكذا ، وما أمرتك بكذا ولا بكذا ، وهو ظاهر أيضاً . هذا وإفادة تقديم المفعول ونحوه للقصر ثابتة بأقوال أئمة البلاغة والأدب وشهادة الذوق ، يعلم ذلك من له بصر بالأساليب العربية . وإنما قلنا : إن هذا التقديم يفيد القصر « غالباً » لأنه قد يأتي لغير القصر قليلاً ، كإقامة الوزن ، ورعاية السجع - كما تقدم في صدر البحث - .

مثل وغير (١)

إذا وقعت « مثل » في الكلام ونسب إليها فعل من الأفعال كان ذلك على وجهين :

١ - أن يقصد بالكلام المعنى الظاهر من العبارة ، وهو الحكم على مماثل لما أضيفت إليه « مثل » كقول الموظف المغبون : مثلي يتقاضى كذا وكذا ، وأنا أخذ كذا ، فإنه يريد الحكم على إنسان آخر مماثل له ، وكقول امرئ القيس :

فمثلك حبل قد طرقتُ ومُرَضِعُ فألهيئتها عن ذِي تَمَائِمٍ مَحُولٍ (٢)
فإنه يريد امرأة أخرى مماثلة للبخاطبة (٣)

(١) راجع بحث « مثل وغير » في دلائل الإعجاز ص ١٠٦ ، الطول ص ١١٩ ،

الايضاح ص ١١٢ ج ٢ وغيرها وشروح التلخيص ١ : ٤٢٤ .

(٢) طرق البعير الناقة : آناها ، والتمايم جمع قيمة ، وهي التتمويذة التي تعلق

على الطفل لتلايحسده والمحول : من أكمل الجول .

(٣) الخطاب لابنة عمه « عنيزة » المتقدمة في قوله :

ويوم دخلت الحدر خدر عنيزة فقالت لك الولايات إليك صرحتي

٢- ألا يقصد به هذا المعنى الظاهر الحقيقي ، وإنما يجعل الحكم على مثل ، بشيء كناية عن الحكم على ما أضيفت إليه بذلك الشيء - أى يكون الحكم على ما أضيفت إليه هو المقصود من الكلام بطريق الكناية - مثال ذلك قولك : مثلك رعى الحق والحرمة ، تمدح رجلاً ، فإنك لا تقصد أن هناك شخصاً آخر يماثل الممدوح كانت منه رعاية الحق والحرمة ، وإنما تقصد أن رعاية الحق كانت من المخاطب نفسه ، بطريق الكناية ، وكذلك قول المتنبي معني (١) .

مِثْلُكَ يَثْنِي الْحَزْنَ عَنْ صَوْبِهِ وَيَسْتَرُدُّ الدَّمْعَ مِنْ غُرْبِهِ (٢)
وقول القبيعي (٣) للحجاج (٤) - وقد قال له : لا حملتك على الأدهم

(١) أباشجاع عضد الدولة في وفاة عمته ، بقصيدة تبلغ ٣٥ بيتاً ، وتوجد في التبيان ١ : ٢١٠ - ٢١٧ ، وهذا البيت هو الثالث والثلاثون منها .

(٢) رواية دلائل الإعجاز ص ١٠٦ « المزن » وهي تحريف لم يفتن الناشر إليه ، والصوب : القصد ، والغرب : مجرى الدمع .

(٣) المعروف في التاريخ أن الذي خرج هو الفضبان بن القبيعي من ذهل بن شيان بن ثعلبة بن عكابة ، فالصواب « ابن القبيعي » راجع كتب التاريخ ، المقدم الفريد ٣ : ٣١٠ « طبع العريان » ، والقبيعي ، بفتح القاف والباء وسكون العين ثم فتح الناء والراء .

(٤) هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن عقيل بن مسعود بن طامر بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسي - كعلي - وهو من ثقيف ، كان من الولاة القساة الطبع الغلاظ السكبد الذين لم يرعوا في الناس حرمت الله ولم يحفلوا بدين ولا خلق ، وبعد المثبت الأول لأركان الحكم الأموي في عهده ، عاش من سنة ٤٥ - ٩٥ هـ : ٦٦٥ - ٧١٤ م بعد أن ترك صفحات ملوثة بدماء الأبرياء ، وقد ذكر بعض المؤرخين أنه قتل ١٢٠ ألف صبياً ، وتجد أخباره منتشرة في كتب التاريخ والأدب وله أخبار مفصلة وتراجم في المقدم الفريد ٥ : ٢٩٨ - ٣٣٨ ، والسكامل مع الرغبة ٨ : ٧١٢ ، الأعلام ١ : ٢١٢ ، وتاريخ الإسلام الشامي ١ : ٤٥٧ وما بعدها ، ووفيات الأعيان « دار المأمون » ، ٤ : ٤٢ - ١٠٠ مع تحقيقات مبسطة للأستاذ الكبير أحمد يوسف نجاشي وغيرهما .

أى القيد : « مثل الأمير يحمل على الأدم والأشهب » (١) يريد الخيل ، من باب أسلوب الحكيم (٢) ، فلم يرد المتنبي الحكم على شخص آخر يماثل الممدوح ، ولم يرد القبح على ذلك ، وإنما أراد كلاهما إثبات الخبر لما أضيفت إليه « مثل » بطريق السكناية ، ولذلك يقول المتنبي :

ولم أقل مثلك أعنى به سواك يافردا بلا مُشيه (٣)

وهذا الأسلوب السكتائى أبلغ وأخف من الأسلوب الصريح ، كأن يقال أنت رعيت الحق ، أنت تنثى الحزن عن صوبه ، الأمير يحمل على الأدم والأشهب ؛ لأن الأسلوب السكتائى كدعوى الشيء ببيئة ودليل .
وجه الدلالة فيه : أنه إذا ثبت أن من كان مثله ، وعلى أخص أوصافه يفعل كذا أولاً يفعل ، لزم عقلاً أنه هو أيضاً يفعله أولاً يفعله ، لأن ما ثبت لأحد المثلين ، أو نفي عنه ، يجب أن يثبت مثله للآخر ، أو ينفي عنه (٤) ، فكأنك تقول : أنت تفعل كذا لأن مثلك يفعله ، فهو من استعمال الملزوم فى اللازم .

(١) توجد هذه القصة فى الإيضاح ١ : ١١٣ مع البقية ، ولها بقية هى ان الحجاج قال لفضبان : أردت الحديد !! فقال : لأن يكون حديداً خير من أن يكون بليداً !
(٢) هو ما عناء العلماء بالنوع الثانى من « القول بالموجب » وهو من المحسنات البديعية المعنوية ، وراجع أمثله فى الإيضاح مع البقية ٤ : ٩٦-٩٨ ، والطول ٩٤٤ ، شروح التلخيص ٤ : ٩٠٨ وغيرها .

(٣) هذا البيت آخر القصيدة السابقة فرقه فيها ٣٥ .

(٤) مما ينطبق عليه هذا الضابط وإن لم يكن ما نحن فيه قوله تعالى : « ليس كمثلته شيء » أى ليس مثل مثله شيء ، ومثل المثل مثل ، وكأن السر فى عدم توجيه النفي إلى المثل مباشرة عدم الاعتراف بوجوده ، ولغت الأذهان إلى استحالة من أول وهلة .

تثنية : ظاهر كلام الشيخ أن « مثل » قد يراد بها المضاف (١) ، وهو ظاهر بيت المتنبي أيضاً ، ولا يخفى أن ذلك غير مقصود ، فإن « مثل » لا تزال مستعمله في معناها ، وإنما مراد الشيخ أن الحكم على « مثل » قصد به الحكم على ما أضيفت إليه .

غير : وكذلك إذا وقعت « غير » في الكلام ، ونسب لها فعل ، فإن ذلك يكون على وجهين :

١ - أن يقصد المعنى الحقيقي الظاهر ، وهو الحكم على مغاير لما أضيف إليه « غير » ، كقول ابن شرف القيرواني (٢) :

غيري جنى وأنا المعاقبُ فيكم فكأنني سبابة المتسندم
فإنه يريد أن شخصا غيري هو الذي جنى ، وأما أنا فقد عوقبت بدون
خيانة ، وكذلك قول النابغة (٣) :

لـكـلـفـتـنـي ذنب امرئ وتركته
كذى العُرَّ يكوى غيرُهُ وهو راتعُ (٤)

(١) وهو أيضاً ظاهر كلام التلخيص وشروحه .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد محمد بن أحمد بن شرف الجذامي القيرواني الشاعر الكاتب والأديب الأندلسي المشهور ، له كثير من الكتب ودیوان شعر ، وطاش من ٣٩٠ - ٤٦٠ هـ ، ١٠٠٠ - ١٠٦٨ م ، وترجمته في معجم الأدباء ١٩ : ٣٧ - ٤٤ هـ والأعلام ٣ : ٩٠٠ ، خلاصة الأثر ٤ : ٣٦٥ ، فوات الوفيات ٢ : ٢٠٤ وبنية الوعاة ٤٦ وغيرها .

(٣) الذي يأتي في إحدى اعتذارياته للنعمان بن المنذر .

(٤) العر - بضم العين وفتحها ، كالمرء بالضم - : الجرب ، قال في القاموس : أو بالفتح الجرب ، وبالضم : قروح في الأعناق أو داء ينسل منه الوباء ، والراتع : الذي يأكل ويشرب - في خصب وسعة ما شاء ، والجمع رتاع كنبام ، ورتع كركع ، ورتع ككتب .

فإنه يريد حيواناً غير الأجرب يكوى بالنار مع أن الأجرب رافع في مرعاه ، وهو المقصود بالعلاج ، ونظير ذلك قولك : أنا أشقى وغيرى يحنى ثمرة كدسى ، فأنت تقصد إنساناً مغايراً لك .

٢ - ألا يقصد هذا المعنى الظاهر ، بل يجعل الحكم على « غير » بشيء كناية عن الحكم على ما أضيف إليه بضد ذلك الشيء ، أى يكون الحكم على ما أضيف إليه هو المقصود من الكلام بطريق الكناية ، كقوله (١) :

* غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع *

فإنه لا يقصد أن شخصاً آخر غيره يُغَرَّ ويُخدَع ، وإنما يريد أن يحكم على نفسه بضد هذا الحكم ، وهو أنه لا يغر ولا يخدع ، بطريق الكناية ، وكقول أبى تمام :

وغيرى يأكل المعروف سُخْتاً وتشحبُ عندهُ بيضُ الأيادي (٢)

فقد وشى واش إلى الممدوح (٣) بهذه القصيدة (٤) ، فزعم أن أبا تمام

(١) هو المتنبي ، وبقية البيت :-

* إن قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا *

(٢) السحت : الحرام ، وشحب لونه - كمنع ونصر وكرم وعنى - شحوباً وشعوبة تنير من هزال أو جوع أو سفر ، وبيض الأيادي من إضافة الصفة للموصوف ، والمراد بالأيادي : النعم .

(٣) هو القاضي أحمد بن أبى دؤاد وزير المتنعم ، وهو الذى أوصله إلى بابه - راجع « أخبار أبى تمام » لصولى ص ١٤١

(٤) وأولها :

سقى عهد الحمى سبل العهاد وروض حاضر منه وبادى
ومن أبياتها : تثبتت إثم قولاً كان زوراً أتى الثمنان قبلك عن زياد
ومن يأذن إلى الواسع تسلق مسامحه بالسنة حداد

هجاه ، فأراد أبو تمام بهذا البيت أن يدفع عن نفسه هذه الوشاية ، فقال :
« كيف أهجوك ، وقد غمرني معروفك؟ ، لو فعلت لكنت آكلا له حراما ،
وأنا لا آكل المعروف حراما » ، فلم يرد أن هناك شخصا آخر هو الذي
يفعل ذلك ، وإنما أراد أن ينفي عن نفسه هذا الأمر بطريق السكناية .

وهذا الأسلوب السكنائي أبلغ وأقوى من الأسلوب الصريح ، لأنه
كدعوى الشيء ببيئته ، على ما قدمناه في « مثل » .

ووجه الدلالة : أنك إذا حكمت على غيرك على سبيل العموم بحكم ،
لزم ثبوت ضده لك ، فإذا نفيت عن غيرك أمرا لزم ثبوت ضده لك ، وإذا
أثبتت له أمرا لزم نفيه عنك ، فالذي يقول : « غيري ينخدع » أثبت لغيره
الانخداع ، فلزم نفيه عن نفسه ، والذي يقول : غيرك لا يجود ، نفي عن
غير المخاطب الجود ، فلزم إثباته له ، وهكذا .

متى يجب تقديم « مثل » و « غير » في الكلام ؟

إذا تقرر هذا ، فاعلم أنه إذا أريد بالكلام الذي فيه « مثل » و « غير » ،
الوجه الثاني لكليهما ، وهو أن يكون الحكم عليهما كناية عن الحكم على
ما أضيفا إليه ، فإن البلاء يقدمونهما أبدا في الكلام ، ويرون تقديمهما
كاللازم حينئذ .

ويقول الشيخ (١) : إن استعمالها كذلك شيء مركوز في الطباع ، جار
في عادة كل قوم ، وإذا تصفحنا الكلام وجدناهما يقدمان أبدا إذا نحي
بهما هذا النحو ؛ وترى المعنى لا يستقيم فيهما إذا لم يقدم ، فلو قلت : راعى
الحق مثلك ، ويثنى الحزن مثلك ، وينخدع غيري بأكثر الناس ، ونحو ذلك

(١) ص ١٠٧ من دلائل الأعجاز مع بعض تغيير في العبارة .

رأيت كلاماً مقلوباً عن وجهه ، قد نبا عن معناه ، ويأبى الطبع أن يرضاه .

السر في وجوب تقديمهما :

قالوا : إن السر في وجوب تقديمهما - إذا أريد بهما هذا المعنى - أن التقديم أعون على المراد بهما وأنسب ، لأنه في مثل هذه التراكيب يفيد تقوية الحكم وتأكيده ، وذلك أنسب للكناية التي يقصد بها المبالغة في إثبات الحكم .

هذا ، وإنما قال : « إن تقديمهما كاللزام (١) » . ولم يقل إنه لازم ، لأن القواعد النحوية لا تقتضي وجوب تقديمهما ، لكنهما لمالم يستعملتا في كلام البلغاء إلا مقدمين أشبهما اللزام الذي تقتضي القواعد تقديمه ، كأسماء الاستفهام ، وليس معنى قوله : « كاللزام » ، أنه يجوز تأخيرهما .

وجملة القول : أن تقديمهما حينئذ لازم بلاغة ، كاللزام صناعة .
تنبيه : لا يخفى أن الكناية في الأمثلة السابقة كناية عن نسبة (٢) ، وذلك أنه جعل الحكم على « مثل » و « غير » كناية عن الحكم على ما أضيفتا إليه ، والحكم هو النسبة .

فائدة : بعد أن بين الشيخ الفرق بين تقديم الفعل ، وتقديم الاسم في الاستفهام ، وبين مثل ذلك في الخبر ، أراد أن يقيم دليلاً على ثبوت هذا الفرق في الخبر ، كما أن هناك من ينازعه في ذلك ، ويزعم أن تقديم لاسم على الفعل في الخبر لا يفيد إلا ما يفيد تقديم الفعل على الاسم ، وهو

(١) ص ١٠٦ من دلائل الإعجاز

(٢) أى لاعتن صفة مثل : طويل النجاد كناية عن الشجاعة ، وجبان السكاب كناية عن السكرم ، ولا عن موصوف كمجامع الاضغان كناية عن القلوب . (٣)

مجرد ثبوت الفعل للفاعل ، ولا دلالة له على القصر ، وقد رد الشيخ ذلك عليه بقوله (١) .

« إعلم أن معك دستور (٢) لك فيه - إن تأملت - غنى عن كل ماسواه ، وهو أنه لا يجوز أن يكون لنظم الكلام ، وترتيب أجزائه معنى في الاستفهام لا يكون له ذلك المعنى في الخبر ، وقوله (٣) : « محال أن يفرق الحال بين تقديم الاسم وتأخيرها في الاستفهام ، ثم لا يكون هذا الافتراق في الخبر » وقوله - في فصل الشكرة - : « إذا عرفت هذا الحكم في الاستفهام فابن عليه الخبر (٤) » .

يريد أن يقول : إنه إذا دل تقديم الفعل في الاستفهام على أن المسئول عنه مجرد ثبوت الفعل للفاعل ، أو انتفائه عنه ، وجب أن يدل تقديم الفعل في الخبر المثبت على مجرد ثبوت الفعل للفاعل ، وفي الخبر المنفي على مجرد انتفائه عنه . وإذا دل تقديم الاسم في الاستفهام على أن المسئول عنه تعيين الفاعل الذي ثبت له الفعل دون غيره ، وجب أن يدل تقديم الاسم في الخبر المثبت على أن الفاعل المقدم هو الذي ثبت له الفعل دون غيره ، وفي المنفي على أن المقدم هو الذي انتفى عنه الفعل دون غيره ، وهذا هو معنى القصر .

والدليل على وجوب ذلك : أن الاستفهام استخبار ، أي طلب المتكلم

(١) ص ١٠٨ دلائل الإعجاز .

(٢) الدستور كلمة معربة ، معناها النظام الموضوع لتحرير الجماعات وهو يطلق الآن على القانون الأساسي للدول التي تحكمها شعوبها ، وفي كلام الشيخ معناه النظام والقانون والقاعدة .

(٣) الصفحة السابقة مع تصرف في العبارة .

(٤) ص ١٠٩ من الكتاب السابق .

من المخاطب أن يأتي بخبر يدل على ما يريد ، فإذا كنت تستخبره عن مجرد ثبوت الفعل أو انتفاءه وجب أن تكون هناك عبارة تفيد مجرد ثبوت الفعل ، وأخرى تفيد مجرد انتفاءه ، لكي يمكنه الجواب ، ويتطابق جوابه السؤال . وإذا كنت تستخبره عن تعيين الفاعل الذي ثبت له الفعل دون غيره وجب أن تكون هناك عبارة تؤدي هذا المعنى بتمامه ، لكي يمكنه الجواب ، ويتطابق جوابه السؤال أيضا .

ولا يتيسر ذلك إلا إذا اختلف المعنى في تقديم الفعل وتقديم الاسم في الخبر ، كما اختلف في الاستفهام ، إذ لو اتحد المعنى في الخالين لأدى ذلك إلى عدم تمكنه من جواب مطابق للسؤال ، وذلك أنك تطالب بقولك : أزيد قام ؟ مثلا ، تعيين الفاعل الذي ثبت له الفعل دون غيره ، وقول الحبيب : زيد قام ، لا يدل إلا على مجرد ثبوت القيام له - دون الدلالة على نفيه عن غيره - فلم يتطابقا ، فثبت وجوب كون تقديم الاسم على الفعل في الخبر مفيداً لقصر الفعل عليه ، ونفيه عن غيره ، وهو ما قرره الشيخ سابقا ، وقال : «إنه واضح لا يشكك» ، وقد علمت وجه وضوحه ، وهو أن ذلك هو المطابق للاستفهام .

الفرق بين تقديم النكرة على الفعل ، والعكس :

أما في الاستفهام : فالفرق أن المقدم منهما هو المشكوك فيه ، المسئول عنه ، فإذا قدمت الفعل ، فقلت : أجهك رجل ؟ دل تقديمه على أنك شاك في ثبوته للفاعل وانتفاءه عنه ، وغرضك معرفة الواقع منهما ، وإذا قدمت الاسم ، فقلت : أجهك ؟ دل تقديمه على أنك لست شاكا في الفعل إذ لا تقدمه إلا وأنت عالم بحصول الفعل ، وإنما شكك في الفاعل ، وغرضك طلب تعيينه .

فلا فرق بين المعرفة والنكرة في هذا ، لكن هناك فرقا من ناحية أخرى هو الذي حمل الشيخ على أن يفرد النكرة بفصل خاص (١) ، وذلك الفرق أنك إذا قدمت المعرفة فقلت : أزيد جاءك ؟ كان الغرض طلب تعيين الفاعل بعينه ، وأما إذا قدمت النكرة فلا يمكن أن يكون الغرض طلب تعيين جنسه أو عدده .

وذلك أن النكرة تشعر بمعنيين : الجنسية والعدد ، فإن كانت مفردة أشعرت بالجنسية والوحدة ، وإن كانت مثناة أشعرت بالجنسية والاثنية ، وإن كانت جمعا فبالجنسية والجمعية ، فإذا قدمت في الاستفهام نحو : أرجل جامك ؟ احتمل الكلام معنيين .

١ - أن يكون الشك في الجنس وحده . أى : أمن جنس الرجال أم من جنس النساء ؟ فيكون المطلوب تعيين الجنس .

٢ - أن يكون الشك في العدد وحده ، أى : أواحد أم أكثر ؟ فيكون المطلوب تعيين العدد ، والقرائن تعين المراد .

وأما الفرق بينهما في الخبر : فإنك إذا قدمت الفعل ، فقلت : جامف رجل ، دل ذلك على ثبوت الفعل للفاعل المذكور ، ولم يشعر بنفيه عن غيره ، وإذا قدمت الاسم ، فقلت : رجل جامف ، دل على أنك تريد قصر الفعل عليه ، وأنه ثابت له ، منفي عن غيره ، ويكون كلاما مع من يعلم أن قد أتاك آت ، ولكنه أخطأ في معرفة جنسه أو عدده ، فتزد بالتقديم خطأه ، وتعلمه الصواب .

فلا فرق بين المعرفة والنكرة في هذا أيضا ، ولكن هناك فرقا من

ناحية أخرى ، وهو أن المقصور عليه في تقديم المعرفة هو المقدم بخصوصه وعينه ، أما في تقديم الشكرة فالمقصور عليه الجنس أو العدد على ما بينا قريبا فنحو : رجل جاءني ، يحتمل أن يكون ردا على من زعم أن الجائي امرأة ، وأن يكون ردا على من زعم أن الجائي اثنان أو ثلاثة ، والقرائن تعين المراد .

شبهة : قد يقول قائل : إذا كانت الشكرة تدل على الجنس والعدد معا ، وجب أن يكون القصر باعتبارهما معا أيضا ، لا باعتبار واحد منهما - كما قررت - لأنهما لا يفترقان .

جوابها : أن هناك فرقا بين أن يكون الشيء مقصودا ، وبين أن يكون موجودا غير مقصود ، فالقصر الجنسي لا يخلو عن القصر العددي ، والعكس لكن المقصود أحدهما بالذات للرد على المخاطب بحسب القرائن ، وأما الثاني فهو موجود غير مقصود

تنبيه : يعلم من هذا الجواب أنه حين يقصد بتقديم الشكرة الاستفهام عن الجنس ، أو القصر على الجنس تبقى دالة على العدد ، ولكنه غير مقصود فلم تتمحض للدلالة على الجنس حتى يتوهم أنها صارت مساوية للمعرف بلام الجنس ، لأنها باقية على دلالتها على العدد .

تنبيه آخر : المراد بالجنس ما دل على متعدد ، جنسا كان أو نوعا أو غيرهما فمثله نحو : أرجل طويل جامك ؟ أرجل كنت تعرفه أعطاك هذا ؟ فالمعنى : أمن جنس الطوال أم من جنس القصار ؟ أمن جنس من تعرفه أم من غيره ؟ وهكذا .

ومن أمثلة القصر على الجنس ، قولهم : « شرُّ أهر ذاناب » (١) ، قدموا « شر » لأن المراد أن « المهر » من جنس الشر ، لا من جنس الخير ، ولذلك يقول العلماء : إنما صلح الابتداء « بشر » مع أنه نكرة ، لأنه بمعنى : ما أهر ذاناب إلا شر ، والقصر من مسوغات الابتداء ، لأنه كالتخصيص بالصفة .

وقد ناقش السكاكي هذا المثال بأنه لا يجوز أن يكون من قصر الفعل على المجلس - كما ذهب إليه الشيخ لانتفاء فائدته حينئذ ، لأن كل عاقل يعلم أن الذي يهر الكلب هو الشر دون الخير ، والحصر لا يكون إلا فيما يمكن إنكاره .

ولا يصح أيضا أن يكون من القصر على العدد ، لأنه بعيد عن الغرض منه ، إذ يستعمل للحث على الأخذ بالحزم والحذر ، فلا يصح أن يراد : المهرُّ شرٌّ لا شران ، لأن ذلك يحمل على التراخي في اتخاذ الحيطة .
والوجه المقبول عنده : أن يكون تنكير « شر » للتفطيع ، والمعنى : شر فطيع لا شر حقير أهر ذاناب ، فالتخصيص نوعي لا جنسي ، وطريقه : بالصفة الملحوظة ، لا مجرد التقديم .

وقد رجح بعض الناظرين رأي الشيخ ، لأنه العارف بأساليب البلغاء ومقاصدهم ، وبعضهم رأي السكاكي ، لأن الهريص صوت للكلب غير معتاد يتشامم به ، ويخشى عنده السوء ، فلا يكون مبعثه إلا شرًّا ، ويؤيدهم قول القاموس : « إنه يضرب لظهور أمارات الشر ومخايله ، لما سمع قائله هريراً » .

(١) راجع الكلام على هذا المثل في المطول ص ١١٦ ، وشروح التلخيص ص ٤١١ وما بعدها ، الايضاح ١ : ١٠٧ ، دلائل الإعجاز ص ١١٠ وما بعدها ، المفتاح ٩٧ وغيرها

أشفق من طارق شر، فقال ذلك تعظيما للحال، أما المبتدئ إذا أراد أن
ملاحظة : لم يذكر الشيخ أن تقديم النكرة يكون لتقوية الحكم، أما
قوله في آخر هذا الفصل : « وإذا اعتبرت ما قدمته من قول صاحب الكتاب
إنك إذا قلت : عبد الله ، فنيته ، ثم بنيت عليه الفعل ، وجدته يطابق هذا ،
فلم يرد به الإشارة إلى تقوية الحكم ، بل توكيد أن النكرة لا بد أن يقصد
بها إلى العدد أو الجنس ، لأنهما اللذان يمكن أن يشبه بها عليهما .
وقد اقتصر الشيخ على بيان حكم تقديم النكرة في الخبر المثبت ، ولم يذكر
حكمها إذا قدمت على الفعل المنفي واقعة بعد النفي نحو : « ما جاءني رجل »
أو قبله نحو : « رجل ما جاءني » وذلك - على ما أرى - لأنه لم يعثر على هذين
الأسلوبين في كلام البلغاء ، وهو بصدد بيان « أسرار البلاغة » عندهم والاستشهاد
بأقوالهم - لا بصدد ذكر الأقسام العقلية ، والاحتمالات المنطقية التي
لا جدوى لها .

والله أعلم بالصواب ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على
خاتم الأنبياء والمرسلين .

* * *

الكلمة الأخيرة

وبعد ، فقد اضطررتي الطلاب أن أوافق على طبع هذه « الدراسات »
مع أني أبيت ذلك سنوات ، لضآلة فائدتها ، وقصورها عن أن تعد كتابا
يطبع ويتداول ، وخشية أن يطلع عليها مطلع فلا يتمالك أن يتمثل
بقول القائل :

وبات يقدح طول الليل فسكرته وفسر المساء بعد الجهد بالماء

موضوعات الكتاب

الصفحة	الموضوع
١	تقديم الكتاب
٣	افتتاحية المؤلف
٤٢	التشبيه والتمثيل
٤	تقسيم التشبيه إلى تمثيلي وغيره .
٤	التشبيه غير التمثيلي عند عبد القاهر .
١١	التشبيه التمثيلي عنده
١٣	معنى التناول واشتقاقه .
١٦	غير التمثيلي هو الأصلي ، والتمثيلي فرع له ، وأدلة ذلك .
١٨	النسبة بين الضربين .
١٨	التشبيه والتمثيل في شعر ابن المعتز .
٢٢	» » » صالح بن عبد القدوس .
٢٤	رأى السكاكي في الضربين .
٢٥	» الخطيب »
٢٦	الباعث على التقسيم إلى تمثيلي وغيره .
٢٧	تقسيم التشبيه إلى مفرد ، ومركب ، ومتعدد
٢٨	فيم يتفق المركب والمتعدد وفيم يختلفان ؟
٣٧	هل يجوز فض المركب وجعله متعددًا ؟
٣٨	ما يتمتع فيه ذلك ، وسبب الامتناع .
٤٠	ما يجوز فيه ذلك .
٤٤	مثل اليهود .

الموضوع	الصفحة
« هو يصفو ويكدر » استعارة لا تشبيه .	٤٥
إذا كان المشبه به فعلا متعديا أوجب له التعدى حكما خاصاً فالتشبيه مركب .	٤٩
الإشارة إلى بعض أوجه التركيب .	٥٤
هل يشترط الشيخ في التمثيل أن يكون مركبا .	٥٦
كلما كان التشبيه أوغل في العقلية كانت حاجته إلى الجمل أكثر	»
تحذير من الخطأ في انتزاع وجه الشبه .	٥٩
اختلاف العلماء في تخريج عبارة « تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، وتحقيق الصواب فيها . للاستاذ المعلق	٦١
تقسيم أمثلة المركب إلى نوعين ، وحكم كل .	٦٣
رأى أبى أحمد العسكري ونقد الشيخ له . وحقيقة الأمر .	٦٤
هل يطرد وصف المشبه بصفة المشبه به ؟	٦٥
المفرد المقيد داخل في المركب .	٦٦
مواقع التمثيل	٦٧
تأثير التمثيل	٧١
أسباب تأثير التمثيل .	٨١
السبب الأول .	٨٢
بعض الأدلة على أن التمثيل بالخصى أعظم أثرا في النفس .	٨٧
السبب الثاني ، تحقيقه في غير التمثيل .	٩٢
تحقيقه في التمثيل ، طرائف التمثيل .	٩٥
التمثيل يأتيك من الشيء الواحد بأشياء عدة .	١٠٥
السبب الثالث .	١١٧

الصفحة	الموضوع
١١٩	الفرق بين الفكر في التمثيل والفكر في التعقيد .
١٢٢	التعقيد لم يذم في الحقيقة لحاجته إلى الفكر .
١٢٣	التوفيق بين قولهم . « خير الكلام ما كان معناه إلى قلبك ، أسرع من لفظه إلى سمعك » وبين كون الحاجة إلى الفكر من أسباب حسن التمثيل .
١٢٨	شرح أبيات التعقيد .
١٣٢	شرح أبيات التمثيل .
١٣٧	من طرائف التمثيل أيضاً .
١٤١	مى يكون الجمع بين الاختلافات مقبولا .
١٤٣	قصة « جرير » مع « عدى بن الرقاع »
١٤٥	تصوير الفعل بصورة ضده .
١٤٩	أسباب تأثير التمثيل هي أسباب غرابته .
	قد يخرج التمثيل عن سنن الصواب .
١٥٣	التشبيه الغريب ، والتشبيه القريب
١٥٥	السبب الأول لسكل منهما .
١٥٦	ضروب « التفصيل » .
١٦٦	السبب الثاني لسكل منهما .
١٧٥	قد يجتمع في التشبيه الواحد سببا القرب والبعد .
١٧٦	التشبيه المركب الطرفين ضربان .
١٨٠	الغرض من هذا التقسيم .
١٨١	موازنات .
١٨٧	التشبيه في هيئة الحركة .

الموضوع	الصفحة
التشبيه في هيئة السكون .	١٩٥
الفرق بين التشبيه التمثيلي وغير التمثيلي من جهة العكس	١٩٩
حكم غير التمثيلي	١٩٩
ضابط ما يطرده عكسه وما لا يطرده	٢٠١
جواز عكس الثاني على التخييل	٢٠١
حكم التمثيلي	٢٠٧
شواهد على كثرة عكس غير التمثيلي	٢٢١
التقديم والتأخير	٢٣٩
هل يجب أن يكون التقديم أبداً لفائدة معنوية ؟	٢٤١
مسائل التقديم والتأخير	٢٤٣
الاستفهام الحقيقي	٢٤٤
خلاصة لحكم الاستفهام بالهمزة	٢٤٤
شرح كلام « الشيخ »	٢٤٨
الاستفهام التقريرى	٢٥٢
الاستفهام الإنكارى	٢٥٦
لإنكار الفعل صورتان	٢٥٩
الفرق بين الإنكار بالنفي الصريح وبلا استفهام	٢٦٤
فرق آخر للشيخ ونقده	٢٦٥
الخبر	٢٦٨
الفرق بين تقديم الاسم وتقديم الفعل في الخبر	٢٦٨
الصورة الأولى : « ما فعلت كذا ، وما أنا فعلت كذا »	٢٦٩

الموضوع	الصفحة
الصورة الثانية : « فعلت كذا ، وأنا فعلت كذا ،	٢٧٤
سر إفادة التقديم تؤكد الحكم ، والدليل عليها .	٢٧٧
سر إفادة التقديم « القصر ،	٢٨٢
الصورة الثالثة : « ما فعلت كذا ، وأنا ما فعلته ،	٢٨٢
الفرق بين تقديم مفعولات الفعل وتأخيرها : «	٢٨٤
مثل وغير : «	٢٨٧
فائدة في بيان وجوب اتحاد حكم التقديم في الاستفهام والخبر	٢٩٣
تقديم النكرة وتأخيرها في الاستفهام والخبر	٢٩٥
الاسكلمة الأخيرة للمؤلف	٢٩٩

فهرس الأعلام

٢٠٢، ١٩٥، ١٩١، ١٩٠، ١٨٤	١
٢٨٢ ٢٢٢، ٢١٧، ٢٠٣	
٢٨٢ ٢٣٣، ١٠٥: ابن نباتة	ابن الأثير: ٢٤٢
٢٨٢ ٢٣٤، ٤١: وهب	الاعرابي: ٩٠
٢٨٢ ٢٥٦: يعقوب	بابك: ١١٠، ١١٢، ١٧١، ١٧٨
٢٨٢ ٦٤: أبو أحمد العسكري	٢٣٦، ٢١٥، ١٧٩
٥٢٢ ٤٣: اسحاق الفارسي	ابن حزم: ٨٥، ١٢٠
٢٨٢ ١٦٧: بكر الخالدي	دريد: ٩٣
» » الخوارزمي: ١١١	السبكي: ٢٥٣، ٩
» » الصديق: ١٢٠	رشيق: ١١٤، ٢٠
» » الصنوبري: ١٧٤، ١٧٦، ١٩٠	الرومي: ٩٣، ٨٠، ٧٤، ٤١
» تمام: ٤٨، ٣٦، ٧٩، ٨٢، ٩٧	١٠٧، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١٢٤
» ٩٩، ١٠٠، ١٠٨، ١٠٩، ١١٦	١٣٩، ١٤١، ١٤٧، ١٩٨، ٢٠١
» ١٢٠، ١٢١، ١٢٩، ١٣١، ١٤٦	ابن شرف القيرواني: ٢٩٠
» ١٥٠، ١٥١، ٢٩١	طباطبا: ٢١٦، ٢١٣
» أبو الحسن التهامي: ٥٣	العميد: ٨٩
» » بن مقلة: ٩٨	لنكلك: ٧٥، ٧٤
» » حية الفيري: ١٢٦	المعز: ٦، ٩، ١٨، ١٩، ٢٠
» دواد الاريادي: ١٠٤	٢١، ٣٠، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٩٤
» ذؤيب الهذلي: ٥٢، ٧٩	١٤٢، ١٥٧، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤
» الشمقمق: ٥١	١٦٦، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٣
» الشيخ: ١١٦	١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٢

أبو طالب الرقني: ١٧٤، ١٧١، ١٤٤، الأصمعي: ١٤٣

٢١٢

أبو طالب المأموني: ٢١٥، الأتفه الأودي: ٧٨، ٨١٢

العباس الضبي: ١١٠، أكنم بن صيفي: ٧٧

العتاهية: ٩٣، ١٤٧، ١٥٠، ١٦٠، امرؤ القيس: ٩، ٣٤، ١٢٠، ١٣٥

أبو علي بن حمولة: ١١٠، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٥، ١٩٤، ٢٢١

عمرو بن العلاء: ١٤٣، أوس بن حجر: ٢٢٨

ب

بك: ١٣٠

البيغاء: ١٥٦

البحثري: ٣٦، ٦٧، ٧٢، ٨١، ١٠٩

١٠٩، ١١٤، ١٢٠، ١٢٥، ١٢٧

١٣٥، ٢٠١، ٢١٠، ٢٣٠، ٢٣١

البيديع الهمداني: ٨٩، ١١١

بشار بن برد: ٣١، ٧٤، ١٥٢، ١٨١

بكر بن خارجة: ٤٢

البوصيري: ٩٥

ت

التلعفري: ١٨٨

تيم بن المعز: ١٥٧

مقبيل: ١٩، ١٥٩، ٢٢٤

ث

ثعلب: ٩٠، ١٢٤

أبو طالب الرقني: ١٧٤، ١٧١، ١٤٤

أبو طالب المأموني: ٢١٥

العباس الضبي: ١١٠

العتاهية: ٩٣، ١٤٧، ١٥٠، ١٦٠

أبو علي بن حمولة: ١١٠

عمرو بن العلاء: ١٤٣

الفرح البيغاء: ١٥٦

فراس: ١٠، ٢٣٠، ٢٣٧

القاسم التوزي: ٧٤

قيس بن الأسلت: ٥

مسلم البصري: ٢٠١

النجم: ١٦٩

النصر سعيد بن الشاه: ٢٣٥

نصر المنازي: ١٣٨

نواس: ٨٩، ١٤٩، ١٨٥، ٢١٩

أبو هلال العسكري: ٦٤، ٧١، ٩١

أحمد بن أبي دؤاد: ٤٨، ٧٩، ٢٩١

سليمان بن وهب: ١٩٣

الأحوص: ١٧٠، ٢١٢

أحيحة ابن الجلاح: ٥٠

الأخطل التلبي: ١٩٦

الأخفش: ١٢٤

الأخضر بن شهاب: ٢٧٦

الأخطل الأمروزي: ١٩٦

دريد بن الصمة : ١٠٢
دعبل الخواصي : ١٩٧

ذو الرمة : ١٥٧، ٧ : ١٥٩، ١٧٩

رؤبة : ٣٦
الرازي : ٢٠٧
الراعي النخري : ٨٩
الرشيد : ١٦٠، ١٨١

الزجاج : ٩٠، ٩١
الزجاجي : ٩٠
الزنجشري : ٧١، ٢٥٣
زهير بن أبي سلى : ٢٨١
زياد الأدهم : ١١٥

سبط بن التعاويذي : ١٢٩، ٢٦٨
السري الرفاء : ٢٢٧
سعد أبي وقاص : ١٠٨
السعد التفتازاني : ٢٧٤، ٢٤٣، ٢٠٩
سعد بن ناشب : ٩١، ٩٩
سعيد بن سلم بن قتيبة : ٥١، ٥٠
المسكاكي : ٢٤، ٢٧، ٢٢، ٢٨٩
السلامي : ٢٢٤، ٢٢٩

جبار بن جز : ١٦٩، ١٨٨
جحظة : ٢١٨
الجرجاني (القاضي) : ٨٠، ١٠١
جرير : ٨٩، ٩٠، ١٠٤، ١٣٦، ١٤٣
٢٥٥

حاجب بن زرارة : ١٠٧
الحجاج : ٢٨٩
الحريري : ٤٥، ٨٩، ١٠٦، ١١٤
حسان بن ثابت : ٤٧، ٢٢٩
الحسن بن محمد المهلب : ١٨٩
الحطيتية : ١٣٩، ٢٢٩
الحماني : ٢٢٧
حمدة أو حمدونة بنت زياد : ١٣٨
حنديج المري : ٨٧، ٢٢١

خالد بن صفوان : ٧٤
خالد الكاتب : ٢٢٢
الخطيب القزويني : ٢٥، ٢٧، ٧٠
٢٥٤، ٢٧٤
خلف الأحمر : ٩١
الخليل بن أحمد : ١٤٤
الخنساء : ١٠٢

سليمان بن عبد الملك : ٩٦
 شبيب بن عبد الملك : ٢٤٠
 السيد الشريف : ٣٢
 سيف الدولة : ٨٣ ، ٩٣ ، ١١٩ ، ١٣٣
 عروة بن أذينة : ٢٧٦
 العسكري : ٦٤ ، ٧١ ، ٩١
 عضد الدولة : ١١٣

ش

الشافعي : ٧٨
 شهرمة بن الطفيل : ٨٨
 شبيب بن شيبه : ٧٤
 الشماخ بن ضرار : ١٦٩

ص

الصاحب بن عباد : ١١٠ ، ١١٥ ، ٢١٩
 صالح بن عبد القدوس : ٢٢
 صريع الغواني : ١٤٩
 الصولي : ١٤٨ ، ١٨٦

ط

طرفة بن العبد : ٢٨٠
 الطرماح : ٥٢

ع

العباس بن الأحنف : ١٣٤
 عبد الرزاق حميده (الأستاذ بكلية دار
 العلوم) : ١٣٨

ف

الفرزدق : ٣٠ ، ١١٥ ، ١٥١
 القاضي التنوخي : ٣١ ، ٣٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٤ ، ٢٢٥

ق

قدامة بن جعفر : ٢٢٩

غ

الغزى : ١١٥

قطري بن الفجاءة : ١٢٠ ، ١٣٥ ، ١٣٧
قيس بن الخطيم : ١٥

أ

كثير : ٢٢ ، ١٥١ ، ١٧٩
كشاجم : ١٧٠
كعب بن مامة : ١٠٤
كعب بن معدان : ١٢
كلثوم بن عمرو العنابي : ١٨١
السكيت الأسدي : ٨٩

ل

ليبيد : ٧٨
مادر : ١٠
مازيار : ١٣٠
المتنبى : ٢٥ ، ٣٦ ، ٤٢ ، ٧٥ ، ٧٩ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١١٥ ، ١١٩
١٢١ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٨٢
١٩٥ ، ٢١٩ ، ٢٣٥ ، ٢٩١
المتوكل : ١٢٧
مثنى الواسطي : ١٤١
المثنى الأزدي : ١٤١
مجنون ليلى : ٨٤ ، ١٣١
محمد الطنطاوي (الأستاذ بكلية اللغة
العربية) : ٢٢٩
محمد بن علي القمي : ١٢٠
محمد العناني : ٩٦ ، ٢٢٢

م

النابعة الجعدي : ٢٣٧
النابعة الذبياني : ١١٩ ، ١٣٢ ، ١٣٤
١٣٥ ، ٢٢٩ ، ٢٣٥ ، ٢٩٠
نصيب : ٩٦
النعمان بن المنذر : ١١٩ ، ١٣٤
نمرود بن كنعان : ٢٥٣

هـ

هرم بن سنان : ٢٨١

و

الوأوأم : ١٩

ي

يزيد بن الوليد : ٩١
يعقوب بن إسحاق بن فويح : ٧٢

فهرس القوافي

- أ
كان مثار النقع فوق رءوسنا (كواكب)
١٨١، ٦٠، ٤٠، ٢٥، ٣١
كالبدن من حيث التفت رأيت (ثاقبا) ١١٤
إذا هم ألقى بين عينيه عنقه (جانبا) ٩٢، ٦٩
كالبحر يقذف للقريب جواهرها
١١٥ (سبحانها)
إذا وترت امرءا فاحذر عداوته (عنبا) ٧٧
٢٧٥ (المغاليا)
ولم أنس ليلتنا في العناق (قضييا) ٤٣
هم يفرشون اللبد كل طمرة
كل شعب كنتم به آل وهب (أديب) ١٩٤
بكرت تعبر الأرض ثوب شباب
١٩٠ (التسكاب)
لله يسهر في مديحك طرفه (ثوابه) ١٢٦
فأتم بذي قار أمالت سيفكم (حاجب) ١٠٧
حيواتنا ضروا ربوعا صحتي (حسبي) ١٠٢
أنت كالكلب في احتفاظك للود
١٥٢ (الخطوب)
وقد زادها إفراط حسن جوارها
٢١١، ٨١ (خياب)
ويوم عند باب أبي نعيم (الذباب) ٩١
وكان الشمس المنيرة دينار (الضراب) ٢٠٣
دارت على أيدي العفاة وشاسع
١٢٥، ١١٤، ١٠١، ٧٢، ٦٨ (وضريب)
- ب
لقي النجوم وقد طلعت بمثلها (ضجاء) ٢٢٢
كان دنائير آ على قسماهم (لقاء) ٩
وما أدري وسوف إخال أدري (نساء) ٢٥١
بكت السماء بهار ذا ذموعها (سما) ٢٣١
بذل الوعد لا خلاه سما (العطاء) ٧٤
إذا ما عد مثلكم رجالا (النساء) ١٣٢
يمشون في زغف كان متونها (نهام) ٢٣٠
٧٠٤ (سما)
وقد صار هذا الناس إلا أقلهم (ثياب) ١
والشمس من مشرقها قد بدت
١٨٩ (حاجب)
فعا جوا فأتوا بالذي أنت أهله
٩٦ (الحقائب)
وكذلك وصل الغايات فإنه (خلب) ٢٣
كحلام في برج صفراء في نعيم (ذهب) ١٧٩
وتأخذه عند المكارم هزة (الرطب) ٧
هم يضر بون الكباش يرق بيضه
٢٧٦ (سبائب)
فإنك شمس والملوك كواكب (كوكب)
١٣٥، ١٢٠
يزور الأعدا في سما عجا (الكواكب)
١٨٢ (سما)

والشمس لو وقفت في الفلك دائمة

(عرب) ٨٦

قد أقذف العيس في ليل كأن به (العشب)

٢٣١

تأني خلايق خالد وفعاله (عائب) ٢٦٠

فأصبحت من ليلي الغداة كمنظر

(مغرب) ٨٤

كالبدر أفرط في العلو وضوؤه (قريب)

٧٢، ٦٨، ٥٥

إذا هو أثرى بدا واصلًا (واحتجب) ١١٢

إذا تبدي البرق فيها خلته (يضطرب) ١٧٨

يتابع لا يتغنى غيره (الملهب) ١٦٢

ت

قتلت مجاشعا وقتلت عمرا (قتلت) ١٦٢

و جوابة الاتق موقوفة (الحضرة) ١٠١

كما أبرقت قوما عطايا غمامة (وتجالت)

٥٩، ٢٩، ٢٣

أعددت للجار والعفة (متساميات) ٢٣٦

تغيب كيلا تجتويني دياركم (ملت) ٨٦

بدلت من يوم كظل حصاة (موات) ٩١

و كأنهن غصون بان ناعم (الوجنات) ١٥٧

ولا زوردية تزهو بزقتها (اليواقيت) ٩٣

ج

كأن الثريا هودج فوق ناقة (مزعج) ١٠٤، ٢٠

كأن أصوات من إيعا لمن بنا (الفرارج) ٧، قلت لمن، قال لي عرضت على (حمده) ١٢٤

ح

ما عاتب الحر الكريم كنفه (الصالح) ٧٨

بح صوت المال بما (ويصيح) ١٤٩

وبدا الصباح كأن غرته (يمتدح) ٢٥٠

و كأن البرق مصحف قار (وانفتاحا)

١٩١، ١٧٢، ١٤٢

مبارك الوجه ميمون نقيبته (قدحا) ١٠٧

كأنما يدسم عن لؤلؤ (أفاج) ٢٢٤

ألستم خير من ركب المطايا (راح) ٢٥٥

س

رقيق حواشي الحلم لو أن حله (برد) ١٥١

غدت عينه كالجمر حتى كأنما (الحد) ١٥٧

يباض في جوانبه احمرار (الخدود) ٣٢، ٣٠

ولولا علاه عشت دهرى كله (عقد) ١٥١

يخططن بالعيدان في كل منزل (النواهد)

٢٣٥

عرف الديار توها فاعتادها (أبلادها)

وتحي له المال الصوارم والقنا (الجداء) ٩٧

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى

(جللدا) ١٧١، ٢١٢

فما كعب بن مامة وابن سعدى (الجوادا)

- لا ، ولأرام قابس (فأصلدا) ١٠٦ اعتقنى سوء ما صنعت من الرق
آل المهلب قوم خولوا شرفا (كادا) ١٤٠ (كبدى) ١٤٨
أوفى على الماء كعب ثم قيل له (وردا) ١٠٤ على باب قنشرين والبواب لاطخ
يا طيى السهل والأجبال موعدهم (بمداد) ٢٢٣
٥٢ (الأسد) كلنا باسط اليد (ند) ١٧٦
قم يا صديق نهض طبع بسواد (باد) ١٩ ربما تليت أنا ملي (النهود) ٢٣٤
يا عاهد البخلاء عن أمواتهم (بارد) ٥٠ والثريا كأنها كف خوذ (وجد) ١٩
وإذا تألفت القلوب على الهوى (بارد) ٥٠ لو كنت يوم الوداع حاضرا
لا تغلطوا الدوشاب في قدح (البرن) ٢١٧ (الوجد) ٢٢٣
فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت (بالبرد) ٤٦ بترشغن من فم رشفات (التوحيد) ٢١٩
كعب وحاتم اللذان تقعما (وتليد) ١٠٤ فأصبحت مما كان بيني وبينها (باليد) ٥٠
وطول مقام المرء في الحى مخاق وغيرى يا كل المعروف سحتا
٨٥ (تتجدد) (الأيادى) ٢٩١
يمود بالنفس إن ضن البهيل بها نعمة كالشمس لما طلعت (بلد) ١٣٤
وكان حجر الشقيق (تصعد) ١٣٤ (الجود) ١٠٤
وإذا أراد الله نشر فضيلة (حسود) ٨٠
أقحوان معانق لشقيق (الحدود) ٢٢٥ رق الزجاج وراقت الخمر (الأمر) ١٧
كان الهام في الهيجا عيون (رقاد) ١٤٠ تنفى سينا بكها من فوق أروهم
ونار لو نفخت بها أضواء (رماد) ٥٠ (المباتير) ١٨١
هيات تضرب في حديد بارد (زياد) ٥٠ لا تعجبك الحى ولا الصور (بقر) ٧٤
ونيلوفر يحكى لنا المسك طيبه وكان الروض وشى (التجار) ١٦٨ ، ٢٢٣ وزحف له تحكى البروق سبيوفه
١٧٦ (مسعد) (حوافره) ١٦٠
فلما طغى ماؤه في البلاد (صد) ١٩٥
إلى الزبىرى فان اللؤم حالفة (أعود) ٤٧ حسام كالعقيقه فهو كمي (فطار) ٢٢٥
قد انقضت دولة الصيام وقد (بالعيد) ٢١ وما المرء إلا الأصفران لسانه
تردين كيتا تمعني ومالدا (غمد) ٧٩ ، ٥٢ (مصور) ٧٤

فدع الوعيد فا وهيدك ضائري | وإن قولاً يروق الخالدين معا «تخير» ٧٤
 (بضير) ٢٦٨ | وللقواد وجيب تحت أنهره
 والشيب ينهض في الشباب كأنه (نهار) ٣٠ | «بالحجر» ١٥٩
 وأرض كأخلاق السكرام قطعتها | أيا غائباً حاضراً في القواد «الحاضر» ١٠١
 (فأبصر) ٢١٥ | لدى رجس غهن وسركاه «خضر» ٢٢٤
 شرف تزيد بالعراق إلى الذي | إني وتزييني بمدحى معشر «خنزير» ٤١
 (بيلنجرا) ١٠٩ | ويوم كطل الرمح قصر طوله والمزاهر ٨٨
 وسارية لا تحمل البسكا «الثرى» ٢٢٥ | جزى البخیل على صالحة «ظهير» ١٤٧
 كان عينيه إذا ما أتارا «أحمرا» ١٨٥ | والصبح في طرة ليل سفر «أشقر» ٢٢٣
 إذا منه عن ذكر القسوافي فلن ترى | إذا أخو الحسن أضحى فعله سمجا
 «أشعرا» ١٢٦ | «الصور» ٧٥
 وحتى حسبت الليل والصبح إذ بدا | ثانيه في كبد السماء ولم يكن «الغار» ١٢١
 «وأشعرا» ٣٧ | ولأنت تفرى ما خلقت «يفرى» ٢٨١
 كأن صليل المروحين تشنها | والآقحوان كالشاي الغر «بالقطر» ٢٢٥
 «بعيقرا» ١٥٩ | ويرزن في وشى أنيق كأنه «القطر» ٢٢٣
 بآي وأى كل ذى «مر» ١٠٥ | ورمانة شبتها إذ رأيتها «مرمر» ٢٣٥
 وما أنا أسقمت جسمي به «نارا» ٢٧٠ | ولقد شفى الأحشاء من برحائها
 وقد لاح في الصبح الثريا لمن رأى | «مازار» ١٢٩
 «نورا» ١٨٠ | ومكلف الأيام ضد طبأعها «نار» ٥٤
 وسقط كمين الديك عاورت صاحبي | عدل الحبيب فمن يحور «يسير» ٢٣٤
 «وكر» ١٥٧ | إنما نعمة قوم متعة «مستعار» ٧٨
 زوامل للأشعار لا علم عندهم | كأن المدام وصبو الغمام «القطر» ٩
 «الاباعر» ٧٣، ١٢٤ | «كالدنانير» ٩
 سالت عليه شعاب الخى حين دعا | ونحن الثريا في السماء كأنه «مدر» ٢٠
 «كالدنانير» ٩ | نحن في المشتاة ندعو الجفلى «يلتقر» ٢٨١

ع

فاخترت من جيد كل طرز «الخوز» ٢٠٣ وكان النجوم بين دجاء «ابتداع»
٢١١، ٢٠٩

لـسـكـفـتـنـي ذنب امرئ وتركتـه
(رافع) ٢٩٠
له منظر في العين أبيض ناصع (أسفع) ٩٩
غيري بأكثر هذا الناس ينخدع
(شجعوا) ٢٩١

إذا ما أغاروا فاحتسوا مال معشر
(الصنائع) ٩٧

أرى الناس طراحا مدين لخاله
(وصنائعه) ٢٩٠

تقص السفين بجانيه كما (كرع) ١٩٢
فانك كالليل الذي هو مدركي (واسع)
١٢٢، ١٢٠

هشية مالى حيلة غير أنى (دولع) ٢٢٥
كفالك لم تخلفاً للندى (بداهه) ١٤٤

كأنما المربيع والمقتدى (الرفعه) ٣٨، ٣١
وافضض في حصنى سحائل بارق
(لامعه) ١٧١

أنظر إلى زهر الربيع (البسديع) ٢٢١
فأصبح من ليلى الغداة كقباض
(الأصابع) ٨٤، ٥٠

كأن انقضاه البدر من تحت خيمه
(وقوع) ٢١٢

ز

وشبه لا يترك أخلاقه «رمسه» ٢٣
والله والله لا أفاجتمو أبدا «عباس» ١١١
وإن من أدبته في العبا «غرسه» ٧٠، ٢٣
ناولتها شبه خديها مضمعة

«مقياس» ١٥٧
وابن الجون إذا مالز في قرن

«القناهيس» ١٣٦
كدحت بأظفارى وأعملت معولى

«أملسا» ١٣٩
وتوقد المربيع بين نجومها «نرجس» ٢٣٢

وسنان قد خدع النعاس جفونه
«النرجس» ٢٢٥

ش

ولاحبت الشمس قهكى عند مطلعها
«مرقمش» ١٨٨

ض

كان الثريانى أو آخر ليلها «مفضض» ١٦٦
هشية حياني بوره كأنه «بعضر» ٢٢٢

ط

كان في خدراتها «يطط» ١٩٠
لم أرسفا مثل صف الزط «خط» ١٩٧

ف

كانه وكان الكأس في فيه شفقه ٣٨

تكتب أبدي المزاج فيه لنا وتعريق ١٦٤

ولقد ذكرتك والظلام كانه

« يعشق » ١٧١، ٢١٢

غدت في ثوب من الليل خلق « أفق » ١٦٢

فيها خطوط من سواء (وبلق) ٣٦

ك

مكمل باصول النجم تنسجه وحبك ٢٣٠

وطاف بها ساق أديب بمغزى

« الفتك » ١٨٢

فدونسكه موسى نمنمته « حوك » ١٧٣

كان على أنيابها كل صخرة

« اللوائك » ٨، ١٥٩

ل

ويوم كاهام القطاة محب « باطله » ٩٠

أحلامنا نزل الجبال رزاة ونجمل ١٥١

كان له في الجو حيلايو « حيل » ١٩٩

أولئن نطق بشكر برك مفصحا ويضاء زغف ثلثة سلبية « مرسل » ٢٢٨

عرفناك أما كعب عرضك في العلا

« أسفل » ١٥٠

وإذا ابتدأت عروض نسج ريض

« تسهل » ١٢٦

ذكر الفتى عمره الثمانى وحاجته

« أشغال » ١٠٣

ورآك للتشريف أهلا فاجتي

« ويفعل » ١١٠

وزال فوق ما أصف (ألف) ٦

دهر علا قدر الوضع به (شرفه) ١١٥

وقابلني رمانتا غصن بانه (حقف) ٢٣٥

إني رأيتك في نومي تعانقتي (الألفا) ٤٢

تمت معاليه منه في امرى نصف

(توقفا) ١١١

وندمان سقيت الراح صرفا

(السيوف) ٢٢

دمن كان رياضها (المطارف) ٢٢٧

ق

للبرق فيها لب طائش « الأبلق » ١٧٨

كم حاسد حنق على بلا « الحنق » ٢٢

ضحوك إلى الأبطال وهو يروعهم

« رونق » ١٢٣٠، ١٣٥

كان عيون النرجس الغض حولنا

« حقيق » ٦٤، ٩٤

أولئن نطق بشكر برك مفصحا ويضاء زغف ثلثة سلبية « مرسل » ٢٢٨

« أنطق » ٩٧

المرء مثل هلال حين تبصره « يتسق » ١١٠

يا أيها القاضي الذي نفسي له « مشتاقه » ٢٢٠

فانهض بنار إلى فحم كأنهما « اتفقا » ٢١٤

أرقت أم نمت لضوء بارق « بارق » ١٧٠

طلبت إليكم بالغياب مودة « البوائق » ٨٠

وكان أجرام النجوم لوا معا

« أزرق » ٤٠، ١٧٤، ١٧٩

كم وقفة بمرتك شوقا بعدما	وفلا كما مال يضيق بها الفوق (قيلا) ٢١٦
« العاذل » ٤٢	« العاذل » ٤٢
يدى لمن شاء رهن لم يذق جرعا	يا شبيه البدر حسنا (ومنا لا) ١٦٧
« والعسل » ١٢١، ١٣١	بيض الوجوه كريمة أحسابهم
اصبر على مضض الحسود « قاتله » ٢١	(الاول) ٢٠٣
نجمومه ركذ ليست بزائلة	نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
« القناديل » ١٢١	(الاول) ٨٢
في ليل « صول » تناهى العرض	كان قلوب الطير رطبا ويابسا
والطول « موصول » ٨٨	(البالي) ٣٤
فعلبك الرضا بما قسمته « المجهولة » ٢٦٦	غدا والصبح تحت الليل باد
يا عاقد القلب منى (حلا) ٩٠	(الجلال) ١٧٩، ١٧٧، ٣٩
والثريا كأنها رأس طرف (المحلى) ٢٠	وترى البرق عارضا مستطيلا
كأنه خد معشوق يقبله (خجلا) ٣٣	(الاجلال) ١٧٩
إن المطايا تشتكيك لأنها (ورمالا) ١٥٠	من طاعنى نغر الرجال جآذر
وفى الجسد اول أسياف محادثة	(وخلاخل) ١٢٨
(وأرمالا) ٢٣٧	علالة خده وردجنى (بخال) ١٥٧، ٢٢٢
ومن يك ذافهم مريض (الزلالا) ٧٥	قد سمعنا بالغر من آل ساسان
لحقى على تلك الشواهد منها	(الخوالى) ١١٢
(شمالا) ١٠٨	فيالك من ليل كأن نجمومه (بيذبل) ٢٢١
فبذات نفسك ما يسكون بهاؤها	وكل صموت نثلة تبعية (ذائل) ٢٢٩
(ثقيلا) ١١٦	يكون نزول القوم فيها كلاولا (رجل) ٨٩
وسابقة من جساد الدروع	كأنه عاشق قدمه صفحته (مرتحل) ١٩٦
(صليلا) ٢٢٩	حبر أبى حفص لعاب الليل (سيل) ٢٠١
بدت قرأوا مستخوطبان (غزالا) ٣٥	والسيف مالم يلف فيه صيقل
والماء يفصل بين زهر (فصلا) ٢٣٧	(بصقال) ١١٦
غب عن بلادك وارج حسن مغبة يقعى	جالوس البدوى المصطفى
(الاقلالا) ١١٤	(المصطفى) ١٩٦

مكر مفر مقبل مدبر معاً (هل) ١٩٤ بكل حسام كالعقيقة صارم (دم) ١٦٨
 فإن تفق الأنام وأنت منهم (الغزال) سأرقم في الماء القراح إليك (راقم) ٤٠
 ٢١٩ ، ٨٣ والليل كالحلة السوداء لاح به
 أيقنتني والمشر في مضاجعي (أغوال) (مرقوم) ٢٠٣
 ١٦٣ ، ٢٦٢ ، ٢٥٧ حسن في عيون أعدائه أقبح (السوام) ٩٩
 إذا ما الثريا في السماء تعرضت وجه صبح ولسكن (ظلام) ٢٣٣
 (المفصل) ١٦٥ وكان إيمان السيوف بوارق
 وذى شطاط كهدر الريح معتقل (مظلم) ١٦٨
 (وكل) ٦ كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم (والسكرم) ٧٩
 صدغ الحبيب وحالي (كاليلي) ٣٥ أترك إن قلت دراهم خالد (لثيم) ٢٦٠
 رأيك في الذين أرى ملوكاً (محال) والثريا قبالة البدر تحكي (جاما) ٢٠
 ١٣٣ ، ١١٩ وتروم الثريا (مراما) ٢٠
 كأنه بين أحوال تداوله (منزله) ١١٤ إذا أنا عاتبت الملوك فإيما (أرقا) ٨٧
 وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولم أقض حق العلم إن كان كلما (سلما) ٨٠
 (للحال) ١٣٢ ، ١١٩ شعلة في المفارق استودعتني (صميما) ١٠٠
 وقد اغتدى والطير في وكنايتها (هيكل) هو البحر لا يأس من دره (طما) ١١٦
 ١٣٥ ، ١٢٠ تنظم المال والأعداء من يده (ظلاما) ١٥٠
 والشمس كالمرآة في كف الأشل نخلت الدجى والليل قد مد خيطه
 (الجلبل) ١٨٨ ، ١٧٩ ، ١٦٩
 مازال يعلو عجاج الدخان (زحل) ٢٢٦ أراك إذا أيسرت خيمت عنفدنا
 حفت بسرو كالقيسان تلحفت (معتدل) ٩٤
 لاسيل تخصه المحاني (المتاصل) ٢٣٦ هما يلبيسان المجد أحسن لبسة
 م
 فتي هن مه سيف حسام وسيفه (ميرم) ١١٦ (كلاما) ٢٧٧
 ابن أصبح من تحلا بحسمى (مقيم) ٨٥ ترى أحباله يصعدن فيه (الجهام) ٣٧
 أشارت بطرف العين خيفة أهلها (تشكلم) ٩٦

لسان الغنى نصف ونصف قواده	ن
(والدم) ٧٤	له إليكم نفس مشرقة «بدنه» ١٠١
يقتاعها كل فصل مكرم (السلم) ١٩٣	مخالفة أشكالهن فصفرة «جفون» ٢٢٤
فيه الرماح وفيه كل سابعة سلام ٢٢٩	بين السيوف وعينه مشرارة
وزارتى كأن بها حياء (الظلام) ١٣٨	«أجفان» ١٢٩
ثم حاولت بالمثيقيل لصغير (التعظيم) ١٤١	فؤادى منك ملآن «إعلان» ١٢٧
زلنا دوحه لحنا علمنا (القطيم) ١٣٨	لدى نرجس غض القطاف كأنه
والنفس كالطفل إن تهمله شب على	«عيون» ٢٢٣
(ينفطم) ٩٥	ألا إنما ليلى عصا خيزرانة «تلين» ١٥٢
إعلم وأنت المرء غير معلم (مفهم) ٤٨	أمر على الحياتى ويغلاظ جانبي
ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب	«وألين» ٤٦، ٩٨
(الإقدام) ١٢٠	سليمى أزمعت بينا «أينا» ٢٧٦
قد سمرت جهته بنجم «بنجم» ٢٣٢	يزرن المشى أوصالا منعمة
غيرى جنى وأنا للعاقب فيكم «المتنديم» ٢٩٠	«بيرينا» ٢٣٤
قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت	أجهالا تقول بنى لسوى
«بالنعم» ١٤٦	«متجاهلينا» ٢٥١
لا يركن أحد الى الاحجام	إنى لا أكثر مما سمتى عجبا (تأسونى) ٤٧
«لحام» ١٣٥	وخمارة تغنى المسيح برها (ميين) ١٦٣
لها لفظ جنح الظلام كأنه «مترجم» ١٦٠	لجاءت بها فى كاسها ذهبية «بجفون» ١٦٣
قد قاتلوا لو ينفخون فى فم «أمم» ٥٠	ودعجاء المهاجر من معد (الجنان) ١٥٢
عن أى ثغر تبتسم «تحتكم» ١٢٧	كأننا وضوء الصبح يستعجل الدجى
وكم قارع سمعابو عظم يجيده «رقم» ٥٠	(جون) ١٨٤
النشر مسك والوجوه دنائير «غنم» ٣٤	رب ليل كأنه أمل فىك (بالحرمان) ٢١٦
صبحو وغيم وضياء وظلم «غنم» ٢١٤	وقيان كأنها أمهات (حوافى) ١٣٩
أأنثر درا بين سارحة الغنم «الغنم» ٧٨	وكالسياف إن لا ينته لان منته
	(خوشنان) ١١٧

حملت ردينيا كان سنانه (بدخان) ١٦٢ | ضمته ضمة صرنا بها وحدا
 عتقت في الدن حتى (دني) ٢١٩ | (خشيئناها) ٤٣
 ورق الجوحى قيل هذا (والزمان) ٢١٨ | علفتها تبنا وماء باردا (عيناها) ١٤
 أهدت يداه يدي وشرد جسوده | ولم أقل مثلك أعنى به (مشته) ٢٨٩
 (أغنائى) ١٤٨ | وكان الهلال نصف سوار (إليه) ١٩
 لست ذا ذلة إذا عضى الدهر | ألا موت يباع فاشتره (فيه) ١٨٩
 (واتانى) ٩٨
 شربت على سلامة أفتكين (اليقين) ٢١٨

ي

وأدهم يستمد الليل منه (الثريا) ٢٣٢
 إذا زهتها الصبا أبدت بها حبكا | عيون أذريونها (كاليه) ١٨٣
 (حواشها) ٢٣٠ | ولو أن واش باليمامة داره (ليا) ١٣١

هـ

استدراكات

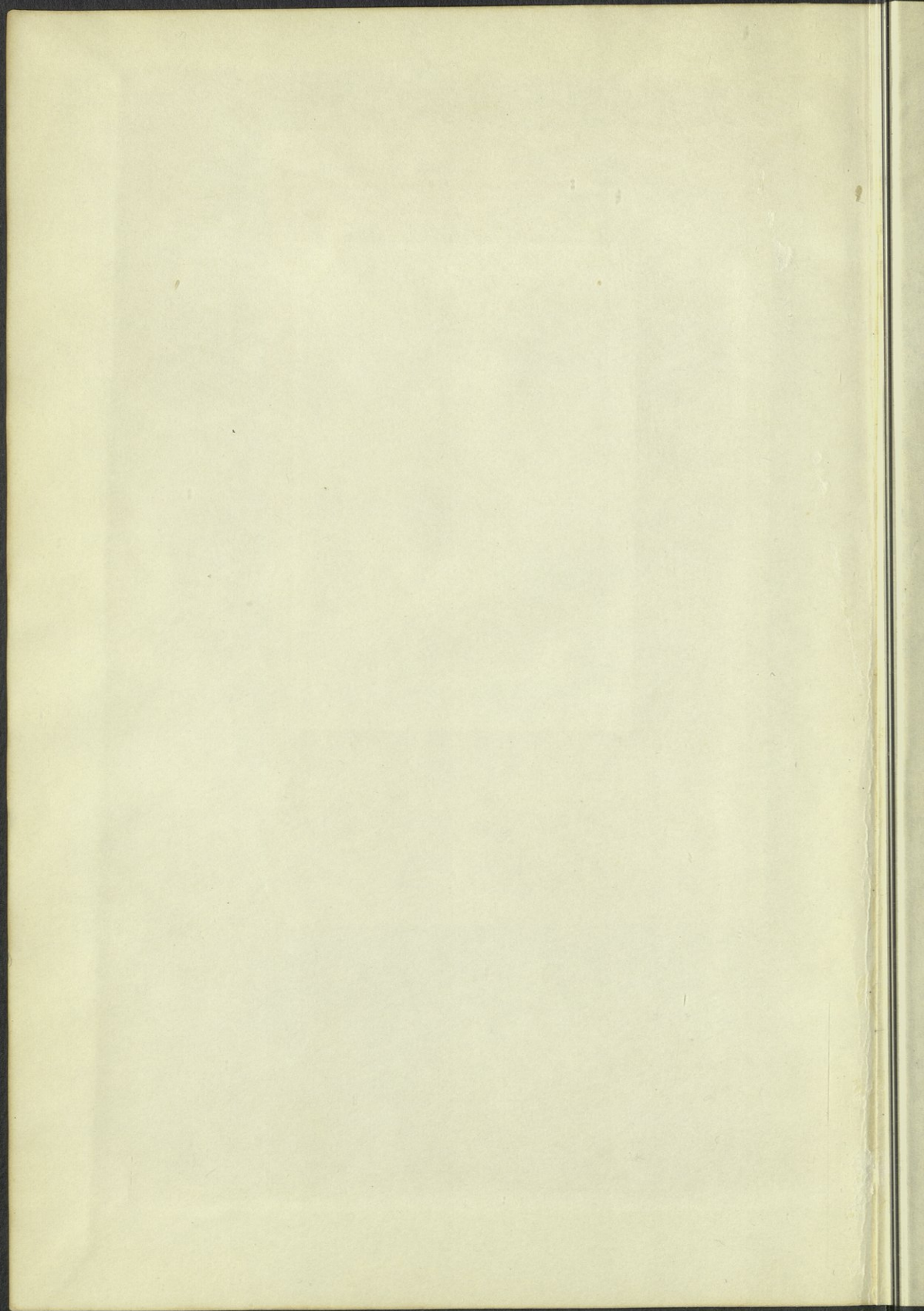
- ١ - : ص ٢٢ : ١٠ - : ورد البيتان « وندمان سقيت الراح إلخ ، منسوبين لابن المعتز ، والصحيح انهما لأبي هلال العسكري ، راجع ديوان المعاني ١ : ٣١٠ .
- ٢ - : ص ٢٣ : ١٠ - : الأبيات « وكذلك وصل الغانيات إلخ ، من قصيدة واحدة ، لسكتها غير متتابعة .
- ٣ - : ص ٣٣ : ٦ - : البيت « كأنه خد معشوق إلخ ، للمفضل الضبي ، راجع شرح الشريشي لمقامات الحريري ، المقامة السابعة .
- ٤ - : ص ٤٣ هامش ٢ - : بعد كتابة التعليق على البيت « ضممته ضمة إلخ ، اطلمت على بقية الشطر الأول هكذا « عدنا بها جسدا » في شرح العكبري لديوان المتنبي ٣ : ٢٥٣ والوساطة ص ١٨٨ ، الطبعة الأولى ، فلعلها رواية ، وإن كان « وحدا » أرجح لدقته .
- ٥ - : ص ٥ : ٢١ - : كان في التعليق : « أو لأحيحة بن الجلاح جد الصحابي المشهور عياض بن عمرو بن مليك بن أحيحة وقد توفي أحيحة سنة ٦٠ ق هـ ، ٥٦٠ م ، فسقطت كلمة « جد » ، وجملة « عياض » ، إلخ التعليق ، وظهرت العبارة « أو لأحيحة بن الجلاح الصحابي المشهور » وهي ظاهرة الخطأ
- ٦ - : ص ١٤٢ : بين السطرين ٥ ، ٦ سقطت عبارة نصها : « وتظهره بعبارتك فإن لم يكن بينهما محبة ، فيجب وضعها هناك .
- ٧ - : ص ٢٩٦ : بين السطرين ٤ ، ٥ سقطت عبارة نصها : « الفاعل بعينه لأنها لا تدل على معين ، وإنما الغرض طلب تعيين ، فيلزم إثباتها في موضعها .

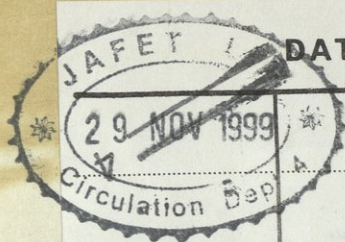
جدول التصويب

صواب	خطأ	ص	س	صواب	خطأ	ص	س
كتب	كتبت	٥٥	٢٠	الاتحاد	لاتحاد	٥	١٦
(١)	(٢)	٥٧	١	المعنى	لمعنى	٩	٢
شبهت	شهب	٥٨	٦	كالدنانير	كالدزير	٩	٥
ند	ند	٦٨	١	من أن	من أ	٩	١٤
العناية	العناية	٦٩	١٢	إلى تأول ؟	لى تأول	١٠	١٠
لم تبين	تبين	٧٠	٦	اتصاف أن يوصف	اتصاف	١١	١٤
فشأ	فشأ	٧١	١٣	به « المشبه »	المشبه به		
طرة	طرة	٧٥	١	خطيب	خطيب	١٢	١٣
الافوه	الافواه	٧٨	١١	إلى قدر	لى قدر	١٢	١٧
يتوسل	يتوسل إليها	٨٣	٢	الوضعى	الوصفى	١٣	٢٠
للغريب	للغريب			وتأولت	ونأولت	١٤	١٥
للمها - عجم	لها عجو	٨٦	٢٢	المحسوس	المعقول	٢٢	١٥
شرحها	شرحها	٨٨	١٣	بالمعقول	بالمحسوس		
« الحلبي »	« المعارف »	٨٨	١٥	مركباً	١٢ مركباً	٢٤	
خول	لخول	٩٦	٢١	الأميرين	الامر	٢٨	١٨
برك	برك	٩٧	٤	الأحر	الايض	٣٧	٩
لاغنى لهم	لهم لاغنى	٩٨	٨	كل	كل	٤١	٨
مدوحه	مدوحة	١٠٢	٢	أميناً	أمنياً	٤٨	١٩
أصل ذلك	من ذلك	١٠٢	١٧	إذا تعدى إلى	إلى تعدى إذا	٤٩	١٢
قانه	فاته	١٠٣	٥	تنفخ	تنفخ	٥٠	١٠
ثم عى	ثم دعى	١٠٤	١٥	المستعصب	المستعصب	٥٣	٤
يقول ابن	يقول أن ابن	١١٢	١٢	الاستعصاف	الاستعصاف	٥٣	٦

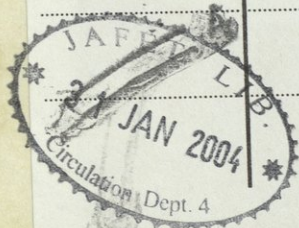
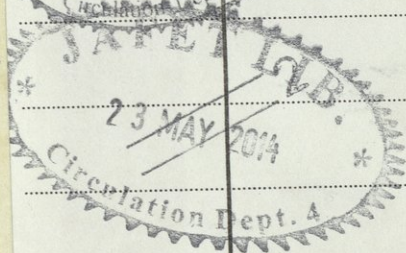
ص س	خطأ	صواب	ص س	خطأ	صواب
١١٣	٩ جمعنا - أضر	جمعنا - أضر	١٦٨	٦ قد	قد
١١٤	١١ رغب	رغب	١٧٤	٢ بحمرا	بحمرا
١١٥	١ غزواته	غزواته	١٧٥	٩ زيادة	زيادة فسر
١١٧	١ ن لا	لا ن	١٧٦	١٣ كلنا	كلنا
١١٧	٢١ دوا	دواني	١٩٣	٨ في هذا	هذا
١٢١	٣ ومن	من	١٩٧	١٤ الخنيث اللسان	الخنيث
١٢١	١٦ بين	بين	٢٠٥	٢٠ والقوح	والقوح
١٢١	٢١ والخليفة	الخليفة	٢٠٨	١٤ من الألفاظ	للالفاظ
١٢٢	٦ واحتناء -	واجتناء -	٢١٠	٩ السنن أعرف	السنن والبضع
	الفكر	المفكر		أعرف	
١٢٥	١٤ تحريك	بتحريك	٢١٢	١٨ عرف	أعرف
١٢٧	٣ ورد	ورد	٢١٨	١٤ ظهر أمره	ظهر أمره
١٢٧	١٣ وبخاري	وبأخرى	٢١٨	١٤ من بويه	بن بويه
١٢٧	١٨ عود	عود	٢١٨	١٩ بحجطة	بحجطة
١٢٨	١ وله	قوله	٢١٩	٨ وشفات	رشفات
١٤٢	• ترى	ترى بين	٢١٩	١٦ أنشد في	أنشد في
١٥٤	١٣ رقب	وقرب	٢٢٢	٢٤ لخالد	لخالد
١٦٠	٢٢ العباس	العباسي	٢٢٣	٥ القطر	يد القطر
١٦٣	٧ فق	أفق	٢٢٣	١٧ والغاء	والغاء
١٦٥	٣ فيها بعض	خالية	٢٢٥	١٢ أفل - فطار	أفل - فطارا
	انتفاخ ورطوبة الوسط		٢٢٧	٤ تلون	تلون

صواب	خطأ	ص س	صواب	خطأ	ص س
ص ٩٤	ص ٤٩	١٣ ٢٦٧	الطنطاوى	الطنطوى	١٦ ٢٢٩
فيه	له شاركته فيه	٤ ٢٧١	(٢)	(١)	٢ ٢٣٣
وتبعه في	وذكر في	٣ ٢٨٢	ج ٢	ج ١٧	٢٥٣
مشبه	مشبه	٥ ٢٨٩	أصقام	أصطقام	١٠ ٢٥٧
المضاف إليه	المضاف	١ ٢٩٠	معشوقته	لمعشوقته	٢٣ ٢٥٨
جناية	خيابة	١١ ٢٩٠	الاستفهام	الاستفهام	١٦ ٢٥٩
أن حيوانا	حيوانا	١ ٢٩١	لأنهما	لأنك أعجز	٥٤ ٢٦١
مارجل	ما جاء في	٨ ٢٩٩	لا يفتقان	من أن	
جاني	رجل		في رأيك	تفعل	





DATE DUE



العدل، عبد الهادي
دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد الق

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01030820

AME
UNIVERSITY OF
BEIRUT

